

الديوان الثاني

الكتاب الرابع

في الأحكام الاعتقادية

الجزء الثالث

نفحات منبرية

في

القضايا الإيمانية

ألقاها

الشيخ الدكتور عبد العزيز الخطيب الحسني
الشافعي الأشعري الدمشقي

قدم لها

العلامة الشيخ عبد الرحمن الشاغوري
العلامة الشيخ صادق حنيكة

حقوق الطبع لكل مسلم

يطلب الكتاب من المؤلف مباشرة

هاتف: ٣٧٢٣٣٧٥

١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نفحات منبرية
في
القضايا الإيمانية

A decorative border made of stylized floral and leaf motifs, arranged in a rectangular frame around the central text.

مقدمات الكتاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي قَرَّبَ إلى جنابه من أحب واختار، فصيره من أحبائه السادة الأبرار، وطرد عن بابه كل شقي وجبار، وحرمه من جزيل ثوابه فالحكم لله الواحد القهار. أبدع الخلائق بقدرته وقدر أرزاقهم وآجالهم بحكمته وفضل بعضهم على بعض في الشرف والنسب، فانتخب منهم الأنبياء والرسل الأخيار، واصطفى من الجميع خيرا الأنام سيدنا محمداً فهو خيار من خيار من خيار. أنعم الله عليه وأفضل وأعطاه ما لم يعطه أحداً وأجزل وجعله شريف النسب عظيم المقدار. فمن شرفه المعجزات الظاهرات كانشقاق القمر وتسليم الحجر والشجر وغير ذلك من الآيات والعبر، وبجاهه غفر الله تعالى لأبينا أبي البشر.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أجدها في يوم تشخص فيه الأبصار وتحيط به الأوزار ويغضب الملك الجبار. وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ذو الحجة البينة الظاهرة الذي لم يزل ملازماً للاجتهاد في العبادة ليلاً ونهاراً حتى قدم على ربه الواحد القهار، وغاب عن عيون النظر.

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أبي بكر الصديق رفيقه في الغار، وعمر بن الخطاب الذي نزه الحق عما يقوله الكفار، وعثمان بن عفان شهيد الدار، واجعل أفضل رضاك وأتمه على سيد الأحرار ومهلك الكفار بالصارم البتار علي بن أبي طالب سيد الأحرار، وابن عم نبيك المختار، وعلى الستة الباقيين من العشرة الكرام الأخيار وعن عمي نبيك الحمزة والعباس الذين ببركتهم هطل الغيث المدرار.

وارض اللهم عن أبي محمد الحسن وأبي علي الحسين اللذين كانا من
أهل التقوى والاستغفار، وعن سائر الصحابة والمهاجرين والأنصار،
ما تعاقبت الشهور والسنون بأدوار، عدد مانح طائر وترنم في الأسفار، وسلم
تسليماً.

أما بعد:

فقد وقفت في حياتي على منابر عدة، لكن أعظم وقفة وأحلاها
تلك التي وقفتها مع العقيدة أحلى ثمرات حياتي العلمية، هذه العقيدة
التي تعمقت جذورها منذ كنت أدرس عند أشياخي الكرام، فقد ابتدأت
حياة العقيدة لدي منذ أن كان والدي رحمه الله يكتب كتابه العظيم
قصص الأنبياء، ثم كتابه الأكبر (السيرة النبوية)، فكان إذا مر بموقف
عقائدي عظيم ينادي عليّ من بين إخوتي جميعاً لأجلس معه في تلك
الغرفة العلوية المباركة التي وضع فيها مكتبه وحوله كتبه الصفراء
الضخمة، ولأصغي إلى كلماته العذبة الروحية العالية التي بلغت من
شفافيتها وسمو كلماتها ما جعلها تذهب في حنايا ضلوعنا فإذا بنا تنهمر
دموعنا حين كان يقرأ علي آخر ما كتب وأحلى ما كتب، فلا أنسى ما
حييت تلك اللحظات السعيدة التي عشت فيها معه كل ثانية من حياتي
العلمية الفريدة رحمه الله تعالى.

ولم تتوقف مسيرة حياتي مع العقيدة بل جبر الله خاطري بدعوة
دعاها لي مولاي الوالد مرة حين طلبت منه الدعاء فقال: الله لا يتخلى
عنك. فإذا بحنايا مولاي العلامة الثقة الثبت سيدي الشيخ أحمد
المحاميد تتلقفني فتضمنني إليها فأتابع السلسلة التي بدأها مولاي
الوالد، ولكن بتنظيم أدق وسير منتظم مع منظومة الجوهرة للإمام
اللقاني التي ابتدأتها معه بيتاً فبيتاً فكان يشرحها بهدوئه المعتاد
وعفويته العلمية، فتنسب المعاني على شفثيه فتدخل القلب وتملأ

جوانح النفس فتبعث فيها شعوراً متميزاً بدأ ينمو على ممر الأيام ويزداد
مدة أكثر من خمس سنوات ١٩٨١-١٩٨٦.

وخلال هذه الفترة الممتدة آذن مولانا بقاء علم أعلام التوحيد
والتصوف في عصره مولانا العارف بالله سيدي الشيخ عبد الرحمن
الشاغوري حيث ضمنني إلى مجلسه قبل وفاته الشيخ عبد الرحمن
التسماي صهرنا زوج شقيقتنا وأحد شيوخنا الذي أخذت عنه طلاقة
اللسان، وأدب الكلام، وعاطفة البيان رحمه الله تعالى. فبايعت الشيخ
الشاغوري والتزمت دروسه ومجالس ذكره وآثرت أن أكون تحت نظره في
درسه يوم الاثنين الذي عقده في المهاجرين، وحضرت بعضاً من دروسه
صباح يوم الجمعة، حيث قام بتدريس كتاب العقيدة الخاصة بمولانا
الهاشمي ثم كتاب جواهر العقائد للقصاب، وكان هم الشيخ نشر العقيدة
أولاً ونشر الأخلاق والفضيلة ثانياً.

فأحببت أن أدول دولي في هذا العلم مع الدلاء، فكتبت مذكرة في
العقيدة في أركان الإيمان الستة وهو كتابي «مراقي العبودية في توحيد رب
البرية» الذي قرأته عليه فصلاً فصلاً، ثم على مولاي الشيخ عبد الوكيل
الدروبي رحمه الله تعالى، فكان كرم مولانا عز وجل عظيماً علي إذ أجازني
الشيخ الثلاثة بعلم التوحيد والتصوف بل نلت إجازة عامة من مولاي
الشيخ أحمد المحاميد بالعلوم الشرعية - أذكرها في نهاية المقدمة إن شاء
الله تعالى.

وحين بدأت بتعليم العقيدة في معهد التهذيب والتعليم كنت أبحث
عن شرح مبسط لجوهر التوحيد فلم أعر عليه، فقممت بإملاء شرح
بسيط أو مذكرة حول هذه الأبيات التي جمعت عقيدة أهل السنة
والجماعة بأسلوب شيق فخرج كتابي (الجوهرة في شرح الجوهرة) في بداية
تلمذة جديدة على يدي سيد علماء التوحيد عند الفرافرة في معهد أبيهم

الشيخ صالح الفرفور ألا وهو العلامة الشيخ أديب الكلاس، فقد تابعت
تحصيل العقيدة على يديه فقرأنا قسطاً وافراً من كتاب الإمام الباجوري
على جوهرة التوحيد، وقد صبر الشيخ علينا صبر الأب الحنون على طفله
الصغير الذي بدأ يحبو على يديه ورجليه فكنا لا نمر على صغيرة وكبيرة
ولا مسألة في المنطق أو في اللغة أو في النحو أو في البلاغة مما ضمه هذا
السفر العظيم إلا وسألنا عنه الشيخ الذي كان قد قرأ المذكرة التي أعدتها
لطلاب الأول الشرعي وبناءً عليها سطر لي إجازة في التوحيد رصع بها
جبيني أبد الدهر فلا أنسى فضله ما حييت.

ثم بدأت بتدريس كتاب أم البراهين للإمام السنوسي على طلاب
الصف الثامن فاختصرت لهم كتاب حاشية الإمام الباجوري عليها.
كما قمت بإملاء ملخص لحاشية الإمام الباجوري على - الجوهرة
لطلاب - الصف التاسع في معهدنا الشرعي فكان الكتاب الرابع في سلسلة
العقيدة.

وفي هذه الآونة بالذات أو قبلها بقليل ١٤١٦ استأذنت مولاي العارف
بالله الشيخ الشاغوري في عرض سلسلة العقيدة في خطب الجمعة، فتردد
في موافقته لصعوبة هذا العلم، لكنني طمأنته بأن أسلوب العرض
سيسمعه في أوائل الخطب المنبرية، فإن رأى أن نتوقف عندها وقفنا وإلا
تابعنا الطريق إلى النهاية.

وقد كان، وتحقق الحلم. فقد سرَّ الشيخ من أسلوب العرض ورضي
عنه، ولكن من كان حولنا توقع أن نتوقف في منتصف الطريق فسلوكه
شائك وخاصة أننا نخاطب العامة بجميع مستوياتهم.
ولكن الله عز وجل أكرمنا ثم أكرمنا وزاد في إكرامنا. فقد تدفق على

مسجد الدرويشية الناس من كل صوب ومن كل ناحية، من دمشق وحولها، من سورية وماحولها، كان بعض الإخوة يحلفون لي أنهم يغادرون باكراً من قراهم ومدنهم ليحضروا الجمعة في جامعنا ثم يعودون لبلادهم، من إدلب، وبيروت، والأردن، وحمص، والعبادة وجسرين، والمخيم، والمهاجرين، والمزة، والكسوة وصحنايا، وبقية مناطق دمشق حتى اضطررنا إلى فرش سجاد على الأرصفة المحيطة بالمسجد وإقامة الخيم فوقها منعاً من تسلط أشعة الشمس المحرقة في الصيف.

وتدقق الناس من كل فج عميق، حتى كنت أرى أكثر من عشرين مسجلة مزروعة على أطراف المسجد من الداخل ومن الخارج وعلى المنبر وبجوار المحراب وعلى أعمدة المسامع وبأيدي المصلين وأمامهم فكان التوفيق من الله تعالى لا يوصف، ومحبة الناس وفرحهم بهذا العلم لا يكشف، وكنت أرصد ملاحظات الأشياخ الأكارم، وأقوم بإسماعهم بعض الخطب لأكسب توجيهاتهم القيمة.

ومرّ على ذلك سنوات وملف العقيدة يتكامل شيئاً فشيئاً من الإلهيات إلى النبويات إلى السمعيات، من عقيدة الإيمان بالله تعالى إلى عقيدة الإيمان بالأنبياء، إلى عقيدة الإيمان بالملائكة، فالكتب السماوية فالإيمان باليوم الآخر فالإيمان بالقضاء والقدر، حتى بلغت مراجع الكتاب في علم التوحيد قريباً من مئة كتاب صففت على أطراف المكتب حولي وضجت بها ربة منزلي العفيفة الحبيبة التي آلت على نفسها أن تضحي بوقتها والإشراف على أولادها رغم مرضها لتهيئ الجو الملائم للداعية إلى الله تعالى، والفرحة تملأ حناياها أن ذلك كله في صحيفتها يوم القيامة كما أخبر به نبينا ﷺ خطيبة النساء التي قدمت إليه رضي الله عنها.

فإن يكن من شكر يوجهه فإلى الله تعالى ثم إلى سيد الموحدين جدي رسول الله ﷺ.

ثم إلى إمامي هذا الفن أعني بهما الإمام الأشعري والإمام الماتريدي،
ثم خلفاؤهم في عالم الأجسام ثم إلى الأشياخ القدوة مولاي الوالد ومولاي
المحاميد ومولاي الشاغوري ومولاي التلمساني ومولاي الشيخ رفيق
السباعي ومولاي السروبي ومولاي الكلاس فاعل الله تعالى أن يجعلني ثمرة
من ثمراتهم في الدنيا والآخرة، وأن يجمعني تحت لوائهم وتحت اللواء
الأعظم لواء سيدنا رسول الله ﷺ إنه خير مأمول وبالإجابة جدير.

هذا الكتاب:

يحتوي هذا الكتاب ضبطاً لأمّهات مسائل التوحيد وقضاياها، وقد
ضبط هذه المسائل والقضايا مولانا عزوجل ضبطاً محكماً عظيماً قام
عليه صرح هذا العلم الشامخ جمعها مولانا في آية من كتابه ثم فصله
تفصيلاً، فأما الإجمال فقولته: ﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه
ورسوله، لا نفرق بين أحد من رسله، وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا
وإليك المصير﴾. فهذا أحسن ضبط يمكن ذكره لأركان علم التوحيد.

(أما الركن الأول) - وهو الإيمان بالله، فهو أنه يشتمل على خمسة
أقسام: معرفة الذات والصفات والأفعال والأحكام والأسماء.

١- أما معرفة الذات فهي أن يعلم وجود الله تبارك وتعالى.

٢- وأما معرفة الصفات فهي نوعان:

النوع الأول: ما يجب تنزيهه عنه، وهو كونه جوهراً ومركباً من
الأعضاء والأجزاء وكونه مختصاً بحيز وجهة، ويجب أن يعلم أن الألفاظ
الدالة على التنزيه أربعة: ليس ولم وما ولا، وهذه الأربعة المذكورة المذكورة
في كتاب الله تعالى لبيان التنزيه.

أما كلمة (ليس)، فقولته ﴿ليس كمثله شيء﴾.

وأما كلمة (لم)، فقولته ﴿لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد﴾.

وأما كلمة (ما)، فقولته ﴿وما كان ربك نسياً﴾، ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد﴾.

وأما كلمة (لا)، فقولته تعالى ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾، ﴿وهو يطعم ولا يطعم﴾، ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾، وقوله في سبعة وثلاثين موضعاً من القرآن ﴿لا إله إلا الله﴾.

النوع الثاني: وهي الصفات التي يجب كونه موصوفاً بها من القرآن.

فأولها القدم: وهو قوله تعالى ﴿وهو الأول﴾.

وثانيها البقاء: وهو قوله تعالى: ﴿والآخر﴾. وقوله ﴿وببقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ أي ذاته جل جلاله.

وثالثها العلم بالله، والعلم بكونه محدثاً خالقاً، قال تعالى: ﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض﴾.

ورابعها: العلم بكونه قادراً، قال تعالى في أول سورة القيامة ﴿بلى قادرين على أن نسوي بنانه﴾ وقال في آخر سورة أخرى ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾. ومنها أخذ العلماء صفة القدرة.

خامسها: العلم بكونه تعالى عالماً، قال تعالى: ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة﴾. ومنها أخذ العلماء صفة العلم.

سادسها: العلم بكونه عالماً بكل المعلومات، قال تعالى ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ وقوله تعالى ﴿الله يعلم ما تحمل كل أنثى﴾.

سابعها: العلم بكونه حياً، قال تعالى ﴿وهو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين﴾. ومنها أخذ العلماء صفة الحياة.

ثامنها: العلم بكونه مريداً، قال الله تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾. ومنها أخذ العلماء صفة الإرادة.

تاسعها: كونه سميعاً بصيراً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
وقال تعالى ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾. ومنها أخذ العلماء صفات
السمع والبصر.

عاشرها: كونه متكلماً، قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَن مَائِ فِي الْأَرْضِ مِنْ
شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ﴾.
وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ ﴿فَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا
وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾. ومنها أخذ العلماء صفة الكلام.

حادي عشرها: له الأمر، قال تعالى: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِ﴾.
ثاني عشرها: كونه رحماناً رحيماً مالِكاً، قال تعالى ﴿الرَّحْمَنُ
الرَّحِيمُ، مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ﴾ فهذا ما يتعلق بمعرفة الصفات التي يجب
اتصافه بها.

٣- معرفة الأفعال : لأن الأفعال إما أرواح وإما أجسام، أما
الأرواح فلا سبيل للوقوف عليها إلا للقليل، كما قال تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ
جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾.

وأما الأجسام: فهي إما العالم الأعلى وإما العالم الأسفل.

آ- العالم الأعلى: فالبحث فيه من وجوه:

أحدها: البحث عن أحوال السموات.

ثانيها: البحث عن أحوال الشمس والقمر كما قال تعالى ﴿إِنْ
رَبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ
اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا
وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مَسْخَرَاتُ بَأْمَرِهِ﴾.

ثالثها: البحث عن أحوال الأضواء، قال الله تعالى ﴿اللَّهُ نُورٌ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ وقال تعالى ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ
ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾.

رابعها: البحث عن أحوال الظلال، قال الله تعالى ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكناً﴾
خامسها: اختلاف الليل والنهار، قال الله تعالى ﴿يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾.
سادسها: منافع الكواكب. قال تعالى: ﴿وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر﴾
سابعها: صفات الجنة، قال تعالى ﴿وجنة عرضها كعرض السماء والأرض﴾
ثامنها: صفات النار، قال تعالى ﴿لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾.
تاسعها: صفة العرش، قال الله تعالى ﴿الذين يحملون العرش ومن حوله﴾.
عاشرها: صفة الكرسي، قال تعالى ﴿وسع كرسیه السموات والأرض﴾.
حادي عشرها: صفة اللوح والقلم. أما اللوح، فقوله تعالى ﴿بل هو قرآن مجيد. في لوح محفوظ﴾ وأما القلم، فقوله تعالى ﴿بن والقلم وما يسطرون﴾.

ب- أحوال العالم الأسفل:

أولها: الأرض، وقد وصفها بصفات كثيرة:

- ١- كونه (أي العالم الأسفل) مهذاً، قال تعالى ﴿الذي جعل لكم الأرض مهذاً﴾.
- ٢- كونه مهذاً، قال تعالى ﴿ألم نجعل الأرض مهذاً﴾.
- ٣- كونه كفاتاً قال تعالى ﴿كفاتاً، أحياء وأمواتاً﴾.
- ٤- الذلول، قال تعالى ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً﴾.
- ٥- كونه بساطاً. قال تعالى ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾.

لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً والكلام فيه طويل.

ثانيها: البحر قال تعالى: ﴿وهو الذي سخر لكم البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾.

ثالثها: الهواء والرياح، قال تعالى ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته﴾ وقال تعالى ﴿وأرسلنا الرياح لواقح﴾ رابعها: الآثار العلوية كالرعد والبرق، قال تعالى ﴿ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته﴾ وقال تعالى ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ ومن هذا الباب ذكر الصواعق والأمطار وتراكم السحاب.

خامسها: أحوال الأشجار والثمار وأنواعها وأصنافها.

سادسها: أحوال الحيوانات، قال تعالى ﴿وبث فيها من كل دابة﴾ وقال ﴿والأنعام خلقها لكم﴾.

سابعها: عجائب تكوين الإنسان في أول الخلقة، قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾.

ثامنها: العجائب في سمعه وبصره ولسانه وعقله وفهمه.

تاسعها: تواريخ الأنبياء والملوك وأحوال الناس من أول خلق العالم إلى آخر قيام القيامة.

عاشرها: ذكر أحوال الناس عن الموت وبعد الموت، وكيفية البعث والقيامة، وشرح أحوال السعداء والأشقياء.

٤- معرفة أحكام الله تعالى وتكاليفه، فنقول هذه التكاليف

إما أن تحصل في أعمال القلوب أو في أعمال الجوارح:

آ- تكاليف في أعمال القلوب:

فهو المسمى بعلم الأخلاق وبيان تمييز الأخلاف الفاضلة والأخلاق

الفاصلة، والقرآن يشتمل على كل ما لا بد منه في هذا الباب، قال الله تعالى

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾، وقال ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.. وقال تعالى: ﴿ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً﴾.

ب- تكاليف في أعمال الجوارح:

وهو المسمى بعلم الفقه والقرآن مشتمل على جملة أصول هذا العلم على أكمل الوجوه. كأحكام الوضوء وصلاة الخوف، وأحكام الطلاق وعدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها.

هـ - معرفة أسماء الله تعالى فهو مذكور في قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾.

فهذا كله يتعلق بمعرفة الله مما هو موجود في كتابنا هذا والفضل لله تعالى.

الركن الإيمانى الثانى:

الإيمان بالملائكة الكرام : من الأصول المعتبرة في الإيمان: الإقرار بالملائكة كما قال تعالى ﴿والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته﴾ والقرآن يشتمل على شرح صفاتهم تارة على سبيل الإجمال وأخرى على طريق التفصيل:

أما الإجمال: فقوله ﴿وملائكته﴾.

وأما التفصيل فمنها ما يدل على كونهم رسل لله قال تعالى ﴿جاعل الملائكة رسلاً﴾.

❖ ومنها أنها مدبرات لهذا العالم، قال تعالى ﴿فالمقسمات أمراً فالدبرات أمراً﴾ وقال تعالى ﴿والصافات صفاً﴾.

❖ ومنها حملة العرش قال ﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾

﴿ومنها الحافون حول العرش قال ﴿وترى الملائكة حافين من
حول العرش﴾

﴿ومنها خزنة النار قال تعالى ﴿عليها ملائكة غلاظ شداد﴾
﴿ومنها الكرام الكاتبون قال تعالى: ﴿وإن عليكم لحافظين
كراماً كاتبين﴾

﴿ومنها المعقبات قال تعالى ﴿له معقبات من بين يديه ومن
خلفه﴾، وقد يتصل بأحوال الملائكة أحوال الجن والشیاطين. كما أثبتناه
عن طريق تفصيلنا لهذا الركن داخل كتابنا هذا ولله الحمد والمنة.

الركن الإيماني الثالث:

الإيمان بالكتب السماوية :

من الأصول المعتمدة في الإيمان معرفة الكتب، والقرآن يشتمل
على شرح أحوال كلمات آدم عليه السلام قال تعالى ﴿فتلقى آدم من
ربه كلمات﴾

﴿ومنها أحوال صحف إبراهيم عليه السلام قال تعالى ﴿وإذ ابتلى
إبراهيم ربه بكلمات فاتمهن﴾، وقال تعالى: ﴿إن هذا لفي الصحف
الأولى صحف إبراهيم وموسى﴾.

﴿ومنها أحوال التوراة والإنجيل والزبور.

الركن الإيماني الرابع:

الإيمان بالأنبياء والرسل :

من الأصول المعتمدة في الإيمان معرفة الرسل، والله تعالى قد شرح
أحوال بعضهم وأبهم أحوال الباقيين قال ﴿منهم من قصصنا عليك
ومنهم من لم نقصص عليك﴾.

ما يجب على المكلفين: وهو على نوعين:

الأول: أن يقرروا بوجوب هذه التكاليف عليهم، وهو المراد من قوله
﴿وقالوا سمعنا وأطعنا﴾.

والثاني: أن يعترفوا بصدور التقصير عنهم في تلك الأعمال ثم يطلبوا المغفرة وهي المراد من قوله ﴿غفرانك ربنا﴾.

الركن الإيمانى الخامس:

الإيمان باليوم الآخر:

معرفة المعاد والبعث والقيامة، وهو المراد من قوله تعالى: ﴿واليك المصير﴾.

الركن الإيمانى السادس:

الإيمان بالقضاء والقدر:

ففي آيات أخر نحو قوله تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ وقوله ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾.

فهذه هي أبواب الكتاب الستة التي تفرعت عنها كل ما تعلمته من أشياخي الكرام خلال حياتي العلمية، وعلى ضوء مطالعاتي لمختلف الكتب المتنوعة في علوم الشريعة، شرحت ذلك على منظومة التوحيد التي نظمها الشيخ عبد المجيد الشرنوبى كلمة كلمة وبيتاً بيتاً، وهي وإن كانت قليلة الأبيات (٢٩ بيتاً) لكنها حوت معظم مسائل التوحيد، وكنت أحياناً أضيف إليها ما تركه الناظم، لذا استعنت بعدد من المنظومات على رأسها جوهرة التوحيد.

ولكن الذي حزننى عليه أننى لم أدون في حواشي الكتاب مصدر كل عبارة نقلتها عن هذه الكتب ومما يعزىنى أن هذا الكتاب هو في الخطب المنبرية، ومعلوم أن المستمع لا يطالب غالباً بالمصدر، وإنما الذي يهيمه القضية التوحيدية. ولهذا خلا الكتاب من مصادر العبارات التفصيلية لكننى وضعت في آخره جميع المصادر التي استقيت منها جميع المسائل الهامة، والتي أرى لطالب علم التوحيد أن تكون بحوزته وتحت يده لتزىن عقله وقلبه الإيمانى ثم مكتبته .

إجازة فضيلة الشيخ محمد ديب الكلاس

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى
آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد:

فقد أطلعني أخي الشيخ عبد العزيز الخطيب الحسني على
رسالته المسماة:

«الجوهرة في شرح الجوهرة»

شرح فيها أبيات منظومة التوحيد للإمام اللقاني المالكي رحمه الله
تعالى المتوفى سنة ١٠٤١هـ.

حاول فيها أخونا في الله تعالى أن يأتي بشرح أبيات مختصرة
موجزة لتناسب طلاب الصف الأول الشرعي الذي يقوم بتدريسه في
معهده «التهذيب والتعليم».

قمت بقراءة الرسالة حرفاً حرفاً فوجدتها مقسمة على موضوعات
وأقسام هذه المنظومة، ورأيتهما قد جمعت إلى جانب الشرح طلاوة
العبارات وحسن ترتيبها فأنت كالجوهرة في دقة صنعها وجمال تنسيقها.
وقد أجزته بما فيها فرعاً فرعاً وبما أجازني به أشياخي
الكرام في علم التوحيد.

والله أرجو أن ينفع بها عباده، إنه خير مسؤول وبالإجابة جدير.

١٤ جمادى الآخرة ١٤١٧

٢٦ تشرين أول ١٩٩٦

محمد ديب الكلاس

بسم الله الرحمن الرحيم

إجازة

الحمد لله الذي وصل من أراد من كَمُلَّ عبادَه وفقههم في الدين بتسلسل أمداده .
والصلاة والسلام على من تواتر إليه الوحي بأحكام الله ومراده . وعلى من حملها من
عدول الأمة بتصحیح إسناده . وسلم تسليمًا .

أما بعد : فإن علم الدين أعز وأشرف مطلوب . والفقه والحديث أنفس مقتنى ومرغوب .
حفظاً لهذا الدين الذي تواتر من الله نزوله لقوله صلى الله عليه وسلم « يحمل هذا
الدين من كل خلف عدوله »

وقد طلب مني الشيخ عبد العزيز بن الشيخ محمد سهيل بن الشيخ عبد الفتاح الخطيب
الحسني نسباً والشافعي والأشعري مذهباً والشاذلي طريقة والدمشقي مولداً وإقامة، أن
أجيزه بما اتصل إلي من مشايخي الأعلام بوأني الله وإياهم برحمته دار السلام، فأجزته بذلك
مما تلقينته عن سيدي الشيخ محمد الهاشمي وسيدي الشيخ سعيد الكردي وسيدي الشيخ عبد
القادر الدكالي وغيرهم .

كما أجيزه بالإرشاد والتدريس الديني وبإعطاء الورد العام وأسأل الله تعالى أن يكون
أهلاً لذلك وأن ينفع به عارفيه ويجنبه معاصيه ويوفقه لما يحبه ويرضيه .
وإني أوصي المجاز أن يلازم تلاوة القرآن في كل مكان، وأن يعمر أوقاته بذكر الرحمن
وحسن خاتمة الإيمان وصلى الله على سيدنا محمد سيد بني الإنسان وآله وصحبه مدى
الزمان .

حررته يده عن العبد الفاني

الشيخ عبد الرحمن الشاغوري

شيخ الطريقة الشاذلية

الشيخ عبد الوكيل الدروبي : إنني أوافق على ذلك

الشيخ أحمد نصيب المحاميد : أؤكد ما أجيز به الشيخ عبد العزيز الخطيب وأنا أجيزه

بذلك أيضاً فهو أهل لكل علم وموئل لكل فضيلة . نسأل الله له الزيادة والتوفيق .

مدرس دمشق: أحمد نصيب المحاميد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله الواحد في صفاته، الماجد في حلى آياته، المعروف بالقدم والبقاء قبل
إيجاد مخلوقاته، الموصوف بكبرياء ردائه، وعظمة إزاره، وأشكره على جزيل هباته،
وأسأله أن لا يقطع عنا عوائد صلاته، وأن يوفقنا لطاعته .
وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي هو أفضل مخلوقاته، وعلى آله وصحبه
وسلم تسليماً . أما بعد :

فإن الله تعالى كلف عباده بالتكاليف، وجعلها على نوعين :
منها ما يطلب علماً ، وتسمى بالعقائد أو أصول الدين .
ومنها ما يطلب عملاً ، وتسمى بالشرعية أو الفروع .
وحدها الإسلام، وطلب من الناس الإيمان بها، والإيمان هو : الاعتقاد الجازم
المطابق للواقع عن دليل .

وللإيمان عقائد أساسية لا يقبل إيمان العبد إلا بها، وقد جعل الإسلام عنوان
تحقق هذه العقائد الشهادة بأن الله واحد، وأن سيدنا محمداً رسوله :

« أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سيدنا محمداً رسول الله »

فكانت تلك الشهادة هي المفتاح الذي يدخل به الإنسان في الإسلام وتجري
عليه أحكامه، فالشهادة بوحداية الله تتضمن كمال العقيدة في الله من جهتي
الربوبية (الخلق والتربية) والألوهية (العبادة) .

والشهادة برسالة سيدنا محمد ﷺ تتضمن التصديق بكمال العقيدة في الملائكة
والكتب والرسل واليوم الآخر والقضاء والقدر وأصول الشريعة والأحكام، قال
تعالى : ﴿ آمَنَ الرُّسُلُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ
وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نَفَرَقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا

وإليك المصير ﴿٥٥﴾ .

فلا يحكم بكفر عبد إلا إن أنكر تلك العقائد أو شيئاً منها بعد أن بلغته على وجهها الصحيح وأبى أن يعتنقها ويشهد بها عناداً واستكباراً .

والإسلام عندما يطلب من الناس أن يؤمنوا بتلك العقائد لا يحملهم عليها إكراهاً، لأن طبيعة الإيمان تأبى الإكراه، قال تعالى: ﴿٥٦﴾ لا إكراه في الدين ﴿٥٧﴾، وكان فيما قاله الله تعالى لنبيه ومصطفاه ﴿٥٨﴾ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴿٥٩﴾ .

وجعل لدخول الإيمان في القلب وسائل، منها النظر العقلي في هذا الكون، وأنه يتدبر هذا الخالق وعلمه وحكمته، وهذا الطريق هو أكثر ما أرشد إليه القرآن :

﴿٦٠﴾ إن في خلق السماوات والأرض، واختلاف الليل والنهار، والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها، وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴿٦١﴾

وقد قامت الأدلة على وجود الله تعالى، وعلى أن القرآن من عنده وليس من صنع البشر، وكان من ضرورة ذلك عند العقل الإيمان بأن ما تضمنه من الإخبار بالرسالات والكتب والنبين واليوم الآخر حق لا مرية فيه .

ولهذا بدأ علماء المسلمين يقومون بدورهم بنشر العقيدة والشرعية على مدى العصور الماضية كل حسب مقدرته العلمية ووجهته العقلية، منذ أن قام إماما التوحيد الأشعري والماتريدي رضي الله عنهما، ومن اتبع طريقتهما في نشر علم العقيدة، حتى غدت المكتبة الإسلامية عامرةً وزاهرةً بكتب العقيدة التي جمع منها هذا السفر الكبير الذي قام على تصنيفه وتبويبه الأخ الشيخ عبد العزيز الخطيب

الحسني ابن العلامة الشيخ محمد سهيل رحمه الله تعالى، وقد بلغت مراجع هذا الكتاب نيفاً وأربعين مصدراً ومرجعاً، عرض فيه العقيدة في أسلوب سهل لطيف يدخل قلوب قارئيه وسامعيه، وجمع فيه أصول العقيدة وجزئياتها، وبناء على منظومة العقيدة للشيخ عبد الحميد الشرنوبلي، وبعض منظومات العقيدة الأخرى .

وقد لاقى فتوحاً وتوفيقاً في عرض هذه المواضيع على منبر جامع الدرويشية جذب فيه الناس لحضور أبحاثه حتى كان الشارع المؤدي إلى مسجده يغص بالمصلين يوم الجمعة، وكنت أراهم عند مروري إلى جامع النورية كل جمعة عقب صلاتها، ولا شك أن هذا الفتح هو من توفيق الله تعالى له ورضأ أشياخه ووالديه عليه .

وأرجو من الله العلي القدير أن يوفقه لنشر عقيدة أهل السنة والجماعة ونشر الشريعة الغراء، وأن ينفع به الخلق أجمعين، إنه خير مسؤول وبالإجابة جدير .
والحمد لله رب العالمين .

دمشق في ٢١ جمادى الآخرة ١٤١٩

١٢ تشرين الأول ١٩٩٨

الفقير إليه تعالى
عبد الرحمن الشاغوري

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على خاتم النبيين . وإمام المرسلين
سيدنا محمد الرازي الأمين . وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد فإن الأئمة
الفاضل . الوفي المواصل (الشيخ عبد العزيز الخطيب) قد أطلعني على مؤلفه
(السعي نفعات منبرية في القضايا الإسلامية) وهو مجموعة خطب جمعة . أراها في
جامع الدرر ونسبته في دمشق المحمية . التزم في موضوع العقيدة والتوحيد
وهو موضوع قيم . والناس في العناية به مقصرون . والبر مفترون
فإن تصحيح العقيدة . مقدم على جميع الشؤون . فصورة الأعمال وحدها
يقوم برز المؤمل والجاهد . والكتاب المتردد . وصديق المؤلف . حفظه الله
وسدد خطاه . دأب على البحث في العقيدة . يزاوله في مؤلفاته ودروسه
جزاه الله خيراً . وقد سبقه فكان أئمة له حجة والده المرحوم
فضيلة الشيخ سرحيل الخطيب . الذي تعرفت عليه من طفولتي فقد
كانه استاذاً يدر بنا على الرياضات البدنية . كما كنت ألاحظه وهو
يكتب دروس الحديث الأكبر الشيخ بدر الدين الحنف في الجامع الأموي
وعرفته مفتشاً ورئيساً للجنة المباحثات في مديرية الأوقاف ولم تكن
وزارة . وكان رحمه الله في كل مهماته أميناً ناصحاً . ومرشداً مهلاً . وقد خلفه
ولده الشيخ عبد العزيز في سمته وسلوكه . فكان خير خلفه لخير سلف . أملا منه
هذا المؤلف الجديد . فتقني بمؤلفه حرصاً على الحق . متحرراً للصريح أغشني
عنه تصفحه . واكتفيت بقراءة المقدمة . وأرجو له النجاح . وأنه ينفعني الله
بدعوة صلاحه . تصلياً بشرف النسب . والله العالم نسب : راجي المغفرة

صادق حنبله
محمد حنبله



الركن الإيمانى الأول

باب
الالهيات

المقدمات في العقيدة

- ١ -

الحمد لله الذي يتحير العقل عن أوصافه ويقف ، ولا يجوز تشبيهه
فمن شبهه هلك ومن عطله تلف .

أحمده سبحانه وتعالى على جزيل نعمه التي منها نغترف .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، واحد أحد ، فرد
صمد ، لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، إله أقسم بالسماوات
الحُبُّك : إنكم لفي قول مختلف .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله رافع لواء التوحيد ، هو البطل
الذي أعلنها صريحة مدوية في قلعة الأصنام ، اسمعه وهو يقول (أحمد -
حا : ض) : «أيها الناس جددوا إيمانكم . قالوا : وكيف نجدد إيماننا يا رسول
الله قال : أكثروا من قول لا إله إلا الله» و«لقنوا موتاكم لا إله إلا الله»
(م) ، «ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» (م) .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد الذي هو من بحر فيض
الكريم يغترف ، وعلى آله وصحبه الذين كل منهم بالكمال متصف ،
وسلم تسليماً .

أما بعد :

فيقول عليه الصلاة والسلام «من قرأ سورة (قل هو الله أحد) إحدى
عشرة مرة في اليوم ابتغاء مرضاة الله نزع الله الفقر من بين عينيه ، وجعل
غناه في قلبه وحشى قلبه بالحكمة» .

قل هو الله أحد هي سورة الإخلاص ، هي سورة التوحيد .

قال ذات يوم ﷺ لأبي ذر : يا أبا ذر إن جبريل يقرئك السلام .

قال أبو ذر : وهل يعرفني جبريل يارسول الله .

قال الحبيب الأعظم : قد سألت جبريل هذا السؤال ، أتعرف أبا

ذر يا جبريل ؟

قال سيدنا جبريل : وكيف لا أعرف أبا ذر وجميع ملائكة

السماء تعرفه !

قلت : وكيف عرفته ملائكة السماء ؟ !

قال سيدنا جبريل : عرفته بكثرة قراءته لقل هو الله أحد .

أيها السادة الموحدون

من الأحد؟ من الصمد؟ من العدل؟ من المقسط؟ من المبدئ؟ من

الرحيم؟ من الرحمن؟ من علم القرآن ، من خالق الإنسان ، من علمه البيان؟

من الذي له النجم والشجر يسجدان؟ من بيده الأمر كله؟ من الواحد؟ من

الماجد؟ من الواحد؟ إنه الواحد الأحد .

لا إله إلا الله : أخلو بها وحدي ، لا إله إلا الله ، أفني بها عمري ، لا

إله إلا الله : يغفر بها ذنبي . لا إله إلا الله : أدخل بها قبوري ، لا إله إلا

الله : ألقى بها ربي .

الله ربي لا أريد سواه هل في الوجود حقيقة إلا هو

أيها الإخوة

وقفت فيكم اليوم لأفتح معكم ملفاً هو أفضل من ملف الفقه . إنه

ملف التوحيد أو العقيدة .

لأن الدين الإسلامي أيها الإخوة ذو ثلاثة أركان :

علم الإسلام وهو (الفقه) ومحله الجسم ،

وعلم العقائد (وهو الإيمان) ومحله القلب ،
 وعلم الإحسان (وهو الإخلاص) ومحله الروح ،
 وكلامنا سيكون في الأمر الثاني وهو العقيدة .
 نعم العقيدة التي بقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة
 سنة في مكة وهو يدعو أهلها لأن يقولوا : لا إله إلا الله ، العقيدة التي لا
 يقبل الإسلام إلا بها ، لأنها تعني :
 الإيمان بالله تعالى موجد الأكوان بلا شريك :
 وتعني الإيمان بملائكة الله الذين لا يدركهم البصر ولا المجهر إلا
 الخواص .
 وتعني الإيمان بكتب الله وشرعية الله التي أنزلها ليسير على هديها
 العباد والبشر .
 وتعني الإيمان برسول الله الذي أخرجوا الناس من الظلمات إلى
 النور ، وب :
 اليوم الآخر يوم ينتصف المظلوم من الظالم ، ويجازى كل بعمله ، وب :
 القضاء والقدر خيره وشره من الله تعالى خالق النفع والضر .
 هذه هي أركان العقيدة الستة ، وسميت عقيدة لعقد قلبنا عليها ،
 كأننا ربطنا (عقدنا) قلوبنا بذلك الأمر ، والعرب تسمى الأمر المحتم عقداً .
 ولكنني وقبل أن أفتح هذا الملف في القضايا الاعتقادية ، أريد أن
 أعرفكم بإمامين جليلين اشتهرا بهذا العلم فنسب إليهما ، فكما أن لدينا
 في الفقه مذاهب أربعة ، فهناك مذهبان في العقيدة لا ثالث لهما ، سمي
 كل مذهب باسم إمامه الداعي إليه ، أما الأول : فهو : الإمام أبو الحسن
 الأشعري ، وإليه تنسب عقيدة الأشاعرة ، وهي عقيدة أتباع الإمام مالك
 والشافعي والحنابلة وبعض الحنفية . من المتأخرين .

وأما الثاني فهو : الإمام أبو منصور الماتريدي ، وإليه تنسب العقيدة الماتريدية وهي أتباع الإمام أبي حنيفة النعمان وبعض الشافعية والمالكية المتأخرين .

هذان الإمامان الجليلان هما إماما المتقدمين من أهل السنة ، ظهر الأول بالبصرة ، وظهر الثاني بسمرقند ، وكثيراً ما نرى الإشارة إليهما في كتب العقيدة ، ونسمع إلى جوارهما أسماء أئمة آخرين شاركوا في نشر عقيدة أهل السنة والجماعة ، أمثال :

حجة الإسلام الإمام محمد بن محمد الغزالي ، والإمام فخر الدين الرازي ، وإمام الحرمين الجويني ، والإمام أبو إسحق الشيرازي ، وأبو إسحق الإسفراييني ، هؤلاء هم أبطال الأمة في العقيدة ، ولئن نسينا هذه الأسماء فلا ينبغي علينا أن ننسى اسمي اللذين دوناً لنا العقيدة ونشراها حتى اشتهرت باسماء البطلين الإمامين أبي الحسن الأشعري ، وأبي منصور الماتريدي .

أما سيدنا وقدوتنا^(١) إلى الله سيدنا أبو الحسن فهو علي بن إسماعيل الأشعري ، يصل نسبه إلى سيدنا أبي موسى الأشعري ، الصحابي الجليل ، فقد اشتهر هذا الإمام بذكائه المفرط ، وقوة فهمه ، وتبحره في العلم ، وله مؤلفات كثيرة جداً .

بدأ حياته بدراسة مذهب المعتزلة (كان معتزلياً) ، وبرع فيه حتى أصبح رأساً من رؤوس المعتزلة ، وكان لفصاحته يتولى الجدل نائباً عن شيخه الجبائي ، ثم كره مذهب الاعتزال ، وتبرأ منه على منبر البصرة ، وأنه تاب إلى الله تعالى وعاد إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، وقف في إحدى الجمع فقال :

كنت أقول بخلق القرآن ، وأن الله لا يرى بالأبصار ، وأن الشر فعلي ليس بقدر ، وإنني تائب معتقد الرد على المعتزلة .

(١) بعد سيدنا رسول الله والصحابة الكرام فكل رجل عالم صالح تقي تدوتنا إلى الله تعالى وقد قال ﷺ : اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر .

وما أن نزل منبر البصرة حتى سارع إليه الناس يهتفون ، واستقبله شيخه الجبائي المعتزلي ليرده إلى مذهب الاعتزال ، فقال له سيدنا أبو الحسن الأشعري :

- أناظرك أمام الناس في مسألة فإن أقنعتني أعود إلى الاعتزال ، (وكان الإمام الأشعري يقول بأن الله يجوز أن يفعل الصلاح والأصلح ، والجبائي يقول يجب عليه ذلك ، فأراد الأشعري أن يرده عن هذه المسألة بمثال بسيط .) ، فقال لشيخه الجبائي :

- ماذا تقول في ثلاثة صغار ، مات أحدهم ، وكبر اثنان ، فأمن أحدهم وكفر الآخر . فما العلة في احترام الطفل (في وفاته باكراً قبل البلوغ) . قال الجبائي : لأن الله تعالى علم أنه لو بلغ لكفر ، فكان احترامه أصلح له .

قال الإمام الأشعري : فقد أحيا أحدهما فأمن .

قال الجبائي : إنما أحياه ليعرضه أعلى المراتب .

قال الإمام الأشعري : فلم لا أحيا الطفل ليعرضه لأعلى المراتب .

قال الجبائي : وسوست!!

قال الإمام الأشعري : لا ، ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة .

وهكذا معشر السادة رد الإمام الأشعري على شيخه ما كان يدعيه ، وبين أنه لا يجب على الله شيء عقلاً فكانت هذه المناظرة وأشباهاها سبباً في تركه مذهب الاعتزال وعودته إلى مذهب أهل السنة والجماعة .
أيها الإخوة :

صنف هذا الإمام ٣٠٠ مؤلف ، رد في أكثرها على المعتزلة والفرق الضالة ، حتى توفاه الله تعالى سنة ٣٢٤ هـ .

وأما الإمام أبو منصور الماتريدي فأكثر متبعيه من السادة الحنفية ، وهو إمام ساوراء نهر دجلة (أي في إيران) ، وهو محمد بن محمد بن محمود

الماتريدي ، نسبةً إلى قرية ماتريد بسمرقند .

درس آراء الإمام أبي حنيفة النعمان في العقيدة ، ونظر فيها واستقى علمه منها ثم شرحها بأسلوبه ومعارفه التي حصل عليها طيلة حياته العلمية ، وأراؤه لا تختلف عن آراء الإمام الأشعري . من حيث النتائج ، وإنما اختلفا في طريقة العرض والمقدمات ، لكنه يختلف عن الإمام الأشعري بأنه جعل لمصدر العقيدة النقل والعقل ، فإذا اختلفا قدم النقل والشرع على العقل ، وجعل للعقل استقلالاً أن يتعرف على الله تعالى ولو لم يبعث الله نبياً بين ذلك .

توفي هذا الإمام بسمرقند سنة ٣٢٣هـ .

أيها الإخوة :

هذه المقدمة اللطيفة البسيطة التي عرضتها على حضراتكم كان لا بد منها . وها نحن في الصفحة الأولى من هذا الملف ، فإن الذي دعاني لأفتح لكم هذا الملف أن عقيدة العباد في عصرنا الفاسد أصيبت بهزة عنيفة ، وأزمة حادة كادت تقضي عليها ، وانتشرت ألفاظ الكفر والردة في الطرقات والشوارع دون مبالاة أو انتباه ، وارتفعت أصوات المصلحين تنادي بالعودة إلى الدين والتشبث بالعقائد الموروثة عن أنبياء الله ورسله قبل أن يعم الظلام نواحي الحياة ، ويغطي الضلال طغياناً لا قبل لأحد بمقاومته ، ولن ينفع عندها التقدم العلمي ولا الثقافي ، ولن يوفر للناس الأمن والسلام ، وستصاب الإنسانية بنكسة خطيرة لتركها الدين وعقيدة التوحيد ، ولقد حذر المصطفى من هذا الترك فقال : (د-ت-ن-ه-أحمد) .

«افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة» (د-ت : حسن صحيح) .

وقال : «أقبلت الفتن يتبع آخرها أولها» .

ولم يجد المصلحون لإصلاح قلوب العباد مثل غرس العقيدة الصحيحة ، لأن العقيدة إذا امتزجت في قلب العبد ودمه ، وغذاها بالعمل الصالح ونماها بالبر والتقوى أكرمه مولانا بخوارق وكرامات كالتي نسمعها عن سلفنا الصالح كمصعب بن عمير الذي :

« كان يحمل لواء سيدنا النبي يوم أحد ، حين اختل الموقف في ميدان القتال ، فثبت فيه ، وتشتد صدمة قریش على المسلمين ، فينكشفون بسبب مخالفتهم أمر القائد الأعظم للأمة ، ويتفرقون عن اللواء ، ولكن مصعباً أثبت قدمه في الأرض محتفظاً بلواء سيدنا رسول الله ﷺ جهد الاستطاعة ، ويقبل على حامل اللواء فارس من قریش فيضرب يده بالسيف فيقطعها ، ويسقط اللواء فيسرع سيدنا مصعب ويتناول اللواء بيده الأخرى ويرفعه عالياً ، ولكن فرسان قریش تتكاثر عليه ويضربه أحدهم على يده الأخرى فيقطعها ، وتبقى قدمه ثابتة ، لا يزول ولا يميل ، وما زال اللواء مرفوعاً يضم عليه عضديه ، ويغيظ ذلك فرسان قریش ، فيكرون على مصعب وينفذون رماحهم في صدره فيسقط ويسقط معه اللواء ، فيتلقى اللواء أخوه أبو الروم ، وما يزال اللواء لواء رسول الله ﷺ مرفوعاً حتى يبلغ المدينة . (مرسل بن عمير بسند صحيح) (١) .

ويرى رسول الله ﷺ مصعباً في ميدان القتال مضرجاً بدمه ، فيتلو قول مولانا عز وجل :

﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً ﴾ / الأحزاب : ٢٣ .

ثم يقول : « إن رسول الله ﷺ يشهد أنكم الشهداء عند الله يوم القيامة » .

وأنا أسأل : لم هذه التضحية؟ ولم هذا الإقدام وهذه البسالة ، أليست هي العقيدة ، أليس هو الإيمان الراسخ؟ جعلهم ينطلقون في الأرض كالشعلة في الهشيم تحيله ناراً ونوراً ، أليست هي العقيدة التي جعلت لقاء الله ﷻ في

(١) عند ابن المبارك في كتاب الجهاد .

من أركان العقيدة .

والتوحيد - أيها الإخوة - ينقسم إلى ثلاثة أركان :

إلهيات - نبويات - سمعيات

إلهيات : أمور تتعلق بالذات الإلهية .

نبويات : أمور تتعلق بالأنبياء .

سمعيات : أمور تتعلق بالأمور التي وردتنا سماعاً من الكتاب والسنة .

هذه الأقسام الثلاثة كلها تشتمل على كلمة التوحيد - الوجدانية ، لكنني اليوم أتدبر معكم هذه الصيغة : لا إله إلا الله . لأنه مرة سألني أحد تلامذتي قال : كيف اشتق العلماء الصفات الإلهية من هاتين الشهادتين ، مع أنها لا تدل إلا على الوجدانية .

فقلت له : إنها اعتراف بأنه سبحانه هو المعبود بحق ، والمعبود بحق جامع لكل كمال ، ومنزه عن كل نقص ، إذ لا يستحق العبادة التي هي نهاية التعظيم ، وغاية المحبة والخشية إلا من كان كذلك .

والألوهية تقتضي استغناء الإله عما سواه ، وافتقار كل ماعداه إليه ، اسمعوا هذا : معنى كلمة لا إله إلا الله ، أنه يستغني عن كل ماسواه ، ويفتقر إليه كل ماعداه .

والمستغني عن كل ماسواه يجب أن يكون قائماً بنفسه (لا يحتاج لأحد) ، موجوداً قديماً باقياً ، وغير مشبه بالمخلوقات ، ومنزهاً عن النقائص . ومن كان منزهاً عن النقائص فيجب أن يكون سمياً بصيراً متكلماً ، لأنه لو لم تجب له هذه الصفات لكان محتاجاً إلى من يوجده ، أو من يدفع عنه سبحانه النقائص .

وإذا قلنا يفتقر إليه كل ماسواه فيعني أنه حي قادر مريد عالم .

فما هي أسس التوحيد؟ أو بعبارة أخرى لماذا ذكر الله بكلمة لا إله إلا

سبيل الشريعة أحب إليهم من لقاء أهلهم وأبنائهم .

وإذا العقيدة لامست قلب امرئ كانت له في التصحيات روائع
لذلك أوجب الله تعالى على عباده معرفته ، أوجبها على كل
مكلف سليم الخواس ، بلغت دعوة الإسلام ، ولا يكفي الظن في أمر
التوحيد ، لقوله تعالى :

﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ / محمد : ١٩ .

وهذه الآية الكريمة تدل دلالة قاطعة على أن الإنسان يجب عليه أن
يؤمن إيماناً جازماً ليس فيه مجال للشك أن الله تعالى واحد في ذاته واحد
في صفاته واحد في أفعاله .

وعليك — أيها العبد — أن تؤمن بذلك بدون تقليد لأحد ، يعني مثلاً
في الصلاة والعبادات أقول عن نفسي أنا حنفي أو شافعي ، أما في معرفة
الله فلا يوجد تقليد ، عليك أنت أن :

تعتقد أنه لا إله إلا الله ، اسمع إلى ناظم العقيدة :

إذ كل من قلد في التوحيد إيمانه لم يخل من ترديد

إلا في حالة واحدة : أن يجزم المقلد جزمًا لا رجعة عنه بصحة قول
المقلد ، بحيث لو رجع المتبوع لم يرجع التابع ، عندها يكفيه ذلك في الإيمان .

اسمعوا أيها الإخوة : إن تارك العبادات عن غير عمد قد يغفر الله
تعالى له ، أما إذا أشرك بالله تعالى فلا غفران له لقوله تعالى :

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ /
النساء : ٤٨ .

أيها الإخوة فما هي الكلمة الجامعة للعقيدة؟

إننا في الصفحة الثانية من ملف التوحيد ، والكلمة الجامعة للعقيدة

هي : **لا إله إلا الله محمد رسول الله**

هذه الكلمة الجامعة لكل معاني التوحيد ومراتبه ، رمز لكل ما يعتبر

الله ذكر صفة الوحدانية فقط .

للإجابة عن هذا السؤال أدعكم أولاً لتوحدوا الله تعالى لا إله إلا الله لعلمكم عرفتم الجواب : إنه هذه الكلمة بالذات : الوحدانية .

لأن الوحدانية أهم مقصد من مقاصد التوحيد ، فالناس منذ زمن سيدنا نوح وهم يشركون بالله ، بل إن مولانا عز وجل قال :

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ . /يوسف : ١٠٦/ .

نحن عندما نعظم الملوك والأغنياء نكون قد أشركنا بالله ، ولا أنسى ما نسيت شاعراً منافقاً ، وما أكثرهم - قام يريد أن يمدح رئيس بلده يوماً ، أتعرفون ماذا قال له ، اسمعوا الكفر ، وناقل الكفر ليس بكافر ، قال له :

ماشئت لا ماشعت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

أسمعتكم كفراً وشركاً أعظم من هذا؟ .

النصارى أرادوا أن يمدحوا سيدنا عيسى فقالوا عنه : إنه ابن الله ،

باسم الآب والابن) .

ولذلك سيدنا رسول الله ﷺ يقول (خ- أحمد) : «لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم إنما أنا عبد الله ورسوله فقولوا عبد الله ورسوله» . عبد الله أي حادث = مخلوق = أي سيموت .

وكل عظيم ، وكل غني ، وكل حي على وجه البسيطة لن يعيش إلى الأبد ، بل سيموت وقد قال الله لنبيه ومصطفاه : ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ /الزمر : ٣٠/ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون﴾ /الأنبياء : ٣٤/ لا إله إلا الله ، لا معبود بحق إلا الله ولا رب إلا الله . يروي سيدنا عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ كان على المنبر يوماً فسأل أصحابه - هل فيكم غريب؟ يعني أهل الكتاب ، فقالوا : ما فينا غريب يارسول الله ، فقال أغلقوا الباب - باب المسجد - ثم قال : ارفعوا أيديكم ،

قال : فرفعنا أيدينا ، فقال : قولوا لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، لا إله إلا الله محمد رسول الله ، عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، والجنة حق والنار حق .

قال : ... : فرفعنا أيدينا ساعة ، ثم قال رسول الله : اللهم إنك بعثتني بهذه الكلمات ووعدتني عليها الجنة ثم قال : قوموا فقد غفر الله لكم . وأنا أنقل لكم هذه البشارة على لسان سيدنا رسول الله قوموا فقد غفر الله لكم .

تذكر عزيزي الموحّد :

- ١- الأشاعرة والماتريدية هم أهل السنة والجماعة .
الأشاعرة : نسبة للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري .
الماتريدية : نسبة للإمام أبي منصور محمد بن محمد الماتريدي .
المعتزلة : طائفة من المسلمين الفساق في الاعتقاد .
- ٢- الإيمان واجب على كل مكلف (بالغ عاقل) سليم الخواص بلغته دعوة الإسلام
- ٣- لا بد من الجزم في الاعتقاد لقوله تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ .
/محمد : ١٩/ .
- ٤- الكلمة الجامعة للعقيدة : لا إله إلا الله محمد رسول الله .
- ٥- ينقسم علم التوحيد إلى : إلهيات - نبويات - سمعيات .
- ٦- من أسماء التوحيد : الإيمان - السنة - الفقه الأكبر - وأما الاعتقاد والعقيدة فقد وردت في اللغة وفي كلام المعتزلة ثم فشا ذلك عند أهل السنة والجماعة ولا مانع منه .

اللَّهُ

واجب الوجود

- ٢ -

الحمد لله الذي خلق الموجودات من ظلمة العدم بنور الإيجاد وجعلها دليلاً على وحدانيته لذوي البصائر إلى يوم التناد ، وشرع لنا شرعاً وأنزل به كتابه وأرسل به سيد العباد ، وجعلنا على المحجة البيضاء وقال لنا (هذه سبيل الرشاد) .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له رب المشارق والمغرب وما بينهما ورب العباد .

وأشهد أن سيدنا وحبينا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله ، شهادة ندخرها ليوم المعاد .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم ، السيد السند العظيم ، سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة زكية بلا نفاذ ، وسلم تسليماً .
أما بعد :

فإن مولانا أكرمنا إكراماً عظيماً في الجمعة الماضية ، حين فتحنا ملف التوحيد وقد استعرضت معكم المقدمات وهانحن معاً في الحلقة الثانية التي عنوانها : الله واجب الوجود .

فإن أول ما يجب على العبد معرفته أن يعرف بأن الله تعالى موجود ، وأن يعرف صفات الله وأحكام ألوهيته ولا أعني بها معرفة ذاته وحقيقة كنهه ، لأنه لا يعرف ذات الله إلا الله .

وقد سئل صديق الأمة ، بَمَ عرفت ربك؟ فقال : سيدنا أبو بكر الصديق : عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي ، العجز عن درك الإدراك إدراك ، فما عرف الله بالحقيقة إلا الله ، وقد أخذ بعض الموحدين هذه الكلمة فصاغها وقال :

العجز عن درك الإدراك إدراك ، والبحث في ذات الله إشراك
لذلك مولانا في القرآن انصبَّ توجيهه على التفكير في الكون لا على التفكير في ذات الله : ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض ﴾ / يونس : ١٠١ .

﴿ ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾ / آل عمران : ١٩١ .
هذا كله لعدم الوصول إلى كنه ذاته وصفاته ، فإنه سبحانه لا تحيط به الفكرة ، وكيف تحيط به الفكرة وهو بكل شيء محيط .
فإذا تفكرنا في المخلوقات أوصلتنا إلى عظمة الخالق وكمال قدرته وعلمه وأنه لولاه ، لولا وجوده لما شئ شيء في هذا الوجود رائحة الوجود .
وفي أحد الأيام خرج يوماً من تجبون أن تصلوا عليه ، فرأى أصحابه وهم يتفكرون ، فقال لهم « لا تفكروا في ذات الله تعالى ولكن تفكروا فيما خلق »

وفي رواية : تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في الله . (أبو نعيم في الحلية ٣٨١/١ كشف الخفا رقم الحديث / ١٠٠٥ .
وفي رواية : تفكروا في كل شيء ولا تفكروا في الله أو في ذات الله .
وفي رواية ابن عمر : تفكروا في آلاء الله تعالى ولا تنكروا في الله تعالى . (حسن صحيح) .

ولهذا اسمع إلى قول إمام الشريعة والحقيقة الإمام الجنيد اسمعه يقول :
ما عرف الله بالحقيقة سوى الله ، قال تعالى : ﴿ وما قدر الله حق قدره ﴾ . / الزمر : ٦٧ .

أيها الإخوة :

تعالوا نبحت مع أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم عن الإله الحق في أثناء محاجته لقومه .

فسيدنا إبراهيم الخليل رأى أباه أو عمه ، وكان مثلاً ، ينحت الأصنام بأنامله ، يعمل في الحجر صورة ، فيتخذها هو وقومه آلهة ، حجر تصنعه يد الإنسان ثم تعبده ، إله أخلقه وأطلب منه أن يخلق لي ما أريد ، هذا أمر لا يقبله عقل فأين الإله الحق إذن؟

أيها الإخوة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى سيدنا إبراهيم الخليل ، وهو الآن يبحث ويفكر مع قومه ليدلهم على الله عز وجل انطلاقاً من آياته البينات ، وأدركهم الليل ، وطلع عليهم النجم براقاً لامعاً عالياً ، لم يخرج من الأرض كالصخرة التي تصنع منها التماثيل ، لم يعمله الإنسان بيده ، وظنوا أنهم وجدوا الإله الذي يبحثون عنه ، وإذا بالقمر يطلع فيختفي النجم ، ويرى القمر أكبر في النظر وأضوأ فيعتقدون أن القمر هو الإله ، ويرقبون الليل كله فإذا بالشمس تطلع فتطفئ شعلة القمر ، وتفيض النور على الأرض فيقولون هذا هو الإله ، ولكن الشمس تأفل ، تدع الأرض في الظلام ، فما هذا الإله الذي يمضي ويتخلى عن ملكه ، كلا ليست الشمس إلهاً خلقتني ، فلم يبق إلا احتمال واحد هو الصحيح ، هو الحق وماعداه باطل ، هو أن وراء هذه الجمادات كلها إلهاً قادراً عظيماً هو الذي أوجدها وأوجدني وأوجد كل شيء . هكذا توجه الخليل إلى قومه قائلاً : ﴿يا قوم إني بريء مما تشركون ﴾ / : .

هذا هو الدليل الذي عرض له القرآن في جملة واحدة ، جملة واحدة هي معجزة من معجزات البيان الرباني قاضية على من يخضع العقل ويقول إنها المصادفة أو الطبيعة .

لأن السخفاء من الملحددين من أرباع المتعلمين كانوا يقولون : الطبيعة أوجدت الإنسان ، الطبيعة أوجدت العقل للإنسان ، قلت : ما الطبيعة؟ قالوا :

الطبيعة هي المصادفة . . . فن الاحتمالات . . . تعرفون ما مثال هذا الكلام؟
مثاله : اثنان ضاعا في الصحراء ، فمرا على قصر كبير عامر ، فيه
الجدران المزخرفة المنقوشة والسجاد الثمين والساعات والثريات .

قال الأول : إن رجلاً بنى هذا القصر وفرشه .
فرد عليه الثاني قائلاً : أنت رجعي متأخر هذا كله من عمل الطبيعة .
قال كيف كان بفعل الطبيعة؟

قال : كان هنا حجارة فجاءها السيل والريح والعوامل الجوية فتراكمت
وبمرور القرون بالمصادفة صارت جداراً .
قال : والسجاد .

قال : أغنام تطايرت أصوافها ، وامتزجت وجاءتها معادن ملونة ،
فانصبغت وتداخلت فصارت سجاداً ، ألا تقولون إن هذا مجنون؟

هل المصادفات هي التي جعلت الخلية من خلايا الكبد التي لا ترى
إلا بالمجهر تقوم بأعمال كيميائية تحتاج إلى معمل كامل كبير ثم لا تستطيع
أن تقوم إلا بجزء منها؟ هذه الخلية تحول السكر الزائد في الدم ، إلى مولد
سكر العنب نستعمله عند الحاجة بعد إعادته إلى كليكوز ، وتفرز الصفراء
وتعدل الكولسترول في الدم وتصنع الكريات الحمر وغير ذلك!!؟

هل المصادفات هي التي جعلت في اللسان تسعة آلاف عقدة صغيرة
كلها تصلح للتذوق!!؟

هل المصادفات جعلت في كل أذن مئة ألف خلية للسمع!!؟
هل المصادفات جعلت في كل عين مئة وثلاثين مليون خلية كلها
تصلح لاستقبال الضوء!!؟

أيها الإخوة : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى معمل الكيمياء
الإنساني ، دخلت معمل الكيمياء الإسلامي لأقابل أحد العلماء هناك ،

وجرى الحديث عن الخلايا في الجسم البشري ، فقال العالم البروفيسور : إن في جسم الإنسان /١٠٠٠/ ألف بليون خلية ، البليون /١٠٠٠/ مليون يعني /١٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠/ مليون ، هل هذه مصادفة؟!

وسألت هل ترى كل خلية منها بالعين المجردة؟ ، فقال : لا ، بل بالمجهر والمكبر . قلت : مم تتركب كل خلية؟

قال البروفيسور العالم :

أما غشاء الخلية فيتركب من عنصري اللييدات (الشحوم) والبروتينات (المواد الدسمة) . وسمعت عجباً :

دخلت إلى قسم الستيوبلازما ، فرأيت أنه عبارة عن وسط شفاف يتراوح بين القوام السائل والهولام الجامد ، ويتكون من مواد عضوية ومواد لاعضوية ، كما يحتوي على جسيمات جلاتينية ، وهي غنية أصلاً باللييدات .

سألت وأنا آخذ طريقي داخل معمل الكيمياء : مانوع السكر الذي تتكون منه الخلية؟ فأجابني البروفيسور العالم : بأنه من نوع كليكوز (سكر عنب) .

سألت : مانوع البروتينات التي تتكون منها الخلايا؟

قال : من نوع البروتينات النووية التي تعرف بالريبوز .

توجهت بعد ذلك إلى قسم البروتوبلازما ، رأيت عجباً ، رأيت عناصر عديدة تكونت منها الخلية : رأيت أن البروتوبلازما ٧٥٪ من وزنه ماءً ، ثم احتوى على الأملاح المعدنية والفيتامينات ، أملاح الكالسيوم ، أملاح الصوديوم ، أملاح الحديد ، والمنغنيز واليود ، كذلك احتوى على السكريات والبروتينات واللييدات ، وسألت : أكل هذا في خلية واحدة لا ترى إلا بالمجهر .

قال : نعم . قلت هل خلقت نفسها بنفسها ، قال : لا . قلت : هل للطبيعية العمياء دخل ؟ قال : لا ، قلت : فمن الذي خلقها قال : الله ، والله وحده ، فقرأت قوله تعالى ﴿ وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ . / الذاريات : ٢١ / .

إن العاقل أيها الإخوة ليعلم تماماً أن لكل صنعة صانعاً ، ولكل خلق خالقاً ، ولكل أثر مؤثراً ، ولكل سبب مسبباً ، وكل عبد يقول : إن خلقاً خلق بالمصادفة فهو يخالف العقول السليمة والبداهيات المتعارف عليها ، وهذا يسمى في العلم الحديث بقانون السببية ، فالعقول السليمة تعلم أن لكل سبب مسبباً ولكل أثر مؤثراً فعندما تكون جالساً مفكراً فتسمع جرس الباب تقوم لترى من يقف خلفه ، عندما ينقطع التيار الكهربائي فجأة في يوم محموم تسارع لتتعرف إلى سبب ذلك أقطع عام أم عطل خاص ؟ ، وهكذا العقول السليمة تعلم أن لكل سبب مسبباً . وقد سئل قس بن ساعدة هل لهذا العالم إله : فقال : إن البعرة لتدل على البعير ، وإن أثر الأقدام يدل على المسير ، وسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير ؟!

فمولانا عز وجل دلّ بوجود آثاره على وجود أسمائه ، وبوجود أسمائه على ثبوت أوصافه ، وبثبوت أوصافه على وجود ذاته .

ليسمع الملحدون ، ليسمع الكافرون دليل وجود الله ، إن الدليل على وجوده في أنفسنا :

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد .
وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

اسمعوا مولانا عز وجل يُخَضِّرُ الدليل على وجوده ، اسمعه يقول : ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ . / الطور : ٣٥ / . هذا هو

الصءق ، هءا هو الحق .

معاشر الساءة الكرام :

إننأ أوجه هءة الاسئلة الأوم إلى الملمءفن ، إلى الءفن لا يؤمنون بوءوء إله فف هءا الكون ، إننأ أسألهم :

من ففهم فذكر مولءه؟ من فذكر أأامه لما كان فف بطن أمه ، فهل كان موءوءاً قبل أن فعلم بوءوءه؟ فهل فمكن أن فقال : إنه هو الءف أوءء نفسه؟ سل هءا الكافر الملمء - إن لقفته - قل له : هل خلقء أنء نفسك ، بأراءءك وعقلك ، هل أنء الءف أءءك نفسك فف بطن أمك ، هل أنء الءف أءءار هءة المرأة لءكون لك أمأ ، هل خلقء بلا خالق ولا فاعل ، فمن هو الءف ففل ءلك كله ، وإءا لم ففبك وخرس لسانه ، فقل له أنء :

إن الءف ففل ءلك هو الله . والله وءءه .

ومرة وقع الإمام الأعظم أبو ءنفة النعمان فف نقاش مع بعض الزناءقة ففء طلبوا إله أن فءاءلوه فف الله وهو شءفء المءال ، فعفن لهم موءءاً فأتف إلههم ففه لمءاءلءهم وإقامة الءءة علفهم بوءوء الله .

ولما ءان الموءء تأءر عنهم رضف الله عنه ، وهم ففنتظرون ثم قم إلههم بعء أن فئسوا من مءفئه ، فعاءبوه فف التأءر ، فقال لهم معءءراً لفاء قمء إلكم فف الموءء المءء ، ولكفنف لبء طوفلاً على شاطفء ءءلة باءشاً عن صاءب زورق ففءاز بف النهر ، فما وءء ، ولما فئسء وهممء بالرفوء ، رأفء ألواءاً من الءشب قاءمة بنفسها وءعلء ففنتظم إلى بعضها ءءف صاءرء بف فءف زورقاً ءسناً ، فركبته وقطعت به الشءر ، وقءمء إلكم الآن .

فقال الزناءقة للإمام : أنهرأ بنا ، وهل فمكن أن تأف ألواء بنفسها كما وصفء فءكون زورقاً بءون أن فصنعه أءء .

فقال لهم : هذا ما اجتمعتم لتجادلوني به ، فإذا كنتم لا تصدقون أن زورقاً يصنع نفسه بنفسه فكيف تريدون مني أن أصدق ، أم كيف تصدقون في عقولكم أن هذا الكون المتقن العجيب قد خلق نفسه بنفسه دون خالق عظيم؟! وهنا استيقظ الزنادقة من غفلتهم وهدى الله قلوبهم فدخلوا في الإسلام على يديه جميعاً .

أيها الإخوة : هل سألت أحد منكم لماذا وهبنا الله العقل ، لماذا جعل لنا مولانا عز وجل إرادة وعقلاً ، لأنه ومن خلال هذين النبعين يتحصل لنا مفاهيم ، هذه المفاهيم قسمان :

مفاهيم صحيحة : توصلنا إلى عقيدة صحيحة ، وتجعل سلوكنا مستقيماً .

ومفاهيم فاسدة : توصلنا إلى عقيدة فاسدة ، وتجعل سلوكنا فاسداً .

أرأيتم؟ مقدمة أولى تؤدي إلى مقدمة ثانية وينتج عنها نتيجة

والعقيدة الصحيحة توصلنا إلى وجود إله واحد خالق كل شيء لا شريك له . وحينما قام بعض الملاحدة المتحامقين في درسه الذي يليقه في إحدى المدارس الابتدائية قام ليقول لتلامذته : نحن لا نؤمن بوجود أي شيء حتى نراه ، ولا نسلم به حتى نشاهده ، وجعل يضرب الأمثلة على ذلك إلى أن توصل إلى موضوع وجود الله ، فقال لهم :

نحن لم نشاهد الخالق ، فهو إذاً غير موجود . وسكت الأطفال ملياً مندهشين فقام طفل صغير لم يتجاوز العاشرة في زاوية الصف ، فقال له عبارة ، اسمعوا هذه العبارة من طفل أشرقت فطرة التوحيد في قلبه ، قال له :

- يا أستاذ نحن كلنا لم نر عقلك الذي تفكر به ، فأنت

إذاً لا عقل لك .

وأنا أسأل : هل كل شيء غاب عن حسي أو عيني أقول عنه إنه غير موجود؟ لا ، هذا غلط :

إذا كنت في غرفتك فسمعت طرقاتاً على الباب ، هل تقول : لا أحد وراء الباب؟ لا ، لأنك تعلم يقيناً أن الباب لا يدق نفسه بنفسه ، فتقول : - لا بد أن يكون هنالك طارق طرقه .

إذا لم أر مكة والكعبة ، أقول هي غير موجودة؟! .

يعني : عالم الغيب لا تستطيع عقولنا أن تحكم على شيء فيه بإثبات أو نفي إلا أن يأتيها خبر يشهد العقل بإمكان وجوده ، ويصدق ناقله ، عند ذلك أقول بأنني أقبل هذا الكلام وأسلم به .

عقولنا - أيها الإخوة - محدودة لا تستطيع أن تستوعب كل الأمور ، العقل لا يؤمن إلا بما رآه ، أو بما يحسه ، أو يسمعه ، أو يذوقه ، أو يشمه ، هذه هي الحواس الخمس التي عن طريقها تصل المعلومات إلى العقل ، ما عنده إلا هذه الطرق .

إذاً : عقلنا محدود ، لأن مصدره عن المعارف محدود ، معدود ، وإذا كان العقل محدوداً فكيف يستطيع أن يحيط بـ **الله** ، و**الله** عز وجل غير محدود ، كيف يحيط المحدود بغير المحدود (وحدوا **الله**) ، **الله** لا يحده زمان ولا مكان ولا جهة ، وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك .

لذلك اسمعوا إلى إمامنا الشافعي رضي **الله** عنه ماذا يقول :

«إن للعقل حداً ينتهي إليه كما أن للبصر حداً ينتهي إليه»

حتى الحواس - أيها الإخوة - قد تخطئ ، وإليك الدليل :

أمشي في الصحراء ساعة الظهيرة ، فأرى بركة ماء تلوح ظاهرة للعين فإذا جئتها لم أجد إلا التراب لأن الذي رأيته سراباً .

أضع القلم المستقيم في كأس الماء ، فأراه منكسراً وهو لم ينكسر .

والسحرة والمشعوذون يعرضون الغرائب تراها ولا حقيقة لها .

فالحواس إذا تخطىء وتخدع وتتوهم أو يتوهم صاحبها .

وهناك أناس بسطاء يدركون بفطرتهم ، بدون علم ولا معرفة ، بل من كثرة العبادة تشرق روحه ، ويستنير قلبه حتى يدرك ما لا يدركه كثير من علماء الإدراك الحسي أصحاب العقول العظيمة .

مر الإمام الفخر الرازي رضي الله عنه في الطريق وحوله أتباعه وتلامذته الكثيرون والناس يقومون له ويعظمونه ، فرأته عجز مؤمنة في جانب الطريق فسألت عنه فقالوا :

هذا الإمام الفخر الرازي ، الذي يعرف ألف دليل ودليل على وجود الله تعالى .

فقالت المرأة العجز : لو لم يكن عنده ألف شك وشك لما احتاج إلى ألف دليل ودليل ، فسمعها الإمام الرازي شيخ أهل التوحيد في عصره فقال :

.. اللهم إيماناً كإيمان العجائز (أي أسألك إيماناً كإيمان العجائز لا يحتاج إلى دليل) .

امرأة مؤمنة قد أدركت بصفاء فطرتها وجود الله وكمال صفاته ، لم تحتج إلى مناقشات ومداولات ، ولا إلى رد شكوك ، بل تركزت في أعماقها عقيدة صحيحة سليمة ، لا تستطيع قوة في الدنيا أن تزعزعها ، لذلك اسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول لنا ولنبينا الكريم :

﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله﴾ ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ . / الروم : ٣٠ .

السيدة رابعة العدوية رضي الله عنها قيل لها : إن فلاناً أقام ألف دليل على وجود الله ، فضحكت وقالت : دليل واحد يكفي ، قيل لها : وما هو؟

قالت : لو كنتَ ماشياً وحدك في الصحراء وزلت قدمك فسقطت في بئر ولم تستطع الخروج فماذا تصنع؟ قال : أنادي يا الله ، قالت وذاك هو الدليل .
نعم ذاك هو الله ، إذا جد الجد ودنت ساعة الخطر رجع العبد إلى الله وحده ونبذ كل معبود سواه ، لماذا؟

لأن الإيمان غريزة ، فطرة ، وأصدق تعريف للإنسان أنه حيوان متدين .
وانظروا إلى الملحدّين الماديّين عندما يأتيهم الموت؟ هل تظنون أن ماركس أو لينين لما أيقنا بالموت دعوا وسائل الإنتاج التي يؤلهاها ، أم دعوا الله؟ ثقوا أنهما لم يموتا حتى دعوا الله عز وجل ، ولكن حيث لا ينفع الدعاء .
وفرعون تجبر وتكبر وقال : أنا ربكم الأعلى ، حتى إذا أدركه الغرق وعاین الموت بعينه قال : أمنت برب موسى وهارون ، فقال له مولانا :
﴿آلان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ /يونس : ٩١/ .

أيها الإخوة :

لنرجع جميعاً إلى الله تعالى قبل أن نقف مثل موقف فرعون ، لنعد إلى الله ، إلى توحيد الله لا نريد أن نعبد مع الله ملكاً ولا حاكماً ولا أميراً ولا غنياً ، إننا أمة موحدة شعارها لا إله إلا الله محمد رسول الله .
الله خالقنا ، وسيدنا محمد قائدنا ، وقرآننا دستورنا ، والكعبة قبلتنا والتوحيد شعارنا .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله سجدنا محمد رسول الله

تذكر عزيزي الموحد :

الله واجب الوجود : أي لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم .

المطلوب منك إيماناً :

أن تتفكر في مخلوقات الله ولا تتفكر في ذات الله تعالى لأنه لا تحيط به الفكرة .

لا يؤخذ في العقائد إلا الأدلة القطعية

عقولنا لا يمكن أن تدرك كنه الله وحقيقته لأنها محدودة

العقيدة الصحيحة توصلنا إلى وجود إله واحد خالق كل شيء
لا شريك له .

الأسماء والصفات

- ٣ -

الحمد لله القديم الأول ، فلا أول له ولا افتتاح ، الآخر الباقي فلا آخر له ولا بقاء لسائر الأشباح .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأتوب إليه وأستغفره ، وأسأله لي ولكم النطق بالشهادتين عند ذهاب الأرواح .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ولا نظير ولا ند ولا شبه ولا مثيل له ، شهادة بها النفس ترتاح .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، نبي يقال له يوم القيامة : اشفع تشفع ما عليك من جناح . وهو الذي قال : «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يبتغي بذلك وجه الله حرم الله عليه النار» . (ت : ض ، أحمد - هـ - الدارمي) .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه خير من حملوا السيوف والرماح ، وسلم تسليماً .

أما بعد فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

فهذه عقائد التوحيد	تنجوا بها من ربة التقليد
فاحفظ لمولى الخلق عشرين صفة	تكن بها في غرف مزخرفة
له الوجود والبقاء والقدم	مخالف لما يناله العدم
وقائم بنفسه وواحد	فهذه ست صفات تسرد
منها الوجود صفة نفسية	والخمس بعدها هي السلبية

أيها الإخوة الكرام :

وقفت معكم في الجمعة الماضية مع أول قضية من قضايا التوحيد وأهمها ، بل هي أم القضايا جميعها ورأسها ، وهي الإيمان «بوجود الله تعالى موجد الأكوان وخالقها ومحدثها» .

ويُنت بأن العلم يوصل إلى الإيمان بالله ثم إلى الإسلام ، وأن دلائل وجود الخالق منبثة في كل شيء ، وكان البدء معكم في الصفحة الأولى من باب الإلهيات ، أي المسائل المتعلقة بالإله عز وجل ، من حيث ثلاثة أمور : ما يجب لله تعالى ، وما يستحيل أن يتصف به الله تعالى ، وما يجوز في حقه عز وجل .

وبدأت معكم بقسم الواجب لشرفه ، وأخذت منه صفة واحدة فقط هي صفة : «واجب الوجود» .

لأنها رأس الدين ، وركنه الأعظم ، وهي كالأصل لمسائل الإلهيات ، وقلت : «إن معنى الله واجب الوجود» هو الذي يكون وجوده من ذاته ، لم يسبقه عدم ولا يلحقه عدم لا يحتاج إلى شيء أصلاً ، لأن مبدأ المخلوقات بأسرها لا بد أن يكون واجباً لذاته» .

واليوم - بإذن الله تعالى وتوفيقه - أطرق معكم باب الصحيفة الثانية ، وأرى على رأس الصحيفة عنواناً هو : صفات الله تعالى .

نعم صفات الله تعالى ، لنزداد إيماناً ومعرفة بمولانا عز وجل وصفاته العليا ، فأسماءه وصفاته هي الوسائل التي تعرف بها الله تعالى إلى خلقه ، وهي النوافذ التي يطل منها القلب على الله تعالى مباشرة ، وهي التي تحرك الوجدان وتفتح أمام الروح أفاقاً فسيحة تشاهد فيها أنوار الله وجلاله .

جرب بنفسك وقل : يا الله ، ألا تشعر بالنور ، جرب وقل من قلبك يارحمن : هل شعرت بأن روحك أشرقت ، ولهذا مولانا عز وجل أمرنا في كتابه أن ندعوه بأسمائه فقال :

﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أي ما تدعوا فله الأسماء الحسنی ﴾ . / الإسراء : ١١٠ .

واسمع معي إلى حبيب الله ومصطفاه يقول لنا في (ق) الحديث الشريف : «إن لله تسعاً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» .

كما أن له اسماً أعظم إذا دُعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، فعن بريدة رضي الله عنه قال : سمع النبي ﷺ رجلاً يدعو ، وهو يقول :

«اللهم إني أسألك بأنني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد» .

قال : فقال : والذي نفسي بيده لقد سألت الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سئل به أعطى . (د-ت-أحمد : صحيح) . فيا الله ، يامولانا إنا نشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الإله :

الواحد ، الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، الرحمن الرحيم الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق الخلاق البارئ المصور الغفار القاهر القهار الوهاب الرزاق الفتاح العالم العلیم السميع البصير الحكيم اللطيف الخبير الخبير الحليم العظيم الغافر الغفور الكافي الشاكر الشكور العلي الكبير الحفيظ المقيت الحسيب المليك الأكرم الكريم القريب الرقيب المجيب الواسع الجامع الودود المجيد الحافظ الشهيد الشديد الحق الوكيل الكفيل القوي المتين المبين المولى الولي الأعلى الحميد المحيي المحيط الحي القيوم القادر المقتدر القدير الأول الآخر الظاهر الباطن المستعان الرب الغالب المتعالي البر التواب الوهاب المنتقم العفو الرؤوف مالك الملك الغني المغني القائم الرفيع الفاطر الوارث النور الهادي البديع .

يَا اللَّهُ علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا وزدنا من فضلك علماً ،
واقض حاجتنا وفرح كربنا وانصرنا على أعدائنا يا أكرم الأكرمين .
أيها الإخوة الكرام :

ياحماة الإسلام وحراس العقيدة :

أذاعت وكالة الأنباء الإسلامية بياناً ثلاثياً ، أذاعه أحد صحابة سيدنا
رسول الله ﷺ عن سيد المرسلين وإمام المتقين ، فما هو هذا البيان ،
ما صفته ، ما حقيقته ؟

هذا سؤال أجيب عنه مع الدرس الثالث من القضايا الإيمانية من
جامع الدرويشية ، فتعالوا إلى صاحب الطلعة البهية والروضة الندية سيدنا
محمد ﷺ (بعد أن تصلوا عليه) :

إن رسول الله ﷺ الآن في عرصات يوم القيامة ، والخطبُ جَلَلٌ ، والأمر
عظيم : فقد دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، إنني وأنا أتلو هذا البيان
أشعر وكأن رسول الله ﷺ جالس بيننا .

فأرسلوا التحية العطرة لسيد الوجود ، ثم أعيروني أذاناً صاغية وقلوباً
واعية لنستمع إلى البيان من فم سيدنا رسول الله ﷺ ، تعالوا لنسلم على سيدنا
رسول الله ﷺ قولوا : السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته ، نحن اليوم
ننزل ضيوفاً عليك ، وأنت أهل الكرم والوفاء ، اسمعوا مقدمة البيان :

«لكل نبي دعوة مستجابة ، وإنني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم
القيامة» (ق) .

اسمعوا بيان سيدنا رسول الله ﷺ الكريم ، ماهي المرات الثلاث
يارسول الإنسانية الأعظم ، ماهي هذه المرات الثلاث يا من بعثك الله رحمة
للعالمين ، أما الأولى : فيقول عليه الصلاة والسلام بعدما دخل أهل الجنة
الجنة وأهل النار النار : يارب أمتي أمتي ، فيقول مولانا عز وجل :

- انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من شحير من إيمان فأخرجه
من النار .

فينطلق الحبيب الأعظم ، وأما الثانية فيسأل مولانا عز وجل : يا رب
أمّتي أمّتي . فيقول مولانا عز وجل :
- انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه
منها .

فينطلق الحبيب الأعظم ، وأما الثالثة فيسأل مولانا عز وجل : يارب
أمّتي أمّتي ، فيقول مولانا عز وجل :
- انطلق فمن كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان
فأخرجه منها .

فينطلق الحبيب الأعظم ، ثم يسأل الرابعة ويقول : يارب ائذن لي
فيمن قال لا إله إلا الله .
فيقول الله تعالى : ليس ذلك إليك ، ولكن وعزتي وجلالي وكبريائي
وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله .

لا إله إلا الله أخلو بها وحدي ، لا إله إلا الله أفني بها عمري ، لا
إله إلا الله يغفر بها ذنبي ، لا إله إلا الله أدخل بها قبري ، لا إله إلا الله
ألقي بها ربي .

أيها السادة الكرام :

عندما أشاهد آلة تؤدي عملها بشكل جيد ، فإنني أقول بدهاءة : إن
مبتكر هذه الآلة وصانعها ذو معرفة بالآلات الصناعية وهندستها ، وذو
مقدرة على الابتكار ، وذو إرادة حرة ، يعرف ما يريد ، والإتقان يستلزم العلم
والحكمة ، والحكمة تعني القدرة على تنفيذ هذا العمل ، وأن صاحبه لديه
القوة على هذا التنفيذ ، فالصانع اجتمعت لديه صفات : علم ، إرادة ، قدرة .
ومتى اجتمعت هذه الصفات في موصوف علم أن هذا الموصوف حي
لا ميت ، وأنه يملك القدرات السمعية والبصرية التي يتقن بها صناعته ،

ومحيط بها ومهيمن عليها ومسيطر على كل صغير وكبير فيها .
﴿ولله المثل الأعلى﴾ / النحل : ٦٠ .

ونحن - اليوم - بعد أن ثبتت لدينا صفة وجود الله تعالى ، وعجزت عقولنا عن تصور أوتوهم حقيقة ذاته العلية ، فإننا ندرك بداهة أن الخالق العظيم الذي صدرت عنه هذه الموجودات الكونية لا بد أن يكون متصفاً بصفات الكمال :

وقد قسم علماء التوحيد صفات مولانا عز وجل إلى أربعة أقسام :

١- صفة نفسية (ذاتية) .

٢- صفات سلبية .

٣- صفات معاني

٤- وصفات معنوية

أما الصفة النفسية فهي صفة الوجود ، وكان هذا درسنا في الجمعة الماضية من قوله تعالى : ﴿ كتب ربكم على نفسه الرحمة ﴾ / الأنعام : ١٢ / أي ذاته .

وأما الصفات السلبية فهي التي سلبت عن الله تعالى ما لا يليق بكماله ، وهي خمس صفات : البقاء والقدم ومخالفته للحوادث ، وقيامه بنفسه ، والوحدانية .

وأما صفات المعاني فهي سبعة : القدرة ، والإرادة ، والعلم ، والحياة ، والسمع والبصر والكلام .

وأما الصفات المعنوية فهي : كونه تعالى قادراً ومريداً وعالماً وحيّاً وسميعاً وبصيراً ومتكلماً .

هذه أمهات الصفات الواجبة في حق مولانا عز وجل .

إننا في الصفحة الثالثة وعنوانها : الصفات السلبية .

- الأولى : صفة القدم : سلبت عن مولانا عز وجل الحدَّ لأولية الوجود ،
 الثانية : صفة البقاء : سلبت عن مولانا عز وجل الحدَّ لآخرية الوجود
 الثالثة : صفة المخالفة للحوادث : سلبت عنه المماثلة لها ،
 الرابعة : صفة القيام بالنفس : سلبت عنه الافتقار ،
 الخامسة : صفة الوجدانية : سلبت عنه التعدد .
 فمن صفات مولانا أنه :

قديم : لا أول لوجوده ، وبقا : أي لا آخر لوجوده ، بمعنى أن مولانا غير
 منسبوق بعدم ولا يلحقه فناء ، لأنه واجب الوجود ، اسمعوا إلى مولانا عز
 وجل يقول عن ذاته المجيدة : ﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن ﴾ /
 الحديث : ٣ / .

هو الأول بلا بداية ، والآخر بلا نهاية ، أي لا يدخل في وجوده زمان
 ولا مكان ، وكيف يدخل في وجوده زمان ومكان ، وهو الذي خلق الزمان
 والمكان؟ ف الله عز وجل موجود قديم قبل الزمان والمكان ، كان ولا زمان ولا
 مكان ، اسمع إلى حبيبك يقول ﷺ : « كان الله ولا شيء غيره » (خ) .

ويقول جل وعلا : ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ / القصص : ٨٨ /

إذن ف الله قديم ، والقدم صفة من صفات مولانا عز وجل ، فهل لنا
 أن نقول : بناء قديم ، وكتاب قديم؟!

الجواب : نعم ، لأن القديم من المخلوقات لا يقصد به أنه لا أول
 لوجوده ، بل يقصد به القدم الزمني (طول المدة التي ضُبِطَتْ بِسَنَةٍ) ، ماتوا
 على وجوده الأزمنة ، وهذا موجود بكتاب مولانا عز وجل اسمعوا ماذا يقول :

﴿ والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴾ / يس : ٣٩ /

فالقديم في حق المخلوق طول الأزمنة أو طول مدة الوجود .
 ف الله تعالى قديم ، ولو لم يكن مولانا قديماً لكان حادثاً (مخلوقاً) ،

ولو كان مخلوقاً لافتقر إلى خالق ، وهكذا إلى مالا نهاية وهذا باطل ، لأن واجب الوجود لا يكون مخلوقاً ، لأنه هو الذي أوجد الوجود ، وإذا بطل القول بحدوثه سبحانه ثبت أنه قديم .

لذلك -أيها الإخوة- لا يصح أن يسأل عنه سبحانه وتعالى : (متى كان) ، لأن (متى) تعني الزمن المطلوب تحديده ، كيف وهو سبحانه لا أول لوجوده ، بل هو الأول لكل شيء . (أما سمعت إلى قول حبيبك يقول (كان الله ولا شيء غيره) .

أيها الإخوة الكرام

مازلت عند حبيب الله ومصطفاه سيدنا محمد ﷺ لأ نقل لكم مناجاته لمولانا عز وجل على الموجة الإيمانية من جامع الدرويشية فأسمعنا مناجاتك ياسيدي يا عظيم الجاه ، يقول اللهم :

«أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء» (م) .

ولأجل هذا أيضاً لا يصح أن يسأل سائل (من خلق الله)؟ لماذا؟ لأن الخالق لا يصح أن يكون مخلوقاً ، المخلوق سبقه عدم ، أي لم يكن موجوداً ثم خلق ، كان معدوماً فوجد ، واسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول : ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾ / الإنسان : ١ / .

المخلوق هو الذي سبقه عدم ، أما الخالق فلم يكن مسبوقاً بعدم ، ولا افتتاح لوجوده ، ولا آخر لبقائه ، فهو مستمر لا ينقطع وجوده ، هو الآخر ، اسمعه يقول لك : ﴿وبقي وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ / الرحمن : ٧٨ / ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ / القصص : ٨٨ / .

لولم يكن مولانا باقياً -أيها الأخوة- لأمكن أن يلحقه العدم ، ولو لحقه لكان حادثاً (مخلوقاً) ، لأن المخلوق تتغير حاله من حالة إلى حالة ، وكونه حادثاً (مخلوقاً) محال لأنه ثبت له القدم ، وقد اتفق العقلاء على قاعدة توحيدية عليك أن تحفظها اليوم : قالوا : من وجب قدمه استحال عدمه .

فلا يصح أن يسأل أحد هذا السؤال (من خلق الله؟) ، وهذا السؤال حقيقة مصدره وسوسة إبليس ، اسمعوا البيان النبوي يقول ﷺ (ق) :

«يأتي الشيطان أحدكم فيقول : من خلق كذا وكذا ، من خلق كذا؟ حتى يقول له : من خلق ربك؟ فإذا بلغه ذلك فليستعذ بـ الله وليسته» ، وفي رواية (م) : «إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول : من خلق السماء؟ فيقول : الله ، فيقول : من خلق الأرض؟ فيقول : الله فيقول : من خلق الله؟ ، فإذا وجد ذلك فليقل : أمنت بـ الله ورسوله» (م) - كنز العمال ج ١ ص ٢٤٧ .

«وفي رواية يقول : ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد﴾ / الاخلاص / ثم ليتفل عن يساره ثم ليستعذ» .

ومرة جاء أناس من الصحابة إلى سيدنا النبي ﷺ فقالوا :
- يا رسول الله! إنا نجد في أنفسنا الشيء يعظم أن نتكلم به ، مانحب أن لنا الدنيا وأنا تكلمنا به .
فقال ﷺ : أوقد وجدتموه؟! ذلك صريح الإيمان . وفي رواية : «تلك محض الإيمان» .

أي تعاضمه في النفوس هو صريح الإيمان ، وليست الوسوسة نفسها لأنها من كيد الشيطان .

احفظوا - أيها الإخوة - هاتين الصفتين : القدم - والبقاء ، واعلموا أن البقاء واجب له عز وجل ، ومرة سأل أحد التلامذة الأذكاء ، سؤالاً ، قال :

أليس أهل الجنة والنار خالدين فيها أبداً؟ . فما الفرق بين بقاء الله وبقاء أهل الجنة والنار؟ .

فقلت له : بقاء مولانا عز وجل واجب لذاته ، أما بقاءنا في الجنة فهو جائز في ذاته ، فيجب أن نفرق بين بقاء مولانا عز وجل وبقائنا ، فبقاؤه عز وجل واجب لذاته لا لغيره ، وبقاؤنا في الدارين إنما كان لوعده الله ، هو الذي وعد الطائع بالخلود في الجنة فبقاء الطائع لوعده الله ، لا بقاء ذاتي ولهذا يسمى بقاءنا واجباً عرضياً أي شرعياً . وقد ورد في الحديث النبوي الشريف أن رجلاً في النار ينادي ألف سنة : يا حنان ، يا حنان ، يا حنان . . . فأمر مولانا عز وجل أمين وحي السماء جبريل أن يخرجته من النار ويأتي به ليقف بين يديه ، فذهب سيدنا جبريل فوجد الناس كلهم يستغيثون - أجارنا الله من النار - فعاد وقال : ما عرفته يارب ، فقال له مولانا عز وجل : إنه في موضع كذا وكذا .

فذهب سيدنا جبريل وأخرجه من النار كالفحمة السوداء ، فلما وقف بين يدي مولانا عز وجل سأله : كيف وجدت مقيلك؟! فقال : شر مقيل!! .

فيقول مولانا عز وجل : أعيدوه إلى النار . فقال العبد : وعزتك ما ظننت بعد أن أخرجتني منها أن تعيدني فيها . فيقول مولانا عز وجل : أدخلوا عبدي الجنة بحسن ظنه بي .

أيها السادة اسألوا الله الجنة واستجيروا به من النار .
فإن يثبنا فيمحص الفضل وإن يعذب فيمحص العدل
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

أوصاف الإيمان الثلاثة

- ٤ -

الحمد لله المبدىء المعيد ، الغني الحميد ، ذي العفو الواسع والعقاب الشديد ، من هداه فهو السعيد السديد ، ومن أضله فهو الطريد البعيد ، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد . سبحانه وتعالى يعلم ما ظهر وما بطن وما خفي وما أعلن ، وما هجن وماكمل ، وهو أقرب إلى كل مريد من حبل الوريد ، قسم الخلق قسمين : وجعلهم فريقين ، فريق في الجنة وفريق في السعير إن ربك فعال لما يريد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من أظلت السماء وأقلت البید ، كان ينادي ويدعو ويقول : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك ، فقال له سيدنا أنس بن مالك : يا رسول الله أمانا بك وبما جئت ، فهل تخاف علينا ، قال : نعم ، إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء» .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والرسول الرؤوف الرحيم سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أولي المعونة على الطاعة والتأييد ، صلاة دائمة في كل حين تنمو وتزيد ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة :

كيف؟ وماهو؟

كيف يكون العبد مؤمناً ، وما هو المطلوب من العبد إيمانياً؟

سؤالان أطرحهما على بساط البحث لنخرج بعدهما مؤمنين موحدين برب العالمين ، ولا بد من عرض هذه القضية الإيمانية قبل متابعة ذكر صفات مولانا عز وجل ، إنني وقفت معكم منذ ثلاث جمع مضت أتحدث فيها عن القضايا الإيمانية ، فإذا بسائل يقول : ياسيدي تحدثتم عن أركان الإيمان الستة ، ونحن مؤمنون بها ولله الحمد ، ولكنكم لم تتحدثوا عن المطلوب منا ، ما هو المطلوب من العبد المؤمن؟ وكيف يكون مؤمناً؟

هذان السؤالان أسألهما اليوم وأجيب عنهما مع الدرس الرابع من دروس القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، وأستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عنهما .

أيها الإخوة المؤمنون :

للجواب عن هذين السؤالين أسأل سؤالاً ثالثاً : مامعنى الإيمان؟ إذا أردت أن أعرف ما هو المطلوب مني عليّ أن أعرف الإيمان ، وهذا التعريف تولى الاجابة عنه علماء التوحيد أو العقيدة فقالوا :

الإيمان هو ١- التصديق ٢- والإقرار ٣- والعمل .

التصديق بجميع ما جاءنا عن سيدنا رسول الله ﷺ وإن لم يكن متواتراً ، وعلم من الدين بالضرورة والتزام أحكام الشريعة ، والإيمان يعني التبرؤ من كل دين إلا دين الإسلام ، واسمع معي إلى مولانا عز وجل يقول :

﴿أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله﴾ . /البقرة : ٢٨٥/ .

كل آمن : أي صدق وأذعن وقبل ورضيت نفسه به ، ونفذ أحكام شريعة الله المنزلة على أنبيائه . هذا هو معنى الإيمان ، وهذا هو المطلوب منك ، اسمع موجزه :

اعتقاد بالجنان (القلب) ، وقول باللسان ، وكماله عمل بالأركان .

كان هذا - أيها الإخوة - هو موجز الأنباء الإيمانية ، وإليكم الأنباء

بالتفصيل .

نحن أمام ثلاثة أصناف من العبيد : الأول عبد صدق بقلبه ونطق بلسانه وعمل بالشريعة المأمور بها وانتهى عن المنهيات فهذا هو العبد الكامل إيماناً .

والثاني : عبد صدق بقلبه ولم يقر بلسانه (إذا لم يكن أخرس) بأن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فهذا إن لم يقر بلسانه مع القدرة عليه فهو مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية أي تجري عليه أحكام التشريع الإسلامي وإذا مات لا يدفن بمدافن المسلمين ، أي أننا نحق معشر المسلمين لا نحكم بإيمانه ، لأننا أمرنا أن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر .

وقد مات مرة رجل فاجر من بني إسرائيل لم يعمل حسنة قط فرموه مع القمامة ، فأوحى مولانا إلى سيدنا موسى : أن غسل هذا العبد وكفنه وصل عليه وادفنه ، قال : يارب إن بني إسرائيل يقولون إنه عصاك ولم يعمل حسنة قط ، فأوحى إليه مولانا عز وجل وقال :

لقد فتح مرة التوراة فقرأ اسم حبيبي محمد فقبله ووضع على عينيه محبة به ، وأنا غفرت له لأجل ذلك .

إذاً المعتقد بقلبه دون الإقرار والعمل بالأركان مؤمن عند الله غير مؤمن في الأحكام الدنيوية .

الثالث : عبد طلب منه النطق بالشهادتين فأبى فهو كافر فيهما ولو أذعن قلبه ، كافر ، جاحد ، نعم يسمى جاحداً ، قال لي أحدهم : عجباً هل يجتمع التصديق مع الجحود ، قلت : نعم ، وهو كفر ، كل كافر يقول لك قلبي مؤمن مصدق بسيدنا محمد ﷺ ، فتقول له : انطق بالشهادتين أو ادخل في الإيمان؟ فيقول لك : لا ، يأبى النطق بهما ، هذا كافر ، وإليكم الدليل ، بل الأدلة :

الدليل الأول : قوم فرعون الذين قال في حقهم مولانا عز وجل :

﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرةً قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ . /النمل: ١٣- ١٤/ .

أسمعتم قول مولانا العليم بما في القلوب ، اسمعوا : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾ أي صدّقوا بها تصديقاً جازماً : يقيناً ، وهذا الجحود سماه مولانا ﴿ظلماً وعلواً﴾ .

الدليل الثاني : اليهود لعنهم الله ، كانوا قبل البعثة يستفتحون على الذين كفروا ، يقولون للأوس والخزرج : عندما يبعث النبي الأمي الذي نجده مكتوباً عندنا في التوراة سوف نكون من أتباعه وأنصاره وسوف نفعل بكم كذا وكذا .

أليس هذا تصديقاً؟ أليس هذا إذعائاً وقبولاً؟

اسمعوا البيان الإلهي يقرر الجحود ، ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ /البقرة: ٨٩/ . بل اسمعوا أكثر: اليهود قال عنهم مولانا إنهم :

﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾ /البقرة: ١٤٦/ .

الله أكبر : يعرفون نبينا الأعظم كمعرفتهم لأبنائهم ، لكنهم لم يدينوا لكلمة الحق ، وضربوا عنها صفحاً ، واسمعوا معي إلى شهادة أحد اليهود ، الذي عندما سمع ببعثة سيدنا محمد ﷺ دخل في الإسلام مباشرة ، وبعد أن أعلن إسلامه صرح التصريح التالي ، اسمعوا التصريح كما نقلته وكالة الأنباء الإسلامية على لسان صاحبه سيدنا عبد الله بن سلام (قولوا رضي الله عنه) ، قال : (والله تسجل هذه الكلمة بماء الذهب ، وهي صفقة لليهود وأي صفعة) قال : - لقد عرفت محمداً حين رأيته كما أعرف ابني ، ومعرفتي لمحمد أشد . (الله أكبر) .

قال له سيدنا عمر : ولم؟! فقال :

- لأنني لست أشك في محمد أنه نبي ، فأما ولدي فلعل أمه خانت .
فقبل الفاروق رأسه على هذه الشهادة .

من هنا كان اليهود كفاراً مع اعتقادهم وبقينهم بأمره ، لأنهم أضاعوا
شطر الركن الاعتقادي وهو الرضا والتسليم ، والإقرار .

المطلوب منك وأنت تعتقد بأركان الإيمان أن ترضى بها وتسلم تسليماً
مطلقاً ، لأنه كان من دعائه ﷺ رضيت بـ الله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً .

لا بد من الرضى والتسليم بدون مضض ولا حرج ولا شك ، وهذا -
أيها الأخوة - موجود بكتاب مولانا اسمعوه - بعد أن توحدوا الله - يقول عز
من قائل لنبية ومصطفاه :

﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى :

١- يحكموك فيما شجر بينهم ،

٢- ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ،

٣- ويسلموا تسليماً﴾ . / النساء : ٦٥ .

أسمعتم قضية التسليم والرضا (ويسلموا تسليماً) .

فتش عن إيمانك في قلبك ، هل أنت مؤمن وراض بهذا الإيمان أم لا
والعياذ بالله؟ .

وكننت ذكرت لكم فيما مضى موقف أبي طالب عبد مناف ابن جدي
عبد المطلب ، حينما كان على فراش الموت وقد طلب منه الحبيب الأعظم أن
ينطق بالشهادتين ، أبو طالب الذي كان يقول في شعره :

ولقد علمتُ بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

أبو طالب الذي دافع عن ابن أخيه دفاعاً عظيماً ، وقد جاءت إليه
صناديد الكفر ليطلب من ابن أخيه التخلي عن دعوته ﴿يريدون ليطفئوا
نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾ . / الصف : ٨ .

وكان رد سيدنا رسول الله ﷺ عظيماً شافياً وافياً قال : ما أنا بأقدر على أن
أدع لكم ذلك على أن تشعلوا لي منها شعلة (يعني الشمس) ومعناه : كما
ورد في سند ضعيف :

«وَاللَّهُ يَاعِمُ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسُ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرُ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أتركَ هذا الأمرَ ما تركته أو أهلكَ دونه» .

فماذا كان موقف عمه أبي طالب قال : اذهب يا ابن أخي فواللَّهِ لا أسلمك لشيء أبداً :

وَاللَّهُ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوسِدَ فِي التُّرابِ دَفِينَا

هل نسي سيدنا النبي لعمه هذا الموقف ، أبداً مانسيه ، أراد الحبيب أن يرد إليه الجميل فذهب إليه وهو على فراش الموت وقال له : ياعم قل لا إله إلا اللَّهُ ، كلمة أشهد لك بها عند اللَّهِ .

وكان عند أبي طالب ساعتها رجلان من رؤوس الشرك والكفر : أبو جهل وعبد اللَّهِ بن أبي أمية ، فقام أبو جهل وهمس في أذن أبي طالب ، وقال : لقد عرفناك طوال حياتك رجلاً ، أتغير دينك ودين آبائك؟! ، لا تسمع محمد ﷺ .

ورسول اللَّهِ يحاول مع عمه : قلها ياعم ولو بأذني .

وشمس العمر توشك أن تدخل في مجال كسوفها ، ويوشك أبو طالب أن يلف في أكفان القبر ، ولسانه لم يتحرك بلا إله إلا اللَّهُ ، ودخل ملك الموت ليأخذ الأمانة ، والحبيب الأعظم يلح على عمه ليسمع منه كلمة التوحيد .

وأبو جهل يمنعه ، وملك الموت يسرع الخطا حثيثاً إلى أبي طالب ، ويوشك الستار أن ينسدل على عمر أبي طالب وتنفض سوق أيامه ، ورسول اللَّهِ يردد ياعمه ، ياعمه ، لكن أبا طالب أخيراً رفض أن يقولها ، واعتذر من ابن أخيه وقال :

لولا الملامة أو حذارُ مسبة لوجدتني سمحاً بذاك مبيناً

أبى أن ينطق بالشهادتين ، وآثر النار على العار بزعمه ﴿وجاءت سكرة الموت بالحق﴾ / ق : ١٩ / وأسلم أبو طالب روحه . فما الذي حدث؟

أيها الإخوة الكرام : لا محسوبة في الإسلام للكفار ، لا شفاعة للكافرين ، ولا وساطة لهم في دخول الجنة ، إن الحبيب الأعظم يعلنها صريحة مدوية : «والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع سيدنا محمد يدها» (خ) .

فماذا صنع الحبيب لعمة قال سيدنا رسول الله ﷺ (خ) : يا عمي أما إنني سأستغفر لك الله ما لم أنه عن ذلك ، فماذا كان ردُّ الإله الواحد؟
إن مولانا أرسل كبير أمناء وحي السماء وسفير الأنبياء ، وهبط بقول مولانا :

«ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم» (الله أكبر)
الرابع : رجل أقر بلسانه ولم يصدق بقلبه ، يعني هل يصح إيمانه؟
رجل أقر بلسانه بالشهادتين ، فهذا الرجل مؤمن في الأحكام الدنيوية غير مؤمن عند الله تعالى .

مؤمن ظاهراً غير مؤمن حقيقةً ، فنكل أمره إلى الله تعالى ، إذا أقر العبد بلسانه وكان باطنه خلاف ذلك فإنه بإقراره يعصم نفسه وماله إلا بحقه ، ومرة كان سيدنا أسامة بن زيد الحبُّ ابنُ الحبِّ يتحدث عن إحدى المعارك التي خاضها فقال :

وعرض لي رجل بارزته فلما غلبته ورفعت سيفي لأضرب عنقه قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فتركته ، فما هو إلا أن وجدته بعد قليل يقاتل المسلمين ، فانقضضت عليه كالصاعقة حتى تمكنت منه ، فلما رفعت سيفي قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فتركته ، وإذا به بعد قليل يقاتل المسلمين وهنا حسمت أمري معه ، فأسرعت إليه ومازلت أقاتله حتى تمكنت من علاوته (من رأسه) وإذا به يقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لكنني ضربت عنقه .

قال : وكان الحبيب الأعظم يسمع فبان الغضب في وجهه وقال : كيف تفعل ذلك مع من نطق بالشهادتين .

فقال أسامة : كان كذاباً يارسول الله ، فقال سيدنا النبي : هلاً شققت عن قلبه ، هلاً شققت عن قلبه . . . وراح يكررها حتى قال أسامة : ليتني لم أفعل (ق) .

الذي يقر بلسانه ولا يصدق بقلبه في قلبه مرض ، يعني منافق ، تعالوا لأنقل لكم على الموجة الإيمانية من سورة البقرة ماذا يقول مولانا عز وجل ، اسمعوا :

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾ يعني كذابين ، والكذب نفاق ، والمنافق مؤمن أمام الناس (ظاهراً مؤمن) وهو يطعن الإسلام بالخفاء ، اسمعوا بقية البيان الإلهي : ﴿يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون﴾ .

ولأجل هذا لما مات حقير المنافقين ابن أبي بن سلول (وكان يظهر الإسلام ويطعنه في الخلف) وأراد سيدنا النبي أن يصلي على جنازته لرجاء ولده الشديد ، وقف الفاروق في وجهه وقال : يارسول الله! أعلى عدو الله تصلي؟! . ولكن رسول الله لم يسمع له ، فأنزل مولانا تأييداً لرأي عمر قائلاً للحبيب الأعظم : ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله﴾ /التوبة : ٨٤/ .

إذاً الإقرار دون التصديق بالقلب لا يكفي ، الإسلام لا يحب ذا الوجهين ، المطلوب منا أن يكون ظاهرنا كباطننا ، علينا مادمنا أقررنا بالتوحيد واعتقدناه أن نسلم ونذعن ، وتخضع قلوبنا لقيوم السموات والأرض ، فمن

فعل ذلك وعمل بالشرعية ونفذ الأركان فقد حصل كمال الإيمان . كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها (احفظوا معي) :

من شهد وعمل ولم يعتقد فهو منافق ، ومن أخل بالشهادة وأباها فهو كافر ، ومن اعتقد وشهد ولم يعمل فهو فاسق .

لم يعمل؟! ، ماذا يعمل؟ هل للإيمان عمل؟ ألا يكفي التصديق القلبي والإقرار باللسان؟ قال : لا ، لا يكفي ، أما سمعت القاعدة الإيمانية تقول : الإيمان : اعتقادُ بالجنان ، وقولُ باللسان ، وكمالُ عمل بالأركان؟

لا بد من العمل ، انظروا - أيها الإخوة - هذه القضية (العمل) بمفردها قضية إيمانية إسلامية ، يعني من ترك العمل بالشرعية ، الشرعية :

مثال هذا الحج والصلاة كذا الصيام فادر والزكاة

من ترك العمل بالشرعية مع اعتقادها والإقرار بها فهو فاسق ، عاصٍ .

ما هذا الكلام؟ أعني أن الإيمان والمعصية يجتمعان؟! نعم يجتمعان ويسمى صاحبهما : مؤمناً فاسقاً ، فليس العاصي كافراً؟! ، لا ، العاصي إذا كان مؤمناً فهو فاسق . ولماذا الأخذ والرد في المسألة وبين أيدينا كتاب الله وحدوا الله ، يقول مولانا : ﴿الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم﴾ / الانعام : ٨٢ / انتبهتم : آمنوا ، وهم ظالمون ، بناءً على أن الظلم معصية ، آية أخرى : ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ / الحجرات : ٩ / سماهم مؤمنين مع أن التقاتل حرام ومعصية ، وليس منا أحد لم يقارف في عمره معصية ، ولم يجد لهذه المعصية لذة ، أقلها أنه أثر متعة الفراش مرة على القيام لصلاة الفجر ، فماذا بقي في أيدينا الآن من هذه اللذة التي أحسنا بها قبل عشر سنين أو أكثر؟

وليس منا أحد لم يجبر نفسه على أداء الطاعة ، ولم يخمل لهذه الطاعة ألماً ، أقله الجوع والعطش في رمضان ، فماذا بقي في نفوسنا الآن من ألم الجوع في رمضان ، الذي جاء منذ عشر سنين؟ لا شيء .
ذهبت لذات المعاصي وبقي عقابها ، وذهبت آلام الطاعات وبقي ثوابها .

المعاصي لذينة - أيها الإخوة - مصداق هذا القول عند سيدنا رسول الله ﷺ « حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ » (م) طبيعة النفس تحب الدعة واللذة ، إنك تجد لذة في سماع الغيبة والمشاركة فيها ، لأنها تشعرك بأنك خير من هذا الذي يذكرونه بالسوء وأفضل ، والسرقعة لذينة لأن فيها امتلاكاً لمال بلا تعب ولا نصيب ، إن الزنا لذيد لأن فيه إعطاء النفس هواها ، إنالتها مشتهاها ، والغش في الامتحان لذيد ، لأنه يوصل للنجاح بلا جهد ، والهرب من الواجب - أيأ كان - لذيد على النفس ، لأن فيه الراحة والكسل .
ولكن العبد حين يفكر ويستعمل عقله ، يجد أن هذه اللذة المؤقتة لا تساوي مابعداها من سجن طويل في جهنم ، وهذه اللذة المحرمة لا تعدل مابعداها من العذاب .

من يرضى منكم - أيها الإخوة - أن نجعل بيننا وبينه عهداً (اتفاقية عند الكاتب بالعدل) مدتها عام ، نعطيها خلالها كل ما يطلب من مال ، ونسكنه في القصر الذي يريد ، في البلد الذي يختار ، ونزوجه بمن شاء من النساء ، مثنى وثلاث ورباع ولو طلق كل عشية واحدة ، وتزوج كل صباح أخرى ، ولا نمنع عنه شيئاً يريده ، ولكنها إذا انقضت السنة ، علّقناه في عنقه على المشنقة حتى يموت ، ألا يقول : لا والله ، تعساً وبعداً للذة سنة بعدها الموت ، ألا يتصور نفسه ساعة يعلق على المشنقة فيرى أنه لم يبق في يده شيء منها؟ مع أن ألم الشنق يعد دقيقة وعذاب الآخرة دهر طويل .

وحقيقة: العبد لا يقع في المعصية إلا عندما يكون غافلاً عن الله غير مستحضر جلاله ، وإذا عصى نقص إيمانه ، واسمع معي إلى حبيبنا رسول الله ﷺ يقول : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » البخاري عن أبي هريرة .

أسمعتهم؟ نفى عنه الإيمان المطلق ، ولم ينفِ مطلق الإيمان ، يعني لا يفعل هذه المعاصي فاعلمها وهو كامل الإيمان .

أيها الإخوة الكرام

أذاعت وكالة الأنباء الإسلامية بياناً شافياً وافياً كافياً ، أذاعه الصحابي الجليل سيدنا أبو ذر الغفاري رضي الله عنه عن الربّي الأعظم سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، ماهو هذا البيان ، ماصفته ما حقيقته؟ اسمعوه على الموجة الإيمانية من جامع الدرويشية بعد أن تصلوا على صاحبه ، يقول عليه الصلاة والسلام :

«مامن عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة» .

قال أبو ذر : قلت : وإن زنى وإن سرق؟! قال وإن زنى وإن سرق ، فكرر سيدنا أبو ذر مقالته ليتأكد والنبي يكرر له تأكيده ، حتى قال له في الرابعة : وإن زنى وإن سرق رغم أنف أبي ذر (م) .

فما هو الدواء للبعد عن المعاصي؟ وللإجابة عن هذا السؤال أنتقل بحضراتكم إلى أحد الصالحين ، سأله أحدهم : أشكو مرض البعد عن الله . فقال العبد الصالح للسائل :

- يا هذا عليك بعروق الإخلاص وورق الصبر ، وعصير التواضع ضع ذلك في إناء التقوى ، وصّب عليه ماء الخشية ، وأوقد عليه نار الحزن ، وصفه بمصفاة المراقبة ، وتناول به كف الصدق واشربه في كأس الاستغفار وتمضمض بالورع وأبعد نفسك عن الحرص والطمع ، تشف من مرضك بإذن الله .

قال تعالى : ﴿ وَيَغْفِرْ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ / النساء : ٤٨ .
 ومعنى قوله ﷻ : «إلا دخل الجنة» أي أنه لا يخلد في النار ، بل يعذب فيها على قدر غدراته في الدنيا ، ثم يخرجهُ اللهُ من النار بفضلِهِ ومَنِّهِ ، اللهم أجِرنا من النار ، يعذبه الله سنة أو مئة سنة الله أعلم ، اسمعوا هذا الحديث :
 «يؤتى بأنعم أهل الدنيا فيغمس في النار غمسة ، ثم يسأل سؤالاً ، هل وجدت نعيماً قط؟! فيقول : لا يارب ، ما وجدت نعيماً قط . ويؤتى بأبأس أهل الدنيا فيغمس في الجنة غمسة ثم يسأل سؤالاً ، هل وجدت بؤساً قط؟! فيقول : لا والله ما وجدت بؤساً قط» .
 علينا - أيها الإخوة - أن نتوب إلى الله كي لا نغمس في النار ولو غمسة ، إن كل مؤمن يريد أن يتوب ويرجع إلى الله ، ولكنه يؤجل ، ويسوف :
 كنت أقول : إذا بلغت الأربعين تبت ، فبلغتها وماتت ، وجاوزت الخمسين وماتت وشبت وماتت ، ليس معنى هذا أنني مقيم على المحرمات والعياذ بـ الله أو مرتكب للفواحش والعياذ بـ الله ، لا وبحمد الله ، ولكن معناه ، أن الإنسان يرجو لنفسه الصلاح ، ولكنه يُسَوِّف ، يظن أن في الأجل فسحة ، ويظن أن العمر طويل ، فيرى الموت قد طرقه فجأة ، وكم من رجل رأى الموت بعينه ثم نجاه الله ، ثم تراه ينغمس ثانية في غمرة الحياة ، وينسى . . . وينسى الموت .
 أيامك معدودة ، ولا بد لك أن تسافر إلى الله مهما عشت ستين أو سبعين أو مئة ، نوح لبث يدعو قومه تسعمئة سنة وخمسين ، فأين سيدنا نوح الآن؟ هل بقيت له الدنيا ، هل سلم من الموت؟
 من كان أمامه سفرة لا يعرف موعدها ألا يتهاى لها ، ألا يكون جاهزاً . ولنا وقفة بإذن الله تعالى مع حقيقة الموت في الركن الخامس الإيمانى .

إذاً العاصي مؤمن فاسق ، عمل بالمعصية فنقصت حسناته ، نعم الإيمان قول وعمل يزيد بفعل الطاعات وينقص بفعل المعاصي .

وَرَجَّحَتْ زِيَادَةَ الْإِيمَانِ بِمَا تَزِيدُ طَاعَةَ الْإِنْسَانِ
ونقصه بنقصها وقيل : لا وقيل لا خلف كذا قد نقلا

الإيمان — اللهم اجعلنا مؤمنين — ينبعث من الباطن إلى الجوارح ، والإسلام يسري في الجوارح إلى القلب ، والمسلم الحق هو الذي يكون ظاهره ترجماناً صادقاً لما وقر في صدره . ولهذا يقول سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه : «الإيمان ما وقر في القلب وصدقه العمل» .

ولهذا قال أهل التوحيد : إنه يزيد بفعل الطاعات واجتناب المنهيات ، وينقص (أي الإيمان) بسبب نقص الطاعة . تعالوا بنا نستمع إلى الموجة الإيمانية من سورة (الأنفال) يقول تعالى :

﴿وَإِذَا تَلَّيْتُمْ عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ / الأنفال : ٢ / .

وعلى الموجة الإيمانية من سورة (المدثر) : ﴿ويزداد الذين آمنوا إيمانا﴾ / المدثر : ٣١ / .

وعلى الموجة الإيمانية من سورة (الفتح) : ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم﴾ /الفتح : ٤ / .

أسمعتهم في (قلوب المؤمنين) ، المؤمنين من غير الأنبياء والملائكة ، لأن الأنبياء يزداد إيمانهم ولا ينقص ، والملائكة لا يزيد إيمانهم ولا ينقص .

المؤمنون وعلى رأسهم سيدنا الصديق أبو بكر الذي يقول عنه سيدنا عمر رضي الله عنه : «لو وزن إيمان أبي بكر بإيمان هذه الأمة لرجح به» .

ويقول جدي سيدنا علي رضي الله عنه :

«إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء ، فإذا عمل العبد الصالحات نمت وزادت حتى يبيض القلب كله ، وإن النفاق يبدو نقطة سوداء فإذا انتهكت الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه» وتلا قول مولانا عز وجل :

﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ /المطففين : ١٤ .

ران : اسود ، ولأجل ذلك كتب الخليفة السابع سيدنا عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي قائلاً :

إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً من استكملها ، استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان .

أيها الإخوة الموحدون :

ياحماة الإسلام وحراس العقيدة

كنت أود أن أتابع معكم ملف صفات مولانا عز وجل ولكن الوقت قصير ، والزمن يسير بنا فلأدع ذلك إلى الجمعة القادمة وأدعكم لتستغفروا مولانا من المعاصي ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له ، فاستغفروه يغفر لكم فيها فوز المستغفرين .

هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



مخالفة للاحوادث - قیامه بنفسه - الوحانیة:

من الصفات السلبية

- ه -

الحمد لله المنفرد فی کبرائه وتعالیه ، المستحق للتمجید والتقدیس والتسبیح والتتزیه ، الذی قطع بالموت عذر المعتذرين ، وقمع به کبرياء المتکبرين ، وحسم به أطماع الطامعين ، وحکم به علی الخلق أجمعين ، أحمده سبحانه وتعالى حمداً يكون لجلاله تمجيداً ولنواله معيداً وعن نكاله محيدا .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من لا يتخذ من دونه معبودا .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله بشيراً ونذيراً وشهيداً ،
سيدي أبا القاسم يارسول الله

لك في القلوب محبة ووفاء والمال منا والنفوس فداء

ياسيد الأكوان إن لقاءكم يوم القيامة فرحة ورجاء

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة
توجب لهم من فوائده مزيدا ، وتقلدُهم فرائدُ مننه تقليدا ، أما بعد :

فهذه عقائد التوحيد ننجو بها من ربقة التقليد

فاحفظ لمولى الخلق عشرين صفه تكن بها في غرف مزخرقة

له الوجود والبقاء والقدم مخالف لما يناله العدم

وقائم بنفسه وواحد فهذه ست صفات تسرد

منها الوجودُ صفةٌ نفسية والخمسُ بعدها هي السلبية

أيها الإخوة الكرام :

مازلنا في الصفحة الثالثة من بحث الأسماء والصفات ، مع الدرس الخامس من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، وبالتحديد عند الصفات السلبية ، فقد وقفت معكم منذ جمع أربع عند هذه الصفات الكريمة ، وبدأنا بصفة الوجود ، ثم القدم والبقاء ، وبقي أن أتحدث معكم عن ثلاث صفات الأولى : مخالفته تعالى للحوادث ، والثانية : قيامه بنفسه ، والثالثة : الوحدانية . وأما مخالفته تعالى للحوادث فهي صفة سلبت عن الله تعالى مماثلته للحوادث ، والحوادث هي المخلوقات التي أحدثها الله تعالى .

وأما قيامه بنفسه فقد سلبت عن الله تعالى الافتقار والاحتياج ، فمولانا قائم بنفسه أي غني عن الحل والموجد ، فهو لا يحتاج إلى ذات يقوم بها ، وهو غير محتاج إلى موجد يؤثر فيه الوجود ، فهو الغني بذاته عن كل شيء ، اسمعه يقول لنا : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد ﴾ . / فاطر : ١٥ / .

ولأنه لو احتاج إلى موجد لاحتاج موجه لمن يوجهه ، وهكذا ، وهذا محال ، ولو لم يكن مولانا مخالفاً للحوادث (للمخلوقات) لكان مماثلاً لها ، ولو كان مماثلاً لها لكان مخلوقاً مثلها وهذا محال أيضاً ، لأن علماء التوحيد يقولون الاحتياج من صفات المخلوقين ، والخالق منزّه عن الاحتياج والافتقار ، ولأن مولانا لا يماثله شيء من المخلوقات ، فإذا كان للمخلوقات جسم ، فالله تعالى ليس بجسم ، وإذا كان للمخلوقات كل وأجزاء وأعضاء فالله تعالى ليس كلاً ولا جزءاً ، وإذا كان للمخلوقات حركة أو سكون أو طلوع أو نزول أو حيز أو مكان ، فالله تعالى ليس محتاجاً إلى حركة أو سكون أو مكان ، كيف وهو السابق على الزمان والمكان .

وإذا كان الإنسان خلق ضعيفاً ، فمولانا الخالق قوي عزيز ، وإذا كان الإنسان والداً ومولوداً ، فالله تعالى لم يلد ولم يولد ، وإذا كان الإنسان

ينبى ، فالله تعالى لا يضل ولا ينسى ، وإذا كان الإنسان ناقصاً ، فالله تعالى له الكمال المطلق ، وإذا كان الإنسان محكوم عليه بالعدم والموت فالله حي باق لا يموت ، وإذا كان العبد يقوم ويقعد ويجلس بجهة من الجهات ، فالله تعالى ليس محتاجاً إلى قيام ولا قعود ولا جهة ، وليس له فوق ولا تحت ، ولا يكون فوق العالم أو تحته ، ولا يقال كيف هو ، ولا أين هو ، ولا ماهو ، ولا لماذا فعل كذا ، أو حكم بكذا ، واحفظ معي القاعدة التوحيدية : «كل ماخطر ببالك فالله بخلاف ذلك» .

فما العمدة في هذه الصفات؟ العمدة فيها قول مولانا عز وجل :

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ . /الشورى : ١١/ .

فهذه الآية دليل قاطع في منع المشابهة والمماثلة لشيء من الأشياء ، ولم؟ لأن كلمة شيء واقعة في سياق النفي : ليس : نفي (ليس كمثله شيء) تعني : لا شيء مماثل مولانا ، فيكون معنى الآية الكريمة : ليس كذاته وكصفته وفعله شيء ، يقول مولانا : ولله المثل الأعلى .

علماء التوحيد يقولون :

كل من يقول إن مولانا يشبه شيئاً من مخلوقاته فهو مجسم كافر .

فكيف يكون التفكير في الله تعالى؟ هذا السؤال يفرض نفسه على بساط البحث . هل لنا أن نعلم حقيقة ذات الله؟ والجواب هو : لا ، لا نتفكر في ذات الله تعالى لأنه لا يمكن لأحد أن يعرف حقيقة الله إلا الله ، فتعالوا معي - أيها الإخوة - وتأملوا ، أعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية ، أصغوا إلي بأسماع أفهامكم :

إذا تأملنا في تدبير أرواحنا لأجسامنا ، ونحن هي ، وهي نحن ، وعجزنا عن إدراك حقيقتها وعن كيفية تصرفها في أجسامنا ، وأين قرارها في

حال نومنا ، ومن أين تأتينا عند يقظتنا ، وكيف يدخلنا الألم والفرح والحزن والغضب والحلم واللفظ والرحمة ، وغيرها من العوارض .

إذا تأملناها كلها ونحن نجزم بوجودها علمنا عظم الخالق لها والمدبر ، وأيقنا بعجزنا عن معرفة حقيقته تعالى ، لأن العجز عن إدراك المصنوع مع مشاهدته أو مشاهدة أثره أعظم دليل على العجز عن إدراك من صنع ذلك ، وأنه عظيم فوق جميع ذلك ، ولأجل هذه السعة غلبت عظمته تعالى على قلوب الخلق وتكلموا بالكلمات العظيمة كحجة الإسلام الإمام الغزالي الذي قال : ليس في الإمكان أبدع مما كان . وهذا الكلام لا يعني نسبة عجز إلى الله تعالى ولكن من شدة الاستغراق في أسرار الكائنات وأن مظاهر مطابق للعلم الإلهي بحيث لا يمكن أن يوجد غير ما علمه الله تعالى .

الواجب عليك أيها العبد أن تعرف صفات الألوهية واحكامها لا معرفة ذاته وحقيقته لأنه لا يعرف حقيقة الله إلا الله ، ولهذا سألوا الصديق مرة بم عرف ربك؟ فقال : عرفت ربي بربي ولولا ربي لما عرفت ربي .

العجز عن درك الإدراك إدراك
فما عرف الله بالحقيقة إلا الله .

أيها الإخوة :

كم مرة نقرأ آية الكرسي في اليوم؟ هل تفكرتم في معاني هذه الآية العظيمة التي قال عنها سيدنا رسول الله ﷺ إنها : أعظم آية في القرآن (م) . آية الكرسي؟ نعم آية الكرسي التي من لم يحفظها كان محروماً من بركتها ، بركتها؟ نعم ، ومن بركتها أن من قرأها قبل نومه حفظه الله حتى يصبح (خ) ، ومن قرأها دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت (ابن السني : صحيح) .

تعالوا معي نستشف بعض المعاني الإيمانية من هذه الآية الكريمة التي يبدوها مولانا بقوله :

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ / البقرة : ٢٥٥ / : اللَّهُ واحد في ألوهيته ، لا يعبد معه غيره ، وهو الحي في ذاته الذي لا يموت أبداً ، والقيوم الذي قامت به السموات والأرض وجميع الموجودات وهو غني عنها ، ولا قيام لها بدون أمره فمن آياته : ﴿أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ / الروم : ٢٥ .

﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ / البقرة : ٢٥٥ / : لا يعتريه نقص ولا غفلة ولا ذمول عن خلقه بل هو قائم على كل نفس بما كسبت شهيد على كل شيء ، لا يغيب عنه شيء ، ولا تخفى عليه خافية ، ومن تمام القيومية به ألا تأخذه سنة ولا نوم ولا تغلبه سنة (الوسن) هو النعاس ، والنوم أقوى من السنة . ومرة قام الحبيب الأعظم خطيباً في الصحابة رضي عنهم ، اسمعوا إلى هذه الخطبة العصماء المختصرة الوجيزة البليغة الفصيحة قام فقال :

(إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ ، وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَنَامَ ، يَخْفُضُ الْقَسْطَ وَيَرْفَعُهُ ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ ، حِجَابُهُ النُّورُ أَوْ النَّارُ ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سَبْحَاتُ وَجْهِهِ مَا أَنْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ) (م) .

فأله لا ينام : ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ / البقرة : ٢٥٥ .

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ / البقرة : ٢٥٥ / : الكون كله أرضه وسماؤه مملوك له ، وأن كل ما فيه ومن فيه خاضع له لا يخرج عن تقديره وتديره وقهره وسلطانه .

- ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ : لا يتجاسر أحد أن يشفع لأحد عنده إلا بإذنه له في الشفاعة مثل حبيبنا سيدنا رسول الله ﷺ الذي يأتي تحت العرش فيخر ساجداً إلى ما شاء الله ثم يقال : ارفع رأسك وقل يسمع لك واشفع ﷺ .

- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ : علمه محيط بكل شيء ، بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وأما مخلوقاته فـ ﴿وَلَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ : لا يدرك أحد شيئاً من علم مولانا إلا بالقدر الذي يشاؤه هو .

- ﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ /البقرة: ٢٥٥/ : السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش .

- ﴿ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ /البقرة: ٢٥٥/ : لا يثقله حفظه السموات والأرض فالأشياء كلها حقيرة بين يديه متواضعة ذليلة ، صغيرة بالنسبة إليه محتاجة فقيرة وهو الغني الحميد .

ولذلك لما سئل سيدنا رسول الله ﷺ : صف لنا ربك ، أو انسب لنا ربك ، أنزل عليه مولانا عز وجل :

﴿قل هو الله أحد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد﴾ (ت- ح- ابن خزيمة- ابن جرير- أبة الشيخ : ص)

أي ليس له مماثل ولا مكافئ ، وهو ما يسمى بالتنزيه ، يعني نفي الشبيه والعدل والمماثل ، ولهذا كانت أعظم آية في التنزيه قوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ ، أي لا يشبه شيئاً من الكون ، ليس هناك شيء يشبه أن يكون مثلاً لله فضلاً عن أن يكون مثلاً له ، هذا أحسن تعبير ، يعني بإيجاز . الخالق لا يشبه المخلوق .

ومن هنا ضل الضلال البعيد الذين يمثلون رب العزة بخلقه ، كفرعون ، الذي قال لشعب مصر : أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي ، فقالوا : بلى فقال لهم : ما علمت لكم من إله غيري ، فاستخف قومه فأطاعوه ، وادعى الألوهية والخلود على الأرض .

فخلف من بعده خلف قالوا : إن سيدنا جبريل كان يتمثل بصفة دحية الكلبي ، وبصفة أعرابي يأتي النبي بالوحي ، وتمثل لمريم بشراً سوياً ومع هذه الحالة هو جبريل بعينه لم يتغير عن الملكية ، وضلوا وأضلوا كثيراً ، فقالوا : إذا قدر المخلوق على أن يتطور ويتلون بأشكال مختلفة ، فالخالق القادر على ذلك أقدر بأن يظهر في صورة مخصوصة أو في صورة الكون ، فجسموا الله وشبهوه بخلقه ، وجوزوا أن يحل في الخلق ومارقوا من الدين كالسهم من الرمية ، واسمع معي إلى قول ابن حجر العسقلاني يقول عنهم : قال : الطوفي : والاتحادية زعموا أنه على حقيقته وأن الحق عين العبد ،

واحتجوا بمجيء جبريل في صورة رحية الكليبي . قالوا فهو روحاني خلَّع صورته وظهر بمظهر البشر قالوا : الله أقدر على أن يظهر في صورة الوجود الكلي أو بعضه ؛ تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً (١) ، واتسع الخرق على الراقع في إحدى الدول التاريخية التي حكمت في عصور الانحطاط فاعتقدوا في ملوكهم الربوبية كالحاكم بأمر إبليس الذي قال : **إِنَّ اللَّهَ حَلَّ فِي أَجْدَادِهِ** ، ثم حل فيه - يؤوله على هذه الدعوى - فصار أعوانه يسجدون له ويركعون ، ولما مات هذا الملك قام ولده من بعده ، وأعلن أن أباه كان كذاباً وكافراً ، وتبرأ من دعوة أبيه وأمر الناس بعبادة **اللَّهُ** ، **اللَّهُ** الذي لا يحل في إنسان ، واسمعوا ماذا يقول الشيخ الأكبر الشيخ محيي الدين بن عربي رضي **اللَّهُ** عنه :

جَلَّ عَنْ حُلُولِ وَعَنْ اتِّحَادٍ وَعَنْ الْعُقُولِ فِي فَهْمِ الْمَرَادِ

وقد ادعى مرة النمرود الألوهية على الأرض زمن سيدنا إبراهيم الخليل ، فجاء إليه الخليل وناقشه قائلاً :

﴿ربِّي الذِي يَحْيِي وَيُمِيتُ ، قَالَ : أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾/البقرة: ٢٥٨/ ، فأحضر رجلين حكم عليهما بالموت ، فأطلق سراح أحدهما وقتل الآخر ، وحين نظر الخليل إلى هذه المفارقة العجيبة قال للنمرود : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتَتْ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾/البقرة: ٢٥٨/ .

كفانا تخبطاً وعبوديةً للملوك ، ولنعد جميعاً إلى عبادة الواحد الأحد ، إن جبريل جسم مخلوق نوراني يقبل التغيير والتنقل والتشكل ، لأنه مخلوق ، وأما مولانا عز وجل فليس جسماً ولا عرضاً ولا مادة ، تعالى عن ذلك علواً كبيراً ، وإذا وسوس لك إبليس قائلاً : إذا لم يكن المولى كما ذكر فما حقيقته ، فقل في الرد عليه وعلى أبالسة الإنس : لا يعلم حقيقة **اللَّهُ** إلا **اللَّهُ** ، ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾/الزمره: ٦٧/ ، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾/الشورى: ١١/ .

(١) فتح الباري كتاب الیفاق صفحة (١٤٦) مجلد رقم (١٣) باب التواضع .

إذا - أيها الإخوة -

اللَّهُ هو الغني ، هو القائم على كل نفس بما كسبت ، هو القيوم ، قيوم السموات والأرض ، به قامت السموات والأرض ، هو مالك الملك يتصرف فيه تصرف المالك الحر بملكه ، يحيي ويميت : هل تقدر أنت أن تدفع عن نفسك الموت وتمنحها في الدنيا الخلود؟ مادمت لا تستطيع فلا تدعي العظمة والربوبية والخلود ، واعلم أن مولانا غني عن كل شيء ، لا يماثل المخلوقات لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، وهذا هو معنى مخالفته للحوادث . فالعبد تحت قهره تعالى ، صفتك العجز والجهل والفقر والضعف ، وصفة مولانا تضادُ صفة العبد ، لأن صفة الحق عز وجل الغنى والقدرة والعلم والقوة ، وغيرها من صفات الكمال ، فهل عرفت نفسك؟! أنت محتاج وربك الغني ، عرفت نفسك؟ إذا عرفت نفسك عرفت ربك ، فقد قيل : من عرف نفسه عرف ربه .

إذا عرفت نفسك بالجهل ، عرفت ربك بالعلم ،

وإذا عرفت نفسك بالضعف ، عرفت ربك بالقوة ،

وإذا عرفت نفسك بالفقر ، عرفت ربك بالغنى ،

إذا ماتذوقت فقرك الذاتي وجدت أنه لا حول لك ، ولا قوة لك إلا بربك سبحانه ، ووجدت أن كل ما هو لك وارد منه إليك ، وناشر جنح التفضل عليك ، فقل من قلبك الحمد لله ، وارفع إليه كفيك وأظهر عجزك وذلك ، وعبوديتك ، وإياك أن تتكبر وتتجبر وتعتقد أنك إليه لا ترجع ، وإياك أن تدعي أن لله نداً ، فإنك ومن تدعيه أت ربك يوم القيامة فرداً ، ﴿ ونسوق المجرمين إلى جهنم ورداً ﴾ / مريم : ٨٦ ، حيث يقال لهم : ﴿ لقد جئتم شيئاً إداً ، تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً أن دعوا للرحمن ولداً ﴾ / مريم : ٨٩ - ٩١ .

اللَّهُ ، اللَّهُ لا شريك له ، لا ولد له ، اللَّهُ تعالى واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله ، فهو تعالى المنفرد بالإيجاد والإمداد ، ولا مؤثر

معه في فعل من الأفعال ، وإلا لما كان واجب الوجود ، ولأن وجود شريك له تعالى يعني احتياجه إلى من يستعين به أو إلى موجد ، وهو يؤدي إلى أنه مخلوق عاجز ، وهذا محال على الله تعالى ، اسمع إليه يقول لك :

﴿واللهكم إله واحد لا إله إلا هو﴾ / البقرة : ١٦٣ .

فهل تعرفون ماذا يعني أنه لا إله إلا هو ، معناها له خمسة أعداد :

الأول : ذاته تعالى ليست مركبة من أجزاء .

الثاني : أنه لا توجد ذات تشبه ذاته تعالى .

الثالث : أنه تعالى واحد في صفاته أيضاً فليس له صفتان من جنس واحد بل قدرة واحدة وإرادة واحدة وعلم واحد .

الرابع : وأنه ليس لغيره صفة تشبه صفته تعالى .

الخامس : واحد في أفعاله فليس لغيره تأثير ما في فعل من الأفعال ، بل الأفعال كلها لله تعالى ، لا فاعل إلا الله ، اسمع إليه يقول لنا : ﴿والله خلقكم وماتعملون﴾ / الصافات : ٩٦ / أي خلقكم وخلق عملكم (فعلكم) .

وهذا البحث يسمونه العلماء بحث الوجدانية أو صفة الوجدانية لله تعالى ، لينفوا عن مولانا التعدد ، يعني : لا يوجد إلهان لهذا الكون ، ﴿لو كان فيهما (الأرض والسماء) آلهة إلا الله لفسدتا﴾ / الأنبياء : ٢٢ / ، أي لم توجدا ، (لماذا؟) لتعارض الإرادتين واجتماع الضدين ، إيجاد ولا إيجاد ، ومادامت قد وجدت هذه المخلوقات فدل ذلك على أن الموجد واحد .

وقد يقول أحد فإن اتفقا على وجود شيء . فأقول له لا يمكن أن يوجداه معاً لئلا يلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد .

وقد يقول : آخر : فإن أوجداه مرتباً (يعني يوجداه أحدهما ثم يوجداه الآخر) . فأقول له : لا يمكن لأنه يلزم منه تحصيل الحاصل .

فقال لي ثالث : فإن أوجد أحدهما بعضه وأوجد الآخر بعضه الثاني ، فقلت له : هذا دليل العجز لأنه لم يقدر على خلقه كله .

إذاً تحصل لدينا أن مولانا عز وجل واحد في ذاته : ليس له من شريك
وليس مركباً من أعضاء وأجزاء .

واحد في صفاته : غير متعدد الصفة من جنس واحد ، وليس لغيره
صفة كصفته تعالى .

وواحد في أفعاله : ليس لغيره تأثير في فعل ما ، حتى أفعال العباد ﷻ
هو خالقها ، فهو الذي يمرض ويشفي ، هل تقدر أن تشفي مَنْ حَرَمَهُ ﷻ الشفاء :
إن الطبيب له بالطب معرفة إن كان في عمر الإنسان تأخير
حتى إذا ما انتهت أيام مدته حار الطبيب وخانتة العقاقير

فمولانا يمنح المال ويتلى بالفقر ، يبعث السيول ويصيب بالجفاف ،
كان في السنة الماضية فيضانات في شمال إيطاليا جرفت المدن ودمرت
العمران ، وكان في ذلك الوقت في الهند جفاف ييس معه الزرع ، وهلك
الماشية وصار توزيع الماء بالبطاقات ، فمن زاد الماء على هؤلاء حتى شكوا منه
وحرّم أولئك حتى تمنوه؟ من يعطي هذا بنات وهذا بنين ويجعل من يشاء
عقيماً؟ هل يستطيع من رزق البنات أن يحولهن إلى بنين؟ ومن كان عقيماً
أن ينجب الولد؟ من يفعل ذلك ؟ الله والله وحده .

ولا تظن أنك عندما تأكل الطعام فإنه يشبعك ، لا ، إن مولانا يخلق
الشبع عندما تأكل أنت الطعام ، ويخلق لك الري عندما تشرب الماء ، ويخلق
الإحراق عند وجود النار ، ويخلق القطع عند وجود حد السكين ، فلا فاعل
إلا ﷻ ، هل سألت نفسك لماذا لم تحرق النار سيدنا إبراهيم لما ألقاه النمرود
في النار؟! لأن مولانا أعطى أوامره للنار ﴿قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على
إبراهيم﴾ / الأنبياء : ٦٩ / .

عقيدتنا أن المؤثر هو ﷻ ، وﷻ وحده ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ /
الصفات : ٩٦ / ، وأنه تنزه عن شريك أو والد أو ولد ، وأما ما يدعيه المشركون

أن لله ابناً أو زوجة أو بنات فهو باطل وشرك وكفر ، ولهذا اسمع معي إلى مولانا عز وجل يقول : ﴿ ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من إله ، إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحانه الله عما يصفون ﴾ / المؤمنين : ٩١ . فهذه الآية تضمنت أن الله سبحانه لم يتخذ ولداً ، لاستلزام انفصال الولد عن أبيه ، وذلك يقتضي التركيب المحال على الله ، ولأن الولد يجانس أباه ويمائله والله ليس كمثله شيء / الشورى : ١١ .

ثم ذكرت الآية الكريمة أنه لا ينبغي أن يكون معه من إله ، لأنه لو كان معه إله يشاركه في الألوهية ويخلق معه لذهب كل واحد بما خلقه ، ولعلا بعضهم على بعض ، أي غالب بعضهم ليوسع ملكه ، ولو حصل هذا لفسد نظام العالم ، ولو كان من آلهة كما يزعم المشركون لطلبوا مغالبة الله ومزاحمة ذي الجلال ، اسمعه يقول لنا :

﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا بتغوا إلى ذي العرش سبيلاً سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً ﴾ / الإسراء : ٤٢ - ٤٣ / ف الله تعالى ليس له من شريك ، فهو واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله ، فكيف يقولون إن معه اثنين من الشركاء الابن وروح القدس كيف يقولون :

فهو الإله ابن الإله وروحه ثلاثة هي واحد لم تقسم

الله الذي ليس كمثله شيء ، والذي ذاته فوق متناول العقول ، والذي لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار يقولون : إن له شريكاً ؟ !

وبدأ الشرك عند النصارى بـ الله عندما قام رجل اسمه بولس ليقول : إن المسيح أرقى من الإنسان بل هو نموذج لإنسان جديد ، وعقل سام متولد من الله ، وأنه كان موجوداً قبل أن يوجد هذا العالم . وأنه تجسد هنا ليخلص الناس من ذنوبهم وخطاياهم . ماهذا الكلام وماهذه الهرطقة ؟ وكيف خلّص الناس ذنوبهم ، اسمعوا ماذا قالوا بعد أن عظموه قالوا : إنهم صلبوه ليكون كفارة عن ذنوب الخلائق ، ثم (ابن الإله) يصلب ويسمر يديه ورجليه في

الخشب ، ثم يُقتل ويُضرب وجهه ويُسخر منه ويُصفّر له اكليلٌ من الشوك ،
ويبصق في وجهه ، عجيب وغريب أليس مولانا يقول ﴿ كل نفس بما كسبت
رهينة ﴾ / المدثر : ٣٨ ، ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ / الإسراء : ١٥ .

ثم الأعجب والأغرب في أمرهم أنهم مع اعتقادهم بصلب السيد
المسيح فهم يعتقدون بألوهيته ، أو بأنه ابن الإله ، وإذا صلب الإله كيف
يكون شأن الخلق ، وكيف لم يستطع الإله أن يخلص نفسه من بين أيديهم
أو ينقذ ولده من تنكيلهم وإجرامهم!!

أعباد المسيح لنا سؤالٌ نروم جوابه من وعاء

إذا صلب الإله بفعل عبد يهودي فما هذا الإله؟

فما هي العقيدة الصحيحة في سيدنا عيسى؟ الحقيقة هي ماقررها
القرآن الكريم وهو أنه رسول بعثه الله إلى بني إسرائيل بالهدى والبيّنات
وأمه الصديقة الطاهرة البتول التي احصنت فرجها وكانت من القانتين :
﴿ كانا يأكلان الطعام ﴾ / المائدة : ٧٥ .

انظروا إلى هذا الأدب الرفيع ، إن الله ليشير إلى أن الذي يأكل
ويشرب محتاج ، والإله ليس بمحتاج ، والذي يتناول الطعام يحتاج إلى
إخراج الفضلات ، يحتاج إلى التغوط ، وأن يدخل بيت الخلاء ، فكيف يليق
هذا بالإله أو بابن الإله؟ كيف يكون سيدنا عيسى إلهاً مع أنه خرج من رحم
امرأة ، وولد كبقية الناس ، ولذلك رد القرآن الكريم عليهم باطلهم وضلالهم
وبين كفرهم ، فقال جل ثناؤه :

﴿ يا أهل الكتاب لا تغلّوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق ،

إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه
فآمنوا بالله ورسوله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيراً لكم ، إنما الله إله
واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له مافي السموات ومافي الأرض
وكفى بالله كيلاً ﴾ / النساء : ١٧١ .

وعلى الموجة الايمانية من سورة المائدة قال :

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ / المائدة : ٧٢ .
لذلك اسمع إلى حبيبك رسول الله ﷺ يقول : «ماسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا كان من أهل النار» (م) .

ولأجل ذلك يقول عليه الصلاة والسلام «ينزل فيكم عيسى ابن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً أربعين سنة فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية» (ق) .

وسيحكم بشريعة القرآن فلا يقبل من أحد إلا الإسلام ، فهنيئاً لكم معشر المسلمين ويا أمة محمد ﷺ ، هنيئاً يامن جئتم لتجددوا العهد مع الله وتقولوا لا إله إلا الله ، كلكم ما أتى إلا ليوحد الله ، ما الذي جاء بكم ، اسمعوني بربكم ، وارفعوا أصواتكم ، وجددوا إيمانكم وقولوا لا إله إلا الله يقول أبو هريرة رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ من أحق الناس بشفاعتك يوم القيامة يا رسول الله؟ فقال ﷺ : إن أحق الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله مخلصاً من قلبه أو نفسه ، ويقول مولانا : فاذكروني أذكركم ، وقال تعالى ﴿ ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾ .
هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



تذكر عزيزي الموحّد :

صفات مولانا عز وجل : صفة نفسية

صفات سلبية

صفات معان

صفات معنوية

أوصاف الإيمان ثلاثة : اعتقاد بالجنان - قول باللسان - وكماله عمل بالأركان .

الإيمان يزيد بفعل الطاعات ، وينقص بفعل المعاصي .

الوجدانية : وجدانية في ذاته تعالى

وجدانية في صفاته تعالى

وجدانية في أفعاله تعالى

ظلال المعاني لمولانا عز الدين

- العلم -

- 6 -

الحمد لله الواحد في ذاته وأفعاله وصفاته ، الماجد في حلى آياته ، المعروف بالقدم والبقاء قبل إيجاد مخلوقاته . الموصوف بكبرياء رداءه وعظمة إزاره ، أشكره على جزيل هباته ، وأستغفره وأتوب إليه وأسأله أن لا يقطع عنا عوائد صلاته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي هو أفضل مخلوقاته ، اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين قاموا بشريعته ، وسلم تسليمًا .

أما بعد :

فإننا تحدثنا حتى الآن حول نوعين من الصفات الإلهية ، وهي الصفات النفسية والسلبية ، ونحن نسير مع منظومة التوحيد التي نظمها الشيخ عبد المجيد الشرنوبلي : ووصلنا إلى صفات المعاني :

وواجب لربنا المنان سبعُ صفات سُميتُ معاني
علمُ إرادةٍ بصره سمعُ كلامٍ وحياةٍ تعتبرُ

وسميت هذه الصفات بالمعاني لأن لها معنى ، لأنها تدل على معنى قائم بذاته تعالى ، وهذه الصفات صفات قديمة أزلية قائمة بذاته تعالى ، بحيث لو كشف عنا الحجاب لرأيناها قائمة بذات الله تعالى ، أي أنه

متصف بها ومتحقق وجودها به . من هذه الصفات : صفة العلم .

أي أن مولانا محيط بكل الأشياء دون سبق خفاء ، أحاط بكل شيء علماً ، ولا يتقيد علمه بزمان ولا مكان سواء منها المعلومات الماضية أم الحاضرة أم المستقبل ، لم يسبق علمه جهل ، ولا يعتريه نسيان ، وعلمه بالكيلات كعلمه بالجزئيات ، اسمعه يقول : ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ، ويعلم ما في البر والبحر ، وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين﴾ / الأنعام : ٥٩ / .

فمولانا يعلم كل شيء جملة وتفصيلاً كلاً وجزءاً ، يعلم الواجبات والمستحيلات والممكنات (أي المخلوقات) ، ولهذا كرر مولانا في كتابه الكريم أدلة علمه فقال :

﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ / الجن : ٢٨ / ،

﴿لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض﴾ / سبأ : ٣ /

﴿والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾ / يس : ٣٨ / .

﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم﴾ / يس : ٧٩ /

فإذا عظمت في عقل العبد هذه الإحاطة فليرجع إلى قول مولانا ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾ / لقمان : ٢٨ / ما خلق جميع

المخلوقات من قبل آدم إلى يوم القيامة بالنسبة إلى قدرته إلا كنسبة خلق

نفس واحدة ، الجميع هين عليه ، ﴿وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر﴾ /

القمر : ٥٠ / . واسمعوا إلى عظمة مولانا عز وجل ، ليسمع الملهدون ،

لتسمع الدنيا كلها ، إن مولانا يقول :

﴿وما قدروا الله حق قدره ، والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ،

والسموات مطويات بيمينه﴾ / الزمر : ٦٧ / .

فأعلمنا مولانا عن عظمته بتقليل الكون ، حيث شبهه بقبضة يتصرف

فيها قابضها من دون مشقة ولا عناء ، قبضاً هو أعلم به ﴿ليس كمثله شيء﴾ / الشورى : ١١ .

وإنما أثبت علماء العقيدة لمولانا صفة العلم لنفي عنه الجهل ، لأنه لو لم يكن عالماً لكان جاهلاً ، والجهل عجز ، والجاهل لا يصح أن يريد شيئاً ، وأما مولانا فإنه عالم الغيب والشهادة قال عن ذاته العلية : ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ / هود : ١٠٧ ، وأما نحن فنوصف بالمعرفة والعلم ، يعني لا يصح أن أقول (اللَّهُ عارف ذلك) ، بل نصفه بالعلم ، وأما نحن فنوصف بالمعرفة والعلم ، لم ؟ لأن المعرفة يسبقها جهل ، وأما العلم فلا يسبقه جهل في حق ذاته عز وجل ، وأما نحن فقد سبقنا جهل ، بل نحن كلما ازددنا علماً ازددنا علماً بجهلنا ، وأنا أسأل هذا السؤال : مامدى العلم الذي تبلغه عقولنا أو حواسنا ؟

إن مثلنا مع الموجودات وعلمنا بها كمثل رجل سجنه حاكم في برج القلعة ، وسد عليه الأبواب والنوافذ ، ولم يترك له إلا شقوقاً في جدار البرج ، شقاً يطل منه على النهر الذي يجري في الشرق ، وشقاً على الجبل الذي يقوم في الغرب ، وشقاً على القفر الذي يجثم في الشمال ، وشقاً على الملعب الذي يقع في الجنوب .

السجين هو النفس ، والقلعة الجسد ، وهذه الشقوق هي الحواس ، حس النظر يشرف على عالم الألوان ، وحس السمع على عالم الأصوات ، وحس الذوق على عالم الطعوم ، وحس الشم على عالم الروائح ، وحس اللمس على عالم الأجسام .

والسؤال الآن : هل أعلم وأدرك بكل حاسة من هذه الحواس كل ما في العالم الذي أشرف عليه ، السجين عندما ينظر من شق النهر ، لا يرى النهر كله ، ولكن جزءاً منه ، وكذلك العين حين تشرف على عالم الألوان ، لا تراه كله بل ترى بعضه ، السمع لا يسمع كل شيء ، لا أسمع للمحسوسات صوتاً ، لأن أذني تلتقط الهزات من خمس وإلى عشرين ألفاً فإن نقص لا تسمعه ومازاد تسمعه طيلة الأذن . وأنا لا أشم رائحة السكر مع أن النملة والذباب يشمه ويسرع إليه ،

إذاً الحواس لا تدرك في العوالم التي سلطت عليها إلا جزءاً منها ، لذا اسمع إلى مولانا يقول : ﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ / البقرة : ٢٥٥ / .

وقد ورد في الحديث الشريف عن سيدنا رسول الله ﷺ قال :

«إن الله وضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي فما سألتني عن شيء إلا علمته فأورثني الله علم الأولين والآخرين» (ابن أبي شيبه : حسن) .

واختص مولانا ذاته بعلم لم يطلع أحد عليه ، هي من مفاتيح الغيب منها قوله جل جلاله : ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت﴾ / لقمان : ٣٤ / وكذا اختص ذاته بحقيقة الروح ﴿قل الروح من أمر ربي﴾ واختص بتفصيل بدء الخلق ﴿ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم﴾ / الكهف : ١١ / وبتفاصيل النشأة الأخرى ﴿وننشئكم في ما لا تعلمون﴾ وبعنوده جل وعلا ﴿وما يعلم جنود ربك إلا هو﴾ / المدثر : ٣١ / اسمعه يقول لك ﴿عالم الغيب لا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾ / الجن : ٢٧ / .

أيها الإخوة الكرام

اسمحوا لي أن انتقل بكم إلى هناك ، إلى ما قبل ألفين وخمسمئة عام وأرى سيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام يقف خطيباً في بني إسرائيل - فيما يرويه البخاري - وبكت العيون لكلامه ، ورقت القلوب لعظاته ، حتى إذا ولى أدركه رجل فقال : أيا رسول الله ، من أعلم أهل الأرض؟ فنظر سيدنا موسى ، ثم قال : أنا . فأوحى إليه مولانا « واسمعوا هذا الكلام بين مولانا وكليمه فقد كلم الله موسى تكليماً ، وأوحى الله إليه : يا موسى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعتني وجعلت فيك عشرة آلاف لسان حتى كلمتني وأحب ما تكون إلي وأقرب ما تكون إلي إذا صليت على حبيبي محمد ﷺ » . (وهب بن منبه) .

قال أي رب أي عبادك أفضی ، قال : الذي یقضي بالحق ولا یتبع الهوى ، قال آیا رب أي عبدك أعلم؟ قال . الذي یتبغی علم الناس إلى علمه عسی أن یصیب كلمة تهديه إلى هدی أو ترده عن ردی ، قال : أي رب هل فی أرضك أعلم منی؟ قال : نعم ، قال : فمن هو؟ قال : الخضر (سمی الخضر لأنه جلس على حشیش یابس فإذا هو یهتز من تحته أخضر بإذنه تعالى والناس فیہ فریقان : فریق یقول بحیاته وأنه حی إلى یوم القيامة ومنهم سیدنا الإمام النووي وابن الصلاح ، ومنهم من یقول بموته وكل منهم له دلیل والله أعلم به) . فاستأذن الله تعالى أن یذهب إليه لیتعلم منه ، فأذن له ، فقال له : اجعل لی علامة ، فقال : خذ حوتاً (سمكة كبيرة) فی مکتل فإذا فقدته فهو هناك .

وسار مع فتاه یوشع بن نون وأوصاه حین یفقد الحوت أن یخبره .

﴿فلما بلغ مجمع بينهما﴾ ، أوی سیدنا موسى لینام وبقي یوشع یحرسه فإذا بالحوت ینخرج من الوعاء ویسقط فی البحر واتخذ سبيله فی البحر ، فلما استیقظ نسی یوشع أن یخبره عن الحوت فانطلقا بقية یومهما ، ﴿فلما جاوزا قال لفتاه : أتنا غداً لقد لقینا من سفرتنا هذا نصباً﴾ ، قال أرأیت إذ أوینا إلى الصخرة فإنی نسیت الحوت وما أنسانیہ إلا الشیطان أن أذكره واتخذ سبيله فی البحر عجباً﴾ ، فكان الحوت سبباً ولموسی وفتاه عجباً ، قال : ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً ، حتی انتهیا إلى الصخرة فإذا رجل مسجی بثوب فسلم علیه موسى فقال سیدنا الخضر : وأنی بأرضك السلام ، من أنت؟ فقال : أنا موسى ، فقال موسى بني إسرائيل؟ قال نعم ﴿قال : هل أتبعك على أن تعلمن مما علمت رشداً﴾ ، قال : إنك لن تستطیع معی صبراً﴾ ، یاموسی إنی على علم من علم الله علمنیہ لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمک الله لا أعلمه ، یعنی أنت نبی فی علم الشریعة ، وأنا نبی فی علم الحقیقة ، بحران : بحر فی علم الشریعة ،

وبحر في علم الحقيقة ، فقال سيدنا موسى ﴿ستجدني إن شاء صابراً ولا أعصي لك أمراً﴾ ، قال له سيدنا الخضر (والراجح أنه نبي ، لأنه لا يعلم نبياً إلا نبي) ، ﴿قال : فإن اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً﴾ .

فانطلقا يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فسألوا أصحابها أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير أجر ، فلما ركبا في السفينة إذا بالخضر يقلع لوحاً من ألواح السفينة ، بالقدوم ، فقال موسى : قد حملونا بغير نول فعمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها ، ﴿لقد جئت شيئاً إمراً﴾ (منكراً) ، قال سيدنا الخضر : ﴿ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ، قال : لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسراً﴾ ، فكانت الأولى من موسى نسياناً ، وهنا - أيها الإخوة - جاء عصفور فنقر في البحر نقرة أو نقرتين فقال له الخضر : ماعلمي وعلمك في علم الله إلا مثل مانقر هذا العصفور في البحر .

أيها الإخوة :

أتابع معكم هذا الحدث الهام على الموجة الإيمانية من سورة الكهف من جامع الدرويشية ، لأن سيدنا الخضر راح يثبت في مراحل سيرهما أن العبد مهما بلغ من العلم فإن أموراً كثيرة لا تحصي يجهلها ، ظهر هذا في اعتراض سيدنا موسى على قتل الغلام وعلى رفع الخضر الجدار للفلاحين ، وتذكروا : «ماعلمي وعلمك في جنب علم الله إلا مثل مانقص العصفور من هذا البحر» (خ) .

إن مولانا أحاط بكل شيء علماً من الجزئيات والكمليات والموجودات والمعدومات والممكنات ومنها (المخلوقات) والمستحيلات ، ولا يكفي أن تنفي الجهل عنه ، فإن نفي الجهل لا يكون صفة مدح ، وقد مدح الله تعالى الأنبياء والملائكة والمؤمنين بالعلم لا بنفي الجهل ، وعلمنا أن ثبت ما أثبتته الله تعالى لنفسه ونفي مانفاه ونمسك عما أمسك عنه ، اسمعه يقول : ﴿يعلم

ما بین أیدیهم وما خلفهم ﴿ البقرة : ۲۵۵ / - یعلم خائنة الأعین وما تخفی الصدور - ﴾ ویعلم ما فی السموات وما فی الأرض ﴿ آل عمران : ۲۹ / .
انظروا إلى هذا الكون : خلقه بحكمته المتقنة ، الواقعة على أحسن ترتيب ونظام وإحكام وإتقان وذلك لا یحصل إلا للعالم بها وهو الله .

وقد قام رجل إلى ابن الشجری وهو على كرسي الوعظ فقرأ قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو فی شأن ﴾ ، فوقف على رأسه رجل وقال یا هذا : ما یفعل ربك الآن ؟ ، فسكت ، وبات مهموماً فرأى المصطفی فی المنام وذكر له ذلك وسأله فقال له : إن السائل هو الخضر ، وأنه سيعود فقل له : شؤون بیديها ولا یتديها ، (أحوال یظهرها ولا یتأنفها علماً) ، یخفض أقواماً ویرفع آخرین» فمعنی (كل يوم هو فی شأن) : كل وقت هو فی أمرٍ على وفق علمه وإرادته أزلاً ، فأصبح مسروراً ، وما إن جلس على كرسي وعظه حتى أتاه سيدنا الخضر وأعاد علیه السؤال : ما تفسیر قوله تعالى : ﴿ كل يوم هو فی شأن ﴾ / الرحمن : ۲۹ / ما یفعل ربك الآن ؟ فقال ابن الشجری :

- شؤون بیديها ولا یتديها یخفض أقواماً ویرفع آخرین . فقال له سيدنا الخضر : - صل على من علمك .

فالله تعالى - أيها السادة ﴿ عالم الغیب فلا یظهر على غیبه أحداً إلا من ارتضى من رسول ﴾ / الجن : ۲۷ / .

واسمحو لی أن أفصل فی هذه الآية لأهميتها :

الغیب : هو الغائب ، كل ما غاب عني (عن سمعی وبصری) فهو غیب ، ولكنه یتناولُه غیرك بالمشاهدة ، كالعلم بالدول والأقطار ، والطبقات الأرضية والأجهزة الداخلية للإنسان والحيوان فهذا غیب بالنسبة لبعض دون بعض ، وقد یعلم الغائبُ عنه بسماع أخباره عن شاهد .

والغیب ما غاب عن حس الناس جميعاً ولكنه یكون فی متناول

عقولهم إما بالتجربة أو بغيرها ، مثلاً علم ماسيق في الأعوام المقبلة من الكسوف والخسوف والشروق والغروب ، ومنازل الشمس والقمر ، المستنبطة من علم الفلك وقد قال في شأنها مولانا ﴿والشمس والقمر حسبانا﴾ / الأنعام : ٩٦ / وقال ﴿ولتعلموا عدد السنين والحساب﴾ / الإسراء : ١٢ .

وهناك مغيبات قد يعلمها الإنسان بالاستدلالات العقلية ، كمثل علمنا بحياة الجنين بحركته في بطن أمه ، أو نستدل على عقل الرجل بمنطقه ، أو نستدل بالخالق على الخالق ، فهذا من الغيب الذي يتناوله العلم ، وأما الذي نحن في صددده فهو الغيب الذي يغيب عن الحواس والعقول معاً ، وهذا هو المقصود بقوله تعالى ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ / النمل : ٦٥ / منها :

علم الساعة - وقت قيام القيامة - فهذا لا يعلم إلا عن طريق الوحي بل هناك علوم أطلقها الله تعالى لمن ارتضاه من رسول ، الدليل : قوله تعالى لنبيه الكريم ﴿لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلّقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون﴾ / الفتح : ٢٧ .

٢- ﴿غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون﴾ / الروم : ٢-٣ .

٣- جبيننا سيدنا رسول الله في ليلة بدر ماذا فعل ، كان يشير إلى أرض المعركة ويقول :

هنا مصرع فلان بن فلان غداً ، وهنا مصرع فلان غداً ، ويضع يده على الأرض يقول الراوي في صحيح مسلم : فوالله ما جاوز واحد منهم موضع يد رسول الله ﷺ (م) .

أريد أن أنبه أيها الإخوة ، فأقول : حين نستعمل كلمة العلم هنا إنما

أريد العلم بمعناه الصحيح ، وهو الذي لا يتطرق إليه شك ولا خطأ ، هذا هو المحجوب عن الخلق ، أما ظن الغيب فليس محجوراً على أحد ، يعني من باب الفراسة الصادقة ، أليس قد ورد (ض) :

«اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» .

ولهذا نسمع علماء الطبيعة يحدثوننا عن العواصف والأمطار قبل وقوعها بيوم أو يومين استناداً إلى الأرصاد الجوية ، وتنبؤات علماء الفراسة ، وغيرهم عما يجيء به المستقبل ، وكذلك أقوال علماء الطب عما في الأرحام المغلقة قبل تحرك الجنين وإلهامات الصالحين بأمر ما من الأمور .

وهذا كله يخطئ ويصيب لأنه مبني على التقوى وشدة الإيمان إنما ليس من العلم الجازم المطابق في شيء ، وإذا أخطأنا في تقديرنا وجدنا أنفسنا نقول : وتقدرون وتضحك الأقدار .

أيها السادة تذكروا (وتقدرون وتضحك الأقدار) واحفظوا هذه الصفة :

«الله عالم الغيب» .

هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



تذكر عزيزي الموحّد أن:

الصفة النفسية : الوجود

الصفات السلبية : القدم - البقاء - مخالفته تعالى للحوادث - قيامه بنفسه - الوجدانية .

الصفات المعاني : العلم - الإرادة - القدرة - البصر - السمع - الكلام الحياة

سيدنا الخضر نبي علم سيدنا موسى فقال :

«ما علمي وعلمك في جنب علم الله إلا مثل ما نقص العصفور من هذا البحر» .

الغيب : كل ما غاب عن حس الناس ، وهو أقسام :
ما يعلم بالتجربة .

ما يعلم عن طريق الوحي .

ما يعلم عن طريق الإلهامات والفراسة الصادقة .

غيب اختص الله ذاته بها ، فلا يعلمه إلا هو .

فتاوى المعانيب لمولانا عز وجل

- الإرادة -

- 7 -

الحمد لله مسهل ماصعب من الأمور الكائنات ، فاتح فاتحة الفتوح
الميسرات ، المتقدس عن الحدث والنقصان والآفات ، المستحق لكمال النعوت
والصفات ، المسيح بصنوف اللغات ، المحمود على جميع الأفعال والحالات ،
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه السابغات ، حمداً دائماً على ممر
الأوقات والساعات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة منزهة عن الشك
والشبهات .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله استخرجه من أشرف الآباء
والأمهات ، وابتعثه بالمعجزات البالغات ، والآيات والحُجج الواضحات ،
وختم به النبوة والرسالات .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل
الصلوات ، وسلم تسليماً .

أما بعد

فواجبُ لربنا المَنَّان	سَبَّحَ صفات سُمِّيَتْ معاني
علمُ إرادةٍ وقدرَةٍ بَصَرٍ	سَمِعَ كلامَ وحياةٍ تعتبرُ
أيها الإخوة الكرام	

أقف اليوم بينكم مع الدرس السابع من القضايا الإيمانية من جامع

الدرويشية لنقف في محراب العقيدة ، لنقف بين يدي الواحد الأحد لنتابع الحديث عن صفات المعاني الإلهية العظمى .

فقد مر معنا أن مولانا عز وجل يحيط بكل شيء علماً ، وأن معلوماته وعلمه ليس له حد ولا عد ولا حصر ، فإذا أراد مولانا أن يبرز معلومة من هذه المعلومات القدسية إلى حيز الوجود خصصها أولاً بالصفات التي تكون عليها في عالم الحس ، والتخصيص عمل صفة الإرادة .

مثلاً أحدنا كان في علم الله تعالى قبل أن يوجد فلما أراد الله تعالى أن يبرز عبده إلى الوجود خصصته إرادته بصفاته التي سيوجد عليها ، مثلاً عيون زرق أو سود ، طويل أو قصير ، حسن أو قبيح ، عالم أو جاهل ، لون بشرته بيضاء أو سمراء ، هيئته نحيف أو سمين ، الزمن الذي سيخلق فيه والمكان الذي سيولد فيه ، هذا كله عمل الإرادة ، يختار له مولانا الصفات التي سينخلق عليها ، وهذا الاختيار والتخصيص عمل صفة الإرادة .

ومن فضل الله علينا ورحمته بمخلوقاته لم يجعل مولانا فينا نقائص أو متضادات في وقت واحد ، في موجود واحد دفعة واحدة ، فلم يجمع فيه مولانا البياض والسواد معاً والطول والقصر معاً ، والوجود والعدم ، يعني يبرزه مولانا إلى الوجود بصورة واحدة متناسقة جميلة اسمع الى الله يقول لك : ﴿لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم﴾ /التين : ٤/ .

وإذا أراد الله إبراز مخلوق فيه المتضادات غيب عنا واحدة وأظهر لنا واحدة ، مخلوق فيه متضادات؟ نعم ، كسيدنا جبريل عليه السلام ، فهو جسم نوراني ، ملك ، صورته الملكية لا يراها إلا الخواص كالأنبياء والرسل ، وحين يريد مولانا أن يجعلهم على صورة الأدميين ماذا يفعل؟ ، يغيب صورته الملكية ، ويظهره بأبهى منظر .

أيها الإخوة الكرام : اسمحوا لي أن أطير بكم إلى هناك إلى مبعوث العناية الإلهية وشمس الهداية الربانية سيد الخلق وحبيب الحق أستاذ الإنسانية الأكبر وقائد المسلمين الأعظم وصاحب الرسالة العصماء سيدنا

ومولانا محمد ، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته . وأرى الحبيب الأعظم يجلس مع كوكبة من أصحابه فيهم سيدنا عمر بن الخطاب ، إذ دخل عليهم رجل (ق) ، اسمعوا وصفه على لسان عملاق الإسلام الفاروق عمر رضي الله عنه يقول : إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، زاد أبو هريرة : أحسن الناس وجهاً ، وأطيب الناس ريحاً كأن ثيابه لم يسها دنس .

أسمعتم هذا الوصف ، وراح هذا الرجل يسأل النبي الكريم ما الإسلام ، ما الايمان؟ ما الإحسان؟ متى الساعة؟ وكلما أجاب النبي جواباً قال له الرجل : صدقت ، حتى قال الصحابة : فعجبنا له يسأله ويصدقه ، فلما ولى ، قال لهم النبي الكريم ، أعرفتم من السائل؟ قال الصحابة : الله ورسوله أعلم ، فقال ﷺ : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

الشاهد من الكلام أن مولانا غيب عنا ملكية جبريل ، وأظهره بشكل الأدميين ، حتى لا يظهر بتضادين ملكي وأدمي ، ولهذا جملة بحسن المنظر ولم يزري بملابسه ، وهذا ليس تكبراً والعياذ بالله ، بل فيه إشارة لأهل العلم الداعين إلى الله أن يتجملوا من الحلال الطيب ، فذلك أدنى إلى توقيير الناس لهم وميلهم إلى اتباعهم ، وهو مع ذلك من شكر النعمة ، فإنه تعالى إذا أنعم على عبده نعمة أحب أن يرى عليه أثر نعمته ، والعناية بنظافة الثياب وجمالها ليس من التكبر ، لأن الإمام مسلماً يروي عن ابن مسعود عن سيدنا النبي ﷺ أنه قال :

«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر ، فقال رجل : إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسنة فقال ﷺ : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بطر الحق وغمط الناس» .

بل يجب على كل مسلم أن يتزين لحضور مجالس العبادة والعلم ، قال تعالى ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ / الأعراف : ٣١ / .

أيها الإخوة الكرام :

وبعد أن ثبت لدينا أن مولانا يتصرف في الكون حسب مشيئته وإرادته وحكمته ، وهذا أمر يسير جداً على مولانا لأنه يقول ﴿وَبِكَ يَخْلَقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ / القصص : ٦٨ / ، وقوله : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ / النحل : ٤٠ / ، ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ / البروج : ١٦ / فاعل مختار لا يكرهه أحد على فعل شيء ، كل شيء ينشأ عن إرادته دون تغيير ولا تبديل ، تصوروا إلهاً ليس مريداً ماذا يكون؟ يكون مكرهاً ، ولو كان مكرهاً لكان عاجزاً ، وكونه عاجزاً محال ، لأنه هو الذي قال لنا : ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ / البقرة : ٢٠ / .

أيضاً : لولا صفة الإرادة القائمة بذاته تعالى ، احزروا ماذا كان؟ الإرادة تخصص الصفات والأمكنة والأزمنة والوجود والعدم والجهات وغيرها ، لولا صفة الإرادة ماذا كان؟

لكننا نحن جميعاً وجوهنا متشابهة كوجه واحد ، وأطوانا طولاً واحداً ، وأحجامنا حجماً واحداً وألواننا لوناً واحداً ، وولادتنا في وقت واحد ، بل وفي مكان واحد ، ولولا **اللَّهُ** في إرادته لجاءت كل بصماتنا نسخة واحدة ، هذا هو فضل **اللَّهُ** ورحمته بنا .

خصص الأشياء التي يمكن أن توجد (خصصها) أولاً بما ستكون عليه ، واختار لها بعض مايجوز عليها ، حسب ما هو موجود في علمه سبحانه .

ويجب أن نعلم أن هذه الإرادة لمولانا إرادة واحدة محيطية بجميع مراداته على وفق علمه بها ، فما علم منها مولانا أنه يكون أراد كونه ، خيراً كان أو شراً ، وما علم أنه لا يكون أراد ألا يكون ، ولا يحدث شيء في العالم لا يريد **اللَّهُ** تعالى وهذا هو معنى (ماشاء **اللَّهُ** كان وما لم يشأ لم يكن) .

أيها الإخوة الكرام :

مازلنا في عصر الحبيب الأعظم وعصر الصحابة الأجلاء ، وانتقل بكم بالذات إلى صحابي جليل له فضل على أهل الشام هو سيدنا أبو الدرداء رضي **اللَّهُ** عنه فقد قدم إلى الشام ليعلمنا ديننا ، وها هو في المسجد يصلي ،

إليه

إذا ببعض الناس يأتون عليه ويعزونه ويطيّبون خاطره ، فقال لهم : ما الذي حدث؟ فقالوا : السوق احترق وبيتك في وسط السوق!! .

فقال : لكن بيتي لم يحترق ، قالوا : وكيف ودارك وسط السوق؟ قال لهم : إن داري لم تحترق . وما إن خمدت النار في السوق ، ودخلوا السوق إذا بيت أبي الدرداء لم يمسه سوء ، وجاؤوا إليه وسألوه عن ذلك ، فقال لهم : علمني حبيبي رسول الله ﷺ كلمات من قرأهن صباحاً لم يضره شيء حتى يمسي ، وإذا قرأهن مساءً لم يضره شيء حتى يصبح ، فطلبوا منه الكلمات فقال لهم :

«اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت ، عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، أعلم أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي ، ومن شر كل دابة أنت أخذ بناصيتها ، إن ربي على صراط مستقيم» (ض) .

احفظوا وصية رسول الله ﷺ ولا تتركوها صباحاً ولا مساءً ، واعلموا أن مولانا بيده مقاليد كل شيء ، لا يحدث شيء في هذا الوجود إلا بمشيئة الله وإرادته ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ومرة أتى سيدنا النبي ﷺ يهودي وراح يسأله عن المشيئة ، فقال له المعلم الأول ﷺ : المشيئة لله تعالى . قال اليهودي : فإني أشاء أن أقوم . قال : قد شاء الله أن تقوم . قال : فإني أشاء أن أقعد ، فقال : فقد شاء الله أن تقعد . قال : فإني أشاء أن أقطع هذه النخلة ، قال : فقد شاء الله أن تقطعها . قال : فإني أشاء أن أتركها ، قال : فقد شاء الله أن تتركها .

وسرعان ما أتى سفير الأنبياء وكبير أمناء وحي السماء فقال للحبيب الأعظم : لقنت حجتك كما لقنها إبراهيم ، وقرأ عليه قوله تعالى : ﴿ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله﴾ / الحشر : ٥ .

قطعتموها أو تركتموها : فعلتم خيراً أو شراً فهو من الله ، الله إن أراد حدوث شيء أحدثه ، ونحن من ناحية الأدب لا ننسب الشر إلى الله تعالى : وفي كتاب الله أدلة كثيرة على ذلك ، فعلى الموجة الإيمانية من سورة

الجن قالت الجن : ﴿وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرٌ أُرِيدُ مِنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أُرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشْدًا﴾ / الجن : ١٠ . فحين ذكروا الشر بنوا الفعل للمجهول تحاشياً أن يقولوا : أشراً أراد الله بن في الأرض ، وحين ذكروا الرشد والهدى أسندوه إلى الله تعالى .

وعلى الموجة الإيمانية من سورة الكهف في قصة سيدنا موسى مع سيدنا الخضر حين أعاب السفينة قال لسيدنا موسى : فأردت أن أعيبها ، نسب العيب إليه ، مع أنه قال في نهاية الأجوبة الثلاثة : ﴿وما فعلته عن أمري﴾ / الكهف : ٨٢ .

هذا كله أدب ، لذلك عليك حين تتناول الأمور الخسيسة أن تتأدب مع الله تعالى ، واسمع إلى قول سيدنا إبراهيم الخليل يقول : ﴿الذي خلقتني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين﴾ / الشعراء : ٨٠ ، مع أن الممرض والشافئ هو الله تعالى ، ولكنه يعلمنا الأدب مع الله ، وهذا لا يقال إلا في مقام التعليم .
أيها الإخوة الكرام :

ثبت لدينا أن لمولانا صفة الإرادة ، وأن كل ما يحدث في هذا الوجود من أمور وحوادث صغيرة أو كبيرة داخل ضمن الإرادة الإلهية ، ولا يخرج عن إرادته شيء ، فتعالوا بنا نستعرض بعض هذه الأمور :

في أمر الهداية : يقول عز وجل : إن الله يهدي من يريد ، من يريد الله له الهداية يهديه ﴿من يرد الله أن يهديه﴾ أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء﴾ / الانعام : ١٢٥ .
في أمر العبادة ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ / البقرة : ١٨٥ / — الله يريد أن يكلف خلقه بما يطيقون ولا يكلفهم بالعسير من العبادات ، اسمعه يقول لك : ﴿يريد الله أن يخفف عنكم﴾ / النساء : ٢٨ ، ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج﴾ / المائدة : ٦ .

في شأن الحكم : يقول عز وجل : ﴿إن الله يحكم ما يريد﴾ / المائدة : ١ .

فی أمر النصیح للعباد ، لا ینتفع العباد بالنصح والوعظ إلا إذا شاء الله تعالی ذلك ، اسمعه یقول علی لسانه نبیه : ﴿ولا ینفعکم نصحی إن أردت أن أنصح لکم إن کان الله یرید أن یغویکم﴾ / هود : ٣٤ .

واسمعه : ﴿فإن تولّوا فاعلم أنما یرید الله أن یصیبه ببعض ذنوبهم﴾ / : / ، ﴿قل إني لا أملك لکم ضرراً ولا رشداً﴾ / الجن :

٢١/ لذلك حینما أعرض من أعرض من کفار قریش عن الإسلام ورفضوا الدخول فیہ أنزل مولانا علی نبیه تغزیه حارة ، اسمعوا نص التغزیه كما نزل :

﴿ولا یحزنک الذین یسارعون فی الکفر ، إنهم لن یضروا الله شیئاً ، یرید الله ألا یجعل لهم حظاً فی الآخرة ولهم عذاب عظیم﴾ / آل عمران : ١٧٦ ، ﴿وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له .﴾ / الرعد : ١١ .

أیها الإخوة الکرام :

تعالوا بنا نشهد النصیحة الغالیة العظیمة فی العقیدة ، التي نصحبها سید الموحدين سیدنا محمد ﷺ لابن عمه سیدنا عبد الله بن عباس ، فأین أنت یا حبیب الله؟

إن الحبيب الأعظم راكب علی ناقته وخلفه عبد الله بن عباس ، اسمعوا الدرر ، اسمعوا أغلی من اللؤلؤ والجوهر ، قال له :

احفظ الله یحفظک ، احفظ الله تجده تجاهک ، وإذا سألت فأسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، (اسمعوا الشاهد من الحدیث) .

«واعلم أن الأمة لو اجتمعت علی أن ینفعوک بشيء لم ینفعوک إلا بشيء قد کتبه الله لک ، وإن اجتمعوا علی أن یضروک بشيء لم یضروک إلا بشيء قد کتبه الله علیک ، رفعت الأقلام وجفت الصحف» .

وما إن ذكرت هذا الحدیث حتی قام بعض تلامذتی الأذکیاء فقال : یاسیدی إذا لا اختیار للعبد ولا إرادة له؟ إذا کان لا یحدث شيء فی هذا

الوجود إلا بإرادة الله جل جلاله فما هو دور العبد ، إذا كان الله هو الذي يوجه إرادة العبد إلى الشيء أو ضده فلماذا الجنة أو النار؟
وللإجابة عن هذا الكم الهائل من المعاني أدعكم أولاً لتملؤوا قلوبكم بتوحيد الله تعالى ، ثم أقول : للعبد ميل وهم وعزم وفعل وإرادة ووجدان وفكر :

والوجدان : هو شعور الميل نحو الفعل أو كراهيته ، وهذا بيد مولاك ، اسمعوه يقول لكم :

﴿ولكن الله حَبَّ (شعور الميل) إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ، وكره (شعور الكراهية) إليكم الكفر والفسوق والعصيان﴾ / الحجرات : ٧ .
وأما الفكر الذي يدرك به الحقائق على وجهها فهو بيد الله تعالى ، فهو الذي يوجهك إليه ، اسمعوا :

﴿واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه﴾ / الأنفال : ٢٤ / وقال :
﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ / البقرة : ٧ .
وأما إرادتك فمقيدة ، لا تريد حتى يريد الله تعالى ﴿وماتشأون إلا أن يشاء الله﴾ ومرة قدم كفار قريش إلى النبي ﷺ فقالوا : سمعنا آية نزلت عليك ، قال : ما هي ؟ ، قالوا : ﴿إن هو إلا ذكر للعالمين لمن شاء منكم أن يستقيم﴾ / التكاوير : ٢٧ - ٢٨ . قال : نعم صحيح .

فقالوا : لو شئنا استقمنا أو شئنا لم نستقم . فإذا بكبير أمناء وحي السماء ينزل على نبينا الأعظم على وجه السرعة يطوي السموات العلا ينزل بقوله تعالى : ﴿وماتشأون إلا أن يشاء الله رب العالمين﴾ / التكاوير : ٢٩ .
هذا هو الجواب ، إن الإنسان وإن كان مختاراً لفعله كان هذا الاختيار ليس داخلاً تحت قدرته بل الله يسيره بهذا الاختيار إلى ماأراده منه ، أصغوا إلي بأسماع أفهامكم ، أعيروني آذاناً صاغية وقلوباً واعية :

العبد ذو إرادة يتوجه بها إلى الفعل (يهم ويعزم) ، وذو قدرة يباشره بها ، ومولانا يريد منه ذلك الفعل ويباشره بقدرته ، لكن مع التفاوت في نوع

المباشرة ، قدرة مولانا تباشره إحدائاً وإيجاداً ، وقدرة العبد تباشره تناولاً عن يد القدرة الإلهية ، غير أن إحداث الرب له ومناولته كقدرة العبد مربوط بشيء من قبل العبد وهو عزمه المصمم على الفعل ، فلا يحصل هذا الفعل بدون أن يسبقه العزم ، ولهذا يثاب العبد على الفعل أو يعاقب عليه .

وعلى كل حال :

إذا رأيت الله تعالى قد أقامك على عبادته وطاعته فعليك أن تحمد الله تعالى ، وإذا رأيت أنه قد أقامك على غير ذلك فعليك أن تتوب وتستغفره عسى أن ينقلك من ذل المعصية إلى عز الطاعة ، ومن ديوان العصاة إلى ديوان الطائعين .

أيها الإخوة :

وفي أحد الدروس الإيمانية قام تلميذ آخر فقال لي : ياسيدي هناك أمر عجيب في قصة سيدنا إبراهيم الخليل مع ولده سيدنا إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ، قلت : ماهو ، فقال : مولانا عز وجل أمر سيدنا الخليل في المنام أن يذبح ولده ، قلت نعم ، هذا لاشك فيه لأن رؤيا الأنبياء حق على المعتمد ، فقال التلميذ : لكن هذا الأمر الإلهي لم يقع ، وسيدنا إسماعيل لم يذبح ، والله فداه بذبح عظيم ، فكيف ذلك؟

هل سمعتم مثل ذكاء هذا الطالب ، مولانا أمر بذبح إسماعيل ، ولم يرد أن يذبح ، فكيف أمر ولم يرد؟ للإجابة عن هذا السؤال علينا أن نملأ قلوبنا بتوحيد الله تعالى .

انظروا- أيها الإخوة- هناك : إرادة- وأمر- ورضا ، وليس بينها تلازم ، كيف؟ في هذا الحدث الإيماني نجد أن مولانا أمر ولم يرد ، يعني يأمر ولا يريد ، أمر بذبح إسماعيل ولم يرد أن يذبح فلم يذبح ، إذن : الأمر شيء ، والإرادة شيء .

وقد يأمر ويريد : أمر الرسل والأنبياء والملائكة والمؤمنين بالإيمان ، وأراده منهم فآمنوا .

وقد يأمر ولا يريد : أمر الكفار بالإيمان ولم يردده منهم فلم يقع .
وقد يريد ولا يأمر كالكفر ممن علم الله عدم إيمانهم وكالمعاصي فإنه أرادها مولانا ولم يأمر به ، يريد المعاصي من الخلق العصاة ، ولا يأمرهم بها ، لأنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر ، ولأنه ﴿يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى﴾ وهذا نقوله حتى لا يدعى أحد أن شيئاً يخرج عن مُلك الله وإرادته .

وإليكم هذا المشهد التطبيقي الذي حدث للإمام الاسفراييني ، أحد أعلام التوحيد في زمنه ، وقد دخل على الخليفة فرأى معتزلياً جالساً بحضرته وما إن جلس حتى قال المعتزلي : سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال إمام أهل السنة : سبحان الذي لا يجري في ملكه إلا ما يشاء ، فقال المعتزلي : أفريد ربنا أن يعصى . فقال الإمام : أفيعصى ربنا كرهاً؟ فقال المعتزلي : أرايت إن منعني الهدى وقضى علي بالردى أحسن إلي أم أساء؟ فقال الإمام : إن منعك ما هو لك فقد أساء ، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء .

وهكذا - أيها الإخوة الكرام - نرى رأي العين أن العبد تحت إرادة الله وقهره وسلطانه وجبروته ، وهو الذي أنزل على نبيه ومصطفاه : ﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ / آل عمران : ١٢٨ / ، ﴿ما كان لهم الخيرة من أمرهم﴾ / القصص : ٦٨ / ولهذا أمرنا مولانا إذا أرادنا أن نقول أي شيء أن نتبعه بقولنا : إن شاء الله .

ومرة الحبيب الأعظم جاءه مجموعة من كفار قريش يسألونه عن فتية أهل الكهف وعن الروح وعن ذي القرنين ، فقال : لهم أجيبكم غداً . ولم يقل إن شاء الله تعالى ، فمكث الوحي عنه خمسة عشر يوماً ، ثم نزل عليه بقوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ / الكهف : ٢٣-٢٤ .

وكل من لا یؤمن بهذا فهو قدری كذاب ، لأن القدری یقول الإرادة إرادتی ، والقدرة قدرتی ، والله لا یعلم ما أفعل إلا بعد أن أفعل ، وهؤلاء كفار بلا خلاف .

وفي عهد الملك هشام بن عبد الملك أحضر إلیه رجل قدری وقال له : قد كثر كلام الناس فیک ، قال : نعم یا أمیر المؤمنین ، أدع من شئت فیجادلنی فإن أدركت علی بسبب فلقد أمكنتك من علاوتي (رأسی) . فقال هشام : قد أنصفت .

فبعث هشام بن عبد الملك إلی الإمام الأوزاعي ، فلما حضر الإمام الأوزاعي قال هشام : یا أبا عمرو ناظر لنا هذا القدری .

الآن - أيها الإخوة - المناظرة بین الإمام الأوزاعي الذي یقول (إن الله یفعل ما یشاء وليس للعبد مشیئة إلا بما شاء الله) و بین قدری ومدع (أنه هو الذي یشاء) .

قال له الإمام الأوزاعي : اختر إن شئت - ثلاث كلمات ، وإن شئت أربع كلمات ، وإن شئت واحدة .

فقال له القدری : بل ثلاث كلمات .

فقال الأوزاعي : أخبرنی عن الله عز وجل : هل قضی علی ما نهی؟ فقال القدری : ليس عندي فی هذا شيء ، فقال الأوزاعي : هذه واحدة .

ثم قال الأوزاعي ، أخبرنی عن الله تعالى هل حال دون ما أمر؟ فقال القدری هذه أشد من الأولى ما عندي فی هذا شيء؟ فقال الأوزاعي : هذه اثنتان یا أمیر المؤمنین .

فقال الأوزاعي : أخبرنی عن الله عز وجل هل أعان علی ما حرم فقال القدری : هذه أشد من الأولى والثانية ، ما عندي فی هذا شيء .

فقال الإمام الأوزاعي : يا أمير المؤمنين هذه ثلاث كلمات ، فأمر الخليفة هشام فضربت عنق القدري .

فقال الخليفة هشام بن عبد الملك للإمام الأوزاعي : فسر لنا هذه الكلمات ماهي؟

قال : نعم يا أمير المؤمنين ، أما تعلم أن الله تعالى قضى على مانهى نهى آدم عن الأكل من الشجرة ثم قضى عليه بأكلها فأكلها ، وأن الله تعالى حال دون ما أمر ، أمر إبليس بالسجود لآدم ثم حال بينه وبين السجود ، وأن الله تعالى أعان على ما حرم ، حرم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير ثم أعان عليه بالاضطرار إليه ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾ / البقرة : ١٧٣ .
فقال هشام بن عبد الملك : فأخبرني عن الواحدة ما كنت تقول له؟
قال كنت أقول له :

- أخبرني عن مشيئتك دون مشيئة الله عز وجل ، فبأيهما أجاب حل ضرب عنقه .

قال فأخبرني عن الأربع الكلمات ماهن؟ قال كنت أقول له :

- أخبرني عن الله عز وجل حيث خلقك ، خلقك كما شاء أو كما شئت فإنه يقول : كما شاء .

٢- أخبرني عن الله عز وجل حيث يرزقك كيف شاء أو كما شئت فإنه يقول : كما شاء .

٣- أخبرني عن الله عز وجل حيث يتوفاك إذا شئت أو إذا شاء فإنه كان يقول : إذا شاء .

٤- أخبرني عن الله عز وجل حيث توفاك أين تصير حيث شئت أو حيث شاء فإنه يقول : حيث شاء .

قال الإمام الأوزاعي :

ياأمير المؤمنين : من لم يكن له أن يُحسِّنَ خلقه ولا يزيد في رزقه ، ولا
يؤخر في أجله ، ولا يصير نفسه حيث شاء ، فأَي شيء في يده من المشيئة
ياأمير المؤمنين .

أيها الإخوة الكرام :

كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها .

الإرادة صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى يخصص بها مولانا
الممكنات ببعض مايجوز عليها على وفق علمه تعالى ، فما هي صفة القدرة ،
بأي صفة يوجد مولانا المخلوقات ، ماهو الرد على من ينكر إيجاد الخلق بعد
العدم؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة .
أعود بكم من هناك إلى هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه
أن يوحد الله تعالى .

* * *

تذكر عزيز الموحّد

الوجود : صفة ثبوتية يدل الوصف بها على نفس
الذات الإلهية دون معنى زائد عليها .

الصفات السلبية : صفات عدمية تنفي عن الله
مالا يليق بكماله

صفات المعاني : تدل على معنى قائم بذاته
تعالى .

الصفات المعنوية : تعني قيام صفات المعاني بذات
مولانا وأنها غير مكتسبة والراجح أنها
أسماء لمولانا عز وجل .

فخز المعاني لمولانا عز وجل - القدرة - - 8 -

الحمد لله الذي بلطفه تصلح الأعمال ، وبكرمه وجوده تدرك الآمال ، وعلى وفق مشيئته تتصرف الأفعال ، وبإرادته تتغير الأحوال ، وإليه المصير المرجع والمآل ، سبحانه هو الباقي بلا زوال ، المنزه عن الحلول والانتقال ، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال .

أحمده سبحانه وتعالى على ما أسبغ من الإنعام والأفضال حمداً لا توازنه الجبال ملء السموات والأرض وعلى كل حال .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أدخرها ليوم لا بيع فيه ولا خلال .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سني الخصال الذي قال (د) : « من قال : رضيت بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً وجبت له الجنة » وفي رواية م : حين سمع المؤذن . . . غفر له ذنبه » .

هذه العبارة الجملة جمعت عقيدتي التوحيد في طرفيها وأجملت سائر العقائد في وسطها ، ونهت على ركن مهم في الدين وهو الرضى والارتياح النفساني لهذه العقائد ، لأنه بدون هذا الرضى لا يغني الاعتقاد شيئاً ، لذلك لا جرم أن من رضي بهذه الصفات الثلاث صادقاً مخلصاً فيها كان جديراً أن يصدر له هذا الوعد العظيم منه ﷺ : وجبت له الجنة لذلك صلوا معي على هذا النبي الكريم .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا أبي القاسم محمد بن عبد الله
ذي الشرف الباذخ والفضل الشامخ والعلم الراسخ والجمال والكمال .
صلى الله عليه وعلى عترته الطيبين ما أفل كوكب وطلع هلال ، وعلى
آل سيدنا محمد وصحبه خير صحب وأكرم آل ، وعلى تابعيهم وجميع
الأولياء والأبدال ، وعفا عن المقصرين من أمته أولي الكسل والملال ، وحشرنا
في زمرة متمسكين بشريعته وهديه بما ضرب من الأمثال ، وسلم تسليمًا .
أما بعد :

فأريد منكم اليوم أن ترجعوا معي البصر كرة أخرى لننظر في موقع علم
التوحيد من بين العلوم . هذا العلم تأتي أهميته من كون قضاياها متعلقة
بمولانا عز وجل ، وبالأنباء والرسل ، ولأجله أوجب العلماء على المكلفين
من الأمة الإسلامية أن يتعلموا هذا العلم ، نعم هو واجب على كل فرد بالغ
عقل سليم الخواس .

ولو كان ثقیلاً على النفس ، ولا تنكروا وصفي للدين بأنه ثقیل ، فإن
الله سماه بذلك في القرآن فقال : ﴿سنلقي عليك قولاً ثقیلاً﴾ / المزل :
٥ / ، وكل المعالي ثقیلات على النفس :

ترك التلمیذ للمفسديون (الرأئي) والاقبال على الدرس ثقیل ، وترك
العالم مجلس تسليته والاشتغال بالقراءة والإقراء ثقیل ، وترك النائم فراشه
للهوض إلى صلاة الفجر ثقیل ، وهجر الرجل زوجته وولده ومشيه إلى الجهاد
ثقیل ، لذلك نجد الطالحين أكثر من الصالحين ، والغافلين السادرين في الغي
أكثر من الذاكرين السالكين سبيل الرشاد ، ولولا أن القلة والندرة من صفات
السمو والرفعة ما كان الألماس نادراً والفحم كثيراً موفوراً ، ولا كان العباقرة
والنابعون والأبطال المتميزون قلة في الناس .

إن الأنبياء وورائهم من صالحی العلماء هم الدعاة إلى طريق الجنة ،
والشياطين وأعوانهم من الفاسدين المفسدين من الناس هم الدعاة إلى طريق
النار ، وقد جعل فينا (في داخلنا) أنصار لهؤلاء وأنصار لهؤلاء ، في دواخلنا

حزب مع هؤلاء الأنبياء ، وحزب مع حزب الشياطين ، فحزب الأنبياء يتمثل بالعقل وحزب الشياطين يتمثل بالنفس والهوى ومن يل لهؤلاء فقد غوى . قال ﷺ : « ما منكم إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا : وإياك يا رسول الله قال : وإياي إلا أن الله مكنني منه فاسلم فلا يأمرني إلا بخير » .

تقولون ما العقل وما النفس ؟ ولست أدعي أنني أضع لكل منهما حدوداً ظاهرة اليوم ، وأميزها تمييزاً واضحاً فإن هذه الأمور لا تزال في ظلمات جهلنا بها ، لم يستطع العلم أن يضيء جوانبها ، كلنا يقول : (قلت لنفسي) وقلت لعقلي) ، فما أنت وما نفسك ، وما نفسك وما عقلك ؟ لم يتضح ذلك لنا بعد ، فلست أكشف لكم اليوم المجهول ، ولكن أذكر بمثال مشاهد معلوم ؟

تكون نائماً في ليال الشتاء ، متمتعاً بدفء الفراش ، ولذة المنام فتسمع قرع المنبه يدعوك إلى الصلاة ، فتحس صوتاً من داخلك يقول لك قم إلى الصلاة ، فإذا جئت تقوم سمعت صوتاً آخر يقول لك نم قليلاً ، فيعود الصوت الأول يقول : الصلاة خير من النوم ، فيقول الثاني : نم ، قم ، نم ، قم ، هذا هو العقل وهذه هي النفس ، وعلى مقدار ما يكون من انتصار العقل تكون قوة هذا الإيمان .

لهذا اسمعوا إلى قول مولانا الإمام الشافعي رضي الله عنه ، يقول : العقل نور يقذفه الله في القلب يشع نوره إلى الدماغ .

ورب سائل يقول ما الذي دفع الشيخ ليتكلم بهذا الكلام اليوم ؟

الحقيقة أنني وقعت في هذه الحيرة بين العقل والنفس ، فإنني حين افتتحت ملف التوحيد رأيت ثناءً واستحساناً من الناس قل نظيره ، وما أن بدأت أغوص في هذا العلم الشريف لأستخرج درره ولآله ، وبدأنا معاً تنهض بأنفسنا لتعرف شيئاً فشيئاً على صفات مولانا حتى بدأت النفوس يصرعها شياطينها .

بعضهم قالوا لأنفسهم ما أعظم هذا الكلام ، وبعضهم قال : هذا علم لا يخطب على المنابر ، وبعضهم طلب مني أن أعود إلى التاريخ الذي انتهينا منه عن سيرة الخليفة الراشدي السابع سيدنا عمر بن عبد العزيز ، أو السيرة النبوية ، وبعضهم قال : استمر اسلك هذا الطريق ولا تحزن لقله السالكين . وأصبحت في حيرة لا أحسد عليها ، أكمل ، قف ، أكمل ، قف ، وانقسم السامعون قسمين :

قسم يحبون الطرق السهلة والبساتين والأشجار والأزهار والثمار وكل مايلذ القلب ولو كان في نهايته هوة سحيقة فيها الموت المحقق والهلاك الأكيد .

وقسم يحبون معالي الأمور وصفاتها ، ولو كان طريقها وعراً وجبالها عالية وبحاراً وأشواكاً وحفراً ، لأنهم يعلمون أن في آخر هذا الطريق ، رضا الله سبحانه والغاية التي يطلبونها .

ووقفت أنظر أي الطريقين أسلك ، النفس تميل إلى السهل دون الصعب ، اللذيد دون المؤلم ، ولكن العقل يتدخل ويوازن بين اللذة القصيرة الحاضرة يعقبها ألم طويل ، وبين الألم العارض المؤقت لتكون بعده لذة باقية . ولو رجعنا إلى الرعيل الأول من المؤمنين رأينا رجالاً لا يعدلون عن الإيمان إلى أي شيء آخر ، لا يتركون التوحيد ولو قُطِّعوا أو شويت أجسامهم أو كويت بالحديد والنار .

أيها الإخوة :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى عصر هذه المرأة الصالحة زمن فرعون إلى ماشطة ابنة فرعون وهي تقوم بتمشييط شعر ابنة فرعون فسقط المشط من يدها فمدت يدها إليه ، وقالت : بسم الله . فقالت ابنة فرعون : أتعنين أبي؟ فقالت : لا ، بل ربي وربك ورب أبائك ورب السموات والأرض . وعلى جناح السرعة كان التقرير على طاولة فرعون ، من نقله إليه

أی خبیث ، اللّٰهُ أعلم ، فأمر علی جناح السرعة بإقامة محكمة عسكرية میدانیة ، وأحضرت الماشطة موجودةً وسألها المتکبر المتبجح :
- من ربک ؟ قالت : ربی وربک اللّٰهُ .

فأمهلها إلى الغد ، وأعاد علیها السؤال : من ربک ؟ فقالت : ربی وربک اللّٰهُ . وهنا أمر فرعون بإحضار إناء من النحاس کبیر فیہ الماء المغلی وهو یقذف بالزبد ، وجيء بأولاد الماشطة ، حتی بدأ بإلقاء أولادها الواحد تلو الواحد ، وهو یسألها : من ربک ؟ فتقول : ربی وربک اللّٰهُ ، هكذا دون نفاق أو خشية عذاب فرعون ، وإیمانها لا یتزعزع راسخ کالجبل الراسخ ، وأولادها یُرمون أمامها فی الماء المغلی کغلی الحمیم ، حتی وصل الدور إلى صغیر رضیع كانت تحمله بین یدیهما ، وهنا سألها فرعون : من ربک فترددت فی الجواب فإذا بالقادر المقتدر ینطق الولد ینادی علی أمه ویقول لها :
- تقدمی یا أمی ولا تتأخري فإننا فی الجنة ، قعی یا أمی ولا تقاعسی فإنک علی الحق .

من الذی أنطق الرضیع الصغیر؟ أسمعونی ، من الإله؟ ، من الواحد؟ ، من الأحد؟ ، من القهار؟ ، من الجبار؟ من الحیب؟ إنه اللّٰهُ ، وحدوا اللّٰهُ . أرايتم عظمة التوحید وقوة یقین والإیمان بـ اللّٰهُ .

وحین أراد أن یلقیها سألها : ماهی أمنتک الأخيرة . قالت : أن تجمع عظامی وعظام أولادی فندفن معاً . أتعرفون هذه البقعة التي دفنت فیها الأم مع الأولاد؟ هذه البقعة مرّ علیها الحیب الأعظم لیلة الإسراء فشم رائحة طيبة أطیب من ریح المسک ، فسأل سفیر الأنبیاء ومستشار الرحلة المبارکة جبریل الأمين ، ماهذه الرائحة؟ فقال جبریل : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها (صحیح) .

إن من یدرس التوحید یسمى موحداً ، والموحد رائحته أطیب من ریح المسک ، فهل عرفت رائحتک عند الملاء الأعلى ، وعند أصحاب الأنوف النظيفة؟ .

وهذا أتعرفون مأمثاله :

مثاله التلميذ ليالي الامتحان يتألم حين يترك أهله عاكفين على
المفسدون يشاهدون مايسر ويمتع ، وينفرد هو بكتبه ودفاتره فيجد بعد هذا
الألم لذة النجاح .

ومثاله : الحمي ، يصبر أياماً على ألم الحمية عن أطايب الطعام فينال
بعدها سعادة الصحة . هذا هو مثال طريق الجنة وطريق النار .

وضع الله الطريقين أمامنا ووضع فينا ملكة نفرق بها بينهما ، نعرف
الخير من الشر سواء في ذلك العالم والجاهل والصغير والكبير ، كل منهم
يستريح ضميره إذا عمل الخير وينزعج إذا عمل الشر ، بل إن هذه الملكة
موجودة حتى في الحيوان ، القط إذا ألقيت إليه بقطعة اللحم أكلها أمامك
متمهلاً مطمئناً ، وإذا خطفها ذهب بها بعيداً فأكلها على عجل ، وهو ينظر
إليك يخاف أن تنتزعها منه ، أوليس معنى هذا أنه أدرك أن الأولى حق له
والثانية عدوان منه .

ونظرت وعزمت ، نظرت في أعظم ميراث تركه رسول الله ﷺ لنا
فوجدت أنه علم التوحيد ، ورحت أجول بفكري حولي ، فرأيت أفكاراً ونحلاً
ومعتقدات مادية وروحية تخرج من المسلمين الجهال ، منهم منحرفون
وضلال دخلوا على الدين ، ومنهم كفار مارقون يريدون أن يدخلوا الفساد في
عقائد المسلمين وقلوبهم ، أو يجعلوها تعيش مع عقائدهم في قلب واحد ،
فهل يجتمع النور مع الظلام ، أو هل يجتمع الإيمان والكفر في قلب واحد؟ .

وقعت بيدي جريدة كتب فيها أحد الفلاسفة ، أتعرفون ماذا كتب هذا
الأفك ، قال : ايتوني بالماء وبالأجزاء الكيماوية والوقت وسوف أخلق لكم
إنساناً ، «كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا» /الكهف: ٥/ .
ورأيت أن هذا الأفك وأمثاله ، وهذه الافتراءات وأمثالها تهاجم
العقيدة في جوهرها ، وأن السكوت عليهم هدم للعقيدة وخداع للناس ،

وفوجئت برجل آخر مخدوع قال له أحدهم ينبغي أن تحب الله تعالى أكثر مما تحبه . قال المخدوع الأخرق : وكيف أحبه أكثر ؛ قال له : لماذا تصلي ركعتين وثلاثاً وأربعاً ، لماذا لا تجعل جميع الصلوات المفروضة أربعاً ، وهو أعظم محبة لله ، أتعرفون ماذا صنع هذا المخدوع ؟ لقد وقف في هذا المسجد يصلي أربعاً ، الفجر أربعاً والمغرب أربعاً وسوف تراه يوماً ما يمشي على أربع كما تمشي الدواب .

وقام أحد المنافقين الذين كفروا بنفاقهم يقول لحاكمه في بدء الستينات : عبدناك بعد الله ، وهذه الكلمة كلمة كفر ، لا نعبد أحداً بعد الله ولو كان سيدنا محمداً ﷺ ، ومرة أجريت مقابلة في المفسدون مع أحد الفاسقين المطربين فسأله ماهي أحب أغانيك إليك فقال : أحبها إلي سليمي ، أتعرفون ماهي أغنية سليمي إنها الأغنية التي يقول فيها (سليمي عبدتك بعد الله) .

ما هذا الهراء ؟ ما هذا الكفر ؟ ما هؤلاء يعيشون كالأنعام بل هم أضل ؟ .

لو درسنا التوحيد لن نرى أمثال هذا في مجتمعنا ونقول لهؤلاء الكفارو الفلاسفة والملاحدين ومن يعوي من أمثالهم أقول لهم :

لن يضر السحاب نبح الكلاب ، والقافلة تسير مهما ظلت الكلاب تعوي ، وسنبقى ندرس العقيدة حتى نلقى الله موحدين ، لأن التوحيد يعني الوجدانية ، والوجدانية تعني أن الله هو الواحد ، والواحد يعني أن المشرع واحد ، وأما كل من يشرع شرعاً ضد تشريع الله وتشريع رسوله فهو كافر ، فكيف يعلم هذا المخدوع أنه على ضلال إن لم يدرس علم التوحيد .

وهنا حزم العقل أمره فقال : أعقل العقلاء من يقوده عقله إلى الحق ، والحق أن يبدأ العقل أولاً بدراسة علم التوحيد ، علينا أن نشحذ هممنا لنستعيد عافيتنا التوحيدية من جديد .

أن نقوي عقيدتنا ، لأن العقيدة والإيمان نور في القلوب يشع إلى

الجوارح يورث الاستقامة على شرع الله ، فإذا ما تمكنت العقيدة بدأ التفاعل بين العقيدة والسلوك ، وبدأت المطابقة شيئاً فشيئاً بين الإيمان والعمل ، هل إيماننا مطابق لعملنا ، هل إيماننا كإيمان الصحابة كالحارث بن مالك الأنصاري حين مر به رسول الله ﷺ فقال له :

كيف أصبحت يا حارث؟ قال أصبحت مؤمناً حقاً ، قال انظر ماتقول فإن لكل شيء حقيقة فما حقيقة إيمانك ، فقال :

عزفت نفسي عن الدنيا ، فأسهرت ليلي ، وأظمأت نهارى ، وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً ، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاوون فيها ، وكأني أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها .

فقال ﷺ : يا حارث عرفت فالزم (الطبري : ض) .

أيها الإخوة :

العقيدة هي دماغ السلوك والتصرفات فإذا ماتعطل جزء منه أحدث خللاً ملموساً في السلوك وبعداً عن صراط الله السوي .

نحن مقصرون في جنب الله ، أنا أول واحد مقصر في جنب الله ، أتعرفون لماذا؟ لأننا ننسى واجبنا تجاه الله تعالى ، ولماذا ننساه لأجل الدنيا ، أtestكثر ساعة في البقاء في محراب العبودية لتعلن عبوديتك له ، قو إيمانك ، قوه بمعرفة مولاك ، لا تترك المحراب لأجل الدنيا ، لا تنس أهم شيء لأجل لا شيء .

إن كان الله قد تكفل لك بالرزق فاهتمامك لماذا؟ إن كانت الدنيا فانية فالطمأنينة لماذا؟ إن كان الحساب حقاً فالجمع لماذا؟ إن كانت النار حقاً فالمعصية لماذا؟ إن كان كل شيء بقضاء الله وقدره فالخوف لماذا؟

لا يكن أنسك بغير الله ، إن المؤمن الحق لا يكون أنسه إلا بالله ، إن سلوك طريق التوحيد يوصلك إلى العقيدة السليمة ويرسخ دعائمها ، ولهذا يقول الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه :

«إذا أشكل على الإنسان شيء من دقائق علم التوحيد ، فإنه عليه أن يعتقد في الحال ما هو الصواب في حق الله تعالى إلى أن يجد علماً فيسأله ولا يسعه تأخر الطلب ، ولا يعذر بالهتات ، ويكفر» .

الإيمان : هو المنطلق الأساسي للسلوك الإنساني ، ولهذا نرى رسولنا الأعظم يربط السلوك بالإيمان ، اسمعه يقول لك : «من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر فلا يؤذ جاره ، ... فليكرم ضيفه ، فليقل خيراً أو ليصمت» (خ) . «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان» (ت) .

«وقال : والله لا يؤمن والله لا يؤمن والله لا يؤمن ، قالوا من؟ خاب وخسر يارسول الله ، قال : من لا يأمن جاره بوائقه» (خ) .

يأخني لاتستصعب هذا العلم ، إذا أشرق عليك نور اليقين سهلت عليك تعابير العقيدة ، وأصبحت لديك كالماء الفرات .

أيها الإخوة الكرام

إننا مع الدرس الثامن من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، مع صفة القدرة .

ولأبدأ معكم من حيث وقفنا في تسلسل الصفات ، فقد تقدم معنا أن مولانا علماً يحيط بكل جزئية من جزئيات الوجود ، ومعلومات لا تحصى ، فإذا تعلق علم الله بشيء وأراد خروجه إلى الوجود تقوم الإرادة بتخصيصه وباختيار صفاته التي سيكون عليها في الوجود ، ثم يقدر له مولانا بإرادته الزمان والمكان لظهوره إلى الوجود ، فإذا حان زمان وجوده قدر له المكان فتعلقت به قدرة الله تعالى فأبرزته على وفق إرادته وعلمه إلى الوجود ، فإذا يمكن أن نقول إن عمل صفة القدرة «إيجاد كل ممكن أو إعدامه على وفق الإرادة والعلم» ، وهي صفة صالحة في الأزل للإيجاد والإعدام للممكنات قائمة بذاته تعالى يتأتى بها إيجاد كل ممكن أو إعدامه على وفق الإرادة . وهذه الممكنات لله عز وجل فيها شؤون ، فهي تكون معدومة فإن شاء

مولانا قطع ذلك العدم بقدرته وأبدله بالوجود ، وإن شاء أبقى ذلك العدم بقدرته ، وإن شاء أبقى استمرار الوجود ، وإن شاء قطعه .

أريدكم أن تفهموا أنه : لولا إنعامه سبحانه على المكوّنات بإيجادها لم توجد ، ولولا إنعامه عليها بإمدادها في كل لحظة لاضمحل وجودها ، فـ **اللَّهُ** يمدّها في كل لحظة بالمدد الإلهي ليبقى وجودها فإذا قطع إمداده عنها انعدمت بإذن **اللَّهُ** .

ولذلك يقول ابن عطاء **اللَّهُ** : «نعمتان ماخرج موجود عنهما ولا بد لكل مكوّن منهما نعمة الإيجاد ونعمة الإمداد» ، أنعم عليك أولاً بالإيجاد وثانياً بتوالي الإمداد ، ولهذا أقسم مولانا في كتابه الكريم فقال :

﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب إنا لقادرون﴾ / المعارج : ٤٠ / وقال ﴿فقد رنا فنعم القادرون﴾ / المرسلات : ٢٣ / .

ومرة قدم إلى نبينا **ﷺ** أحد كفار مكة وهو أبي بن خلف وقد أحضر بيده عظماً بالياً فتّته أمام الحبيب الأعظم وراح يقول : أتزعم أن **اللَّهُ** يحيي هذه العظام بعد أن رمّت وبليت وصارت تراباً؟! ، إن أياً يريد أن ينفي القدرة عن مولانا ، ولو انتفت القدرة لكان عاجزاً عن الإيجاد والإعدام ولو كان عاجزاً لما وجد شيء من هذه المخلوقات .

قال له الحبيب الأعظم أجل يحييها **اللَّهُ** ثم يميتك ثم يبعثك ثم يحشرك إلى النار ، وأنزل مولانا عز وجل في ذلك قرآناً يتلى إلى يوم القيامة (حا) .

﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه ، قال من يحيي العظام وهي رميم ، قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم . الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أوليس الذي خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ / يس : ٨٢ / .

هذه هي عظمة القادر المقتدر انظروا حولكم تجدوا قدرة مولانا ظاهرة

فی الأكوان اسألوا علماء الفلك ، وعلماء الفیزیاة وعلماء غزو الفضاء ، إلى أي مدى وصلت اكتشافات الأفلاك ، تقول الحقائق العلمیة الثابتة :

- إن العلم لم یصل فی عالم الأفلاك إلا إلى جانب یسیر ، هذا الجانب الیسیر یشمل على مئة ألف ملیون مجموعة شمسیة ، وكل مجموعة شمسیة تحتوي على مئة ألف ملیون شمس ، أقل هذه الشمسوس شمسنا التي تغذّي الأرض بحرّها ، اسألوا العلماء ، ماهی المسافة التي بیننا و بین الشمس ، بیننا و بین الشمس ۹۲۸۷۰۰۰۰ ملیون میل ، یعنی لو سارت سیارة بسرعة ۶۰۰ كم تصل إلى الشمس بعد ۱۷ سنة وستة أشهر هذا إن وصلت ولم تنصهر ، اسألوا فی كم من الزمن یصل ضوء الشمس إلى الأرض بقدرة القادر المقتدر ، سرعة الضوء ۱۸۶۰۰۰ میل فی / ثا وعلیه فإن ضوء الشمس یصلنا منها كل صباح فی ۸ دقائق و ۹ ثواني ، من الذي أوصلها إلینا؟ إنه الله .

ولكل شمس كواكب ، ولكل كواكب أقمار ، وشمسنا هذه التي تضيء لنا لها تسعة كواكب منها أرضنا ، فأرضنا ماهی إلا فرد من العائلة الشمسیة ، عطارد ، والزهرة ، والأرض ، والمریخ ، والمشتري ، وزحل ، وأورانوس ، ونبتون ، وبلوتو ، هذه الكواكب التسعة التي تحیط بالشمس .

اسألوا العلماء ماذا یحدث لو أن حرارة الشمس نقصت بنسبة ۱۳٪ من المقدار الذي حدده القادر المقتدر ، ماذا یحدث لأرضنا؟ یکسوها طبقة من الجلید سمکها میل ، من الذي أمسک بمیزان الحرارة (روسيا - أمريكا - ألمانيا - اليابان) ، أتعرفون من؟ إنه الذي یمسک السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ﴿ یزید فی الخلق ما یشاء إن الله على کل شیء قدير ﴾ / فاطر : ۱ / .
هذه هی قدرة الله ، وعظمة الله .

أتدرون كم تفقد الشمس من کتلتها فی الثانية الواحدة ، تفقد ۴ ملاین طن ، هذه الملاین الأربعة تكفی لصنع ألف ملیون قنبلة ذریة ، ومع

ذلك فإن هذه الشمس لا تنفى إلى يوم القيامة أتعرفون لماذا؟ لأن الذي خلقها خلق كل شيء فقدره تقديراً ، إنه **اللَّهُ** .

فلنرجع جميعاً إلى **اللَّهُ** ، لا غنى لنا عن **اللَّهُ** ﴿يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى **اللَّهُ** و**اللَّهُ** هو الغني الحميد﴾ / فاطر : ١٥ .

إن هذا الكون كله ، بل هذا الوجود ومافيه من كل موجود في قبضة **اللَّهُ** تعالى في قبضة قدرته ، إن شاء **اللَّهُ** أوجده أو أعدمه ، وإن شاء أبقيه على وجوده أو أبقيه معدوماً (لا يخلقه) وإذا أراد **اللَّهُ** إعدام المخلوقات أتدرون ماذا يفعل؟ يقطع عنها إمداداته فتتعدم كأن لم تكن .

هذا هو **اللَّهُ** في قدرته ، لا فاعل إلا **اللَّهُ** ، لا مؤثر إلا **اللَّهُ** ، لا يعجزه شيء أبداً ، جاء مرة إبليس إلى سيدنا إدريس بهيئة إنسان وسأله :

- هل يقدر المولى أن يدخل الدنيا في قشرة البندق؟

فنخسه في عينه بالإبرة ففقاها ، وقال له : إن **اللَّهُ** قادر أن يدخل الدنيا في سمّ الخياط ، إن **اللَّهُ** قادر أن يصغر الدنيا أو يوسع سمّ الخياط أليس هو القادر المقتدر؟ قولوا : بلى .

يخلق الخير كما يخلق الشر ، تعلموا هذا ، قلته لأعلمكم ذلك ، وإلا فالأدب ألا يقال ذلك ، لنبقى هنا ضمن الأدب مع مولانا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد **اللَّهُ** تعالى .



غنى المعاني لمولانا عزيزي

البصر والسمع

9 -

الحمد لله الذي تفرّد بجلال ملكوته ، وتوحد بجمال جبروته ، وتعزّز بعلوّ أحدىته ، وتقدّس بسمو صمديته ، وتكبرّ في ذاته عن مضارعة كل نظير ، وتنزه في صفاته عن كل تناء وتصوير ، فله الصفات المختصة بحقه والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه ، فسبحانه من عزيز لا حدّ يناله ، ولا عدّ يحتاله ، ولا أمدّ يحصره ، ولا أحد ينصره ، ولا ولد يشفعه ولا عدد يجمعه ، ولا مكان يسكه ، ولا زمان يدركه ، ولا فهم يقدره ، ولا وهم يصوره .

أحمده على ما يولي ويصنع ، وأتوكل عليه وأقنع ، وأرضى بما يعطي ويمنع .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة موقن بتوحيده ، مستجير بحسن تأييده .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى وأمينه المجتبي ، ورسوله المبعوث إلى كافة الورى .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على سيدنا محمد وعلى آله مصابيح الدجى ، وأصحابه مفاتيح الهدى ، وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد :

فَوَاجِبُ رَبِّنَا النِّان	سَبْعُ صِفَاتٍ سُمِّيَتْ مَعَانِي
عِلْمُ إِرَادَةٍ وَقُدْرَةُ بَصَرٍ	سَمْعٌ كَلَامٌ وَحَيَاةٌ تَعْتَبَرُ

فَوَاجِبُ لَمَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ سَبْعُ صِفَاتٍ تَسْمَى الصِّفَاتُ الْمَعَانِي ، أَيُّ لَهَا معنى قائم بذاته تعالى وتقدم معنا من هذه صفات : العلم والإرادة والقدرة ، وحديثنا اليوم عن صفتين من صفات المعاني هما البصر والسمع .

وقد قلت في تعريفهما إنهما صفتان وجوديتان قديمتان قائمتان بذاته تعالى ينكشف بهما كل موجود على ماهو عليه ، وقد يسأل إنسان : ألا تكفي صفة العلم ، يعني ألا يعلم الله تعالى كل شيء بصفة العلم ؟ والجواب عن هذا السؤال : نعم يعلم كل شيء ، ولكن مايعلمه الله تعالى بالعلم غير مايعلمه وينكشف له بصفتي السمع والبصر . فينكشف لمولانا أصوات الموجودات وغيرها ، فيسمع سبحانه وتعالى كلاً من الأصوات والذوات ، ويرى ويبصر الموجودات والألوان حتى الأصوات يبصرها ولو كانت خفية .

ولا يظن العبد أن سمعنا وبصرنا مثل سمع الله وبصره ، لا ، بل سمعنا وبصرنا حادثان مخلوقان أما سمع الله وبصره فقديمان ، وفرق كبير بين القديم والمخلوق ، نحن نسمع بألة وأذن وصماخ وطبلة أذن ، ونرى بحدقة وجارحة ، وأما مولانا عز وجل فيسمع ويبصر بنون آله ولا أذن ولا صماخ ولا جارحة ولا حدقة لأنه تعالى ليس مجسماً ولا مركباً ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ / الشورى : ١١ / .

وسمعنا وبصرنا محدودان ، وأما سمع مولانا وبصره عز وجل فغير محدود ، يسمع جميع الأصوات معاً ، ويبصر جميع المخلوقات معاً ، يسمع كل شيء في الوجود معاً ، دون أن يشتهه عليه لغة أو يؤثر عليه ضجيج أو يشوش عليه مشوش ، بل يسمع ويبصر مالا نبصره ولا نسمعه ، نحن هل نسمع (١) صوت ديبب النملة ، لا ، لا نسمعه ، أما مولانا فيسمع ديبب النملة السوداء على الصخرة الملساء في الليلة الظلماء ، ويبصر حتى الذرة في أعماق البحار وجوف الجبال اسمعه يقول : ﴿ لا يعزب عنه مثقال حبة في السموات ولا في الأرض ﴾ / سبأ : ٣ / .

أيها الإخوة :

وكما أن وجود الله تعالى وصفاته ، لا يشبه وجود المخلوقين ولا صفاتهم ، فأيضاً لا يشبه سمعه سمعهم ، ولا بصره بصرهم ، ومن ظن

(١) يستثنى منها بعض من خصهم الله عز وجل بمعرفة أصوات الحيوانات والجمادات كسيدنا محمد ﷺ وسيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام .

المشابهة أو المماثلة فقد دخل في باب من أبواب الشرك ، كيف لا ومولانا يسمع مالا نسمعه كتسبيح ذوات المخلوقات ، اسمعه يقول لنا :
 ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ / الإسراء : ٤٤ .

وقد يعطي مولانا قوة سمع خاصة لبعض الخواص من البشر أن يسمعوا مالا يسمعه بقية البشر كالأنبياء والأولياء والصالحين ، وهذا يحصل عليه العبد بكثرة الذكر والعبادة والصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ ، ولهذا يقول مولانا في الحديث القدسي الذي رواه الإمام البخاري :

« ... وما زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، ولئن سألتني ل أعطيه ولئن استعاذني لأعيذنه . . »
 فهذا مقام الأولياء والمقربين ، تكشف لهم الحجب بينهم وبين الأشياء ، فيسمعون ويبصرون ما لا تبصره الخلائق ، ومن هؤلاء بعض الصحابة رضي الله عنهم يقول سيدنا عبد الله ﷺ : لقد كنا نأكل الطعام مع النبي ﷺ ونحن نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل (خ) .

وكلنا يعلم أن مولانا أعطى سيدنا سليمان قوة لسمع أصوات الحيوانات ويفهم لغاتهم ، ومنها النمل وقد سطرها مولانا في كتابه الكريم اسمعوها على الموجة اليمانية من سورة النمل :

﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون
 (يوقف أوائلهم لتلحقهم أواخرهم) حتى إذا أتوا على واد النمل قالت غملة :
 يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون﴾ . فسمعها سيدنا سليمان :

فتبسم ضاحكاً من قولها ، وقال : ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين﴾ / النمل : ١٩ .

فمولانا عز وجل لا يغيب عن سمعه وبصره شيء ، صغيراً كان هذا الشيء أو كبيراً ، لذلك حين أرسل سيدنا موسى إلى فرعون رسولاً ماذا قال له ، اسمعوا المكالمة الإيمانية بين الله تعالى وكليمه سيدنا موسى ، قال له مولانا عز وجل :

﴿واصطنعتك لنفسى (اصطفيتك واجتبتك رسولاً لنفسى) (لذاتى) ، اذهب أنت وأخوك بأياتى ، ولا تنيا فى ذكرى (لا تضعفا ولا تبطئا فى ذكرى) ، اذهبا إلى فرعون إنه طغى ، فقولا له قولاً لينا لعله يتذكر أو يخشى ، قالاً ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى﴾ / طه : ٤٥ .

أتعرفون ماذا أجاب مولانا الرسولين ، لقد طمأنهما وقوى إيمانهما وقال : ﴿لا تخافا إننى معكما أسمع وأرى﴾ / طه : ٤٦ .

لا تخافا إننى معكما أسمع كلامكما وكلامه ، وأرى مكانكما ومكانه ، لا يخفى على من أمركم شيء ، واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يبطش إلا بإذنى وبعد أمري ، وأنا معكما بحفظي ونصري وتأيدي وذاتى ، لا يستطيع أن يقوم بحركة أو أمر إلا بعونى إننى معكما أسمع وأرى .

أيها الإخوة الكرام

سائل ومسؤول ومجيب

أما السائل فهو امرأة تدعى خولة بنت بقله ، وأما المسؤول فهو الحبيب الأعظم ، وأما المجيب فهو السميع البصير ، فما هو هذا السؤال الذى حضرته السيدة عائشة أم المؤمنين؟ .

أيها السادة أجب عن هذا السؤال مع الحلقة التاسعة من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع هذا الدرس الإيماني :

اسمحو لى أن انتقل بكم إلى هناك إلى سيدى وقدوتى وقرّة عيني

وحبة قلبي جدي وحببي سيدنا رسول الله ﷺ لأنقل لكم هذا الحدث،
الإيماني .

الحدث : شكوى مقدمة إلى حبيب الله ومصطفاه ، واسمعوا نص
الشكوى من هذه الصحابة الجليلة قالت : يا رسول الله زوجي (زوجها أوس
بن الصامت) أكل مالي وأفنى شبابي ونثرت له بطني حتى إذا كبرت سني
وانقطع ولدي ظاهر مني ، اللهم إني أشكو أمري إليك .

هذا هو نص الشكوى «ظاهر مني» أي قال لها أنت علي كظهر أمي ،
والظَّهَار من الكبائر ، يعني حرام في الشرع لأن فيه كذباً فهي ليست أمه ،
وأما لو قال الزوج لزوجته : يا أختي أو يا أمي تكريماً وتوقيراً أو تحبباً فهو مكروه) .
أسمعتم : لقد شكت أمرها إلى الله تعالى ، واستجاب الله
شكواها ، كيف كان ذلك ؟ إذا بكبير أمناء وحي السماء وسفير الأنبياء يطوي
السموات الطباق ، وينزل على الحبيب الأعظم بقوله تعالى على الموجات
الإيمانية من سورة المجادلة :

﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله ، والله
يسمع تحاوركما ، إن الله سميع بصير . الذين يظاهرون منكم من نسائهم
ماهن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا اللائي ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من
القول وزوراً وإن الله لعفو غفور . والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون
لما قالوا فتحريز رقبة من قبل أن يتماسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون
خبير . فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا فمن لم
يستطع فإطعام ستين مسكيناً ذلك لتؤمنوا بالله ورسوله .﴾ / المجادلة : ٤ .
والشاهد من الحدث ﴿قد سمع الله﴾ قولها .

وسمع قول اليهود الملاحين حينما دعاهم الصديق أبو بكر إلى الإسلام
(ابن اسحق وابن أبي حاتم) وقد أقام عليهم الحجة بأن صفة سيدنا رسول
الله مكتوبة عندهم في التوراة والإنجيل ، فإذا برجل يدعى فتخاص اليهودي

يقول للصديق : **وَاللَّهُ يَا أَبَا بَكْرٍ مَا بَنَا إِلَى اللَّهِ مِنْ حَاجَةٍ وَإِنَّهُ إِلَيْنَا لَفَقِيرٌ** ، وإنا عنه لأغنياء ، ولو كان عنا غنياً ، لما طلب منا القرض حينما قال : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهُ قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ / البقرة : ٢٢٥ / ، وهو ينهانا عن الربا ، وهما هو يعطيناه أضعافاً مضاعفة ، ولو كان عنا غنياً ما أعطانا الربا .

وهنا غضب الصديق فضرب وجهه فنحاص ضرباً شديداً ، وقال : والذي نفسي بيده لولا الذي بيننا وبينك من العهد لضربت عنقك يا عدو الله فاكذبونا ما استطعتم إن كنتم صادقين .

فذهب فنحاص إلى رسول الله ﷺ فقال : يا محمد أبصر ما صنع بي صاحبك ، فقال ﷺ للصديق : - ما حملك على ما صنعت يا أبا بكر .

فقال : يا رسول الله إن عدوا الله قال قولاً عظيماً ، يزعم أن الله فقير وأنهم عنه أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال فضربت وجهه .

فلنكر فنحاص أن يكون قال ذلك فمن الذي صدق الصديق ، إنه الله أنزل دفاعاً وتصديقاً للصديق أبي بكر فقال :

﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ، سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا (تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ) وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ (هَذَا قَوْلُهُمْ فِي اللَّهِ) وَهَذَا فَعَلُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ) وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ / آل عمران : ١٨١ / .
أيها الإخوة :

كانت هذه المواقف الإيمانية وأمثالها قد أثارت كبير الأندال أبا جهل بن هشام فتوعد وتهدد الحبيب الأعظم وقال : يا محمد ألم أنكه عن هذا ، فأغلظ له رسول الله ﷺ وانتهره ، فقال أبو جهل : يا محمد بأي شيء تهددني ، أما والله إني لأكثر هذا الوادي نادياً (قوماً وعشيرة) ، ثم قال لأصحابه : لئن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ولأعفرن وجهه في التراب .

ثم رآه يصلي عند الكعبة ومعه بعض أنذال الكفر ، فقدم ليفعل

ماتهدده به ، فإذا بالأنذال يرونه وهو ينكص على عقبيه ويتقي بيديه ، فقالوا له : مالك؟! فقال : إن بيني وبينه خندقاً من نار وهولاً وأجنحة ، فلما أنهى رسول الله ﷺ صلاته قال : لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً (خ) . وأنزل مولانا عز وجل على الموجات الإيمانية من سورة العلق :

﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى . أرأيت إن كان على الهدى ، أو أمر بالتقوى ، أرأيت إن كذب وتولى . ألم يعلم بأن الله يرى . كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (مقدمة رأسه تصبح سوداء يوم القيامة) ناصية كاذبة (في مقالها) خاطئة (في أفعالها) فليدع ناديه (أي قومه وعشيرته) ليدعهم وليستنصر بهم) سندع الزبانية (ملائكة العذاب)﴾ / العلق : ١٨ .

أيها الإخوة الكرام كانت هذه هي الأنباء بالتفصيل وإليكم موجزها :

﴿ألم يعلم بأن الله يرى﴾ : يرى مالا تراه الأعين ، يرى ويعلم خائنة الأعين ، ويرى ويعلم ماتنطوي عليه خبايا الصدور من الضمائر والسرائر ، فعليك أن تراقب الله مراقبة من يعلم أنه يراه ، ولا تظن إذا دخلت بيتك وغلقت أبوابك لكي لا يراك أحد من الخلق ، لا تظن أنك تنجو بنفسك لا ، بل اعلم أن الخالق يراك ، الله يسمعك ويبصرك ، أتعرفون ماذا يقول مولانا إذا فعل العبد ذلك ، اسمعوا ماذا يقول من تحبون أن تصلوا عليه ﷺ :

«إذا دخل العبد داره وغلق أبوابه وارتكب الفاحشة قال له الله : جعلتني أهون الناظرين إليك»

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل خلوت وقل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل لحظة ولا أن ماتخفي عليه يغيب
أتعرفون ماعقوبتهم يوم القيامة ، أترك الجواب لسيدي رسول الله ﷺ الذي يقول لنا :

يؤمر بفئام من الناس يوم القيامة إلى الجنة ، فإذا وصلوا إليها ورأوا

ما أعد الله لأهلها ، نودوا أن اصرفوهم عنها لا نصيب لهم فيها ، فيقولون :
يارب لو أنك لم ترنا الذي أريتنا لكان أهون علينا ، فيقول مولانا :

- ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم ، هبتم الناس ولم
تهابوني وأجلتكم الناس ولم تجلوني ، اليوم أذيقكم أليم العذاب ، مع ما
حرمتكم من الثواب» (طب- هب) - أو كما قال ﷺ .

لهذا علينا أن نستحيي من الله تعالى حق الحياء ، إنه يرانا
ويسمعنا ، ولو شاء لأظهر الله أعمالنا السيئة للناس حتى نسقط من
أعينهم ، يقول الإمام أحمد رضي الله عنه :

«لو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء ليس لها باب ولا كوة لأخرج
الله عمله للناس كائناً ما كان» .

بل إن أعمالنا يراها حتى الموتى من الآباء والأمهات والأقرباء يقول ﷺ :
«إن أعمالكم تعرض على أقربائكم وعشائركم في قبورهم ، فإن
كان خيراً استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا : اللهم لا تمتهم حتى تهديهم
كما هديتنا» .

أيها الإخوة الكرام :

أعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد
يقول فيها مولانا عز وجل :

«وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم
الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون» / التوبة : ١٠٥ .



فِئَةُ الْمُعَانِي لِمَوْلَانَا عَزَّ وَجَلَّ الكلام والحياة - 10 -

الحمد لله الذي نستفتح بحمده الكلام ، والحمد لله الذي حمده
أفضل ماجرت به الأقلام ، والحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على
الدوام ، فسبحانه وتعالى له الصفات العليا التي منها صفتا الحياة والكلام .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تأخذ بيد قائلها
إلى دار السلام .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومصطفاه من الأنام . أول
الأنبياء وواسطة عقدهم على أنه آخرهم ومسك الحتام .
اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وتابعيهم
السادة الأعلام ، وسلم تسليماً كثيراً .
أما بعد

فحديثنا اليوم بإذن الله تعالى عن صفتين إلهيتين مقدستين هما
صفتا الكلام والحياة ، وفي هذا اليوم نتوجه إلى الله تعالى بصفته الكلام
والحياة أن يجعلنا من المتكلمين التالين لكلامه الكريم ، وأن يحيي قلوبنا
بذكره ، ويحيي عقولنا بعلمه ، ويحيي أجسادنا بالحياة والصحة التامة ، علنا
نفهم ونعي هذا العلم الشريف علم التوحيد .

إننا باختصار مع الدرس العاشر من الدروس الایمانیة من جامع
الدرويشیة ومع بداية هذا الدرس أدعوكم جميعاً لتوحدوا الله تعالى .

أيها الإخوة الكرام :

صفة الحياة لمولانا عز وجل صفة وجودية قديمة قائمة بذاته تعالى ، يستحيل وجود الصفات بدونها ، وحياته تعالى ليست بمائلة لحياة الأنام ، إذ أن حياته تعالى لذاته أي ليست بروح ، بعكس المخلوقات فحياتهم بسبب سريان الروح فيهم ، هذه اللطيفة الربانية التي بها مدد الحياة ، السر الإلهي الذي يورث الأبدان حياة ، والروح عنصر من عناصر العالم العلوي يتصل بمدد رباني إلى العالم السفلي ، فإذا كانت الروح لا يعلم كنهها وحقيقتها إلا الله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ / الإسراء : ٨٥ ، إذا كانت الروح التي تسري فينا لا نعلم كنهها فكيف لنا أن نعرف كنه حياته تعالى اسمعه يقول لنا عن ذاته : ﴿لا تدركه الأبصار﴾ / الأنعام : ١٠٣ ، وكيفيك أن تعلم أن مولانا حي ، لأنه لو انتفت عنه الحياة لكان ميتاً . ولو كان ميتاً للزم منه انتفاء الصفات الإلهية كلها ، وهذا باطل لأن صفاته سبحانه موجودة وهذا العالم لا يمكن أن يصدر إلا من حي وهو الله سبحانه ، وحياة مولانا لا يلاحظها عدم ، ولا يقضى عليها بالانقضاء والفناء ، ولهذا اسمع إلى مولانا يقول لنا : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ / البقرة : ٢٥٥ .

وقال لك أمراً : ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾ / الفرقان : ٥٨ .

فالله هو الحي الكامل المطلق الذي تندرج تحت إدراكه جميع المدركات ، كما تندرج تحت فعله جميع الموجودات المخلوقات ، فصفة الحياة توجب له تعالى أن يتصف بالإدراك أزلاً وأبداً ﴿هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾ / غافر : ٦٥ .

وكما أن صفة الحياة قديمة فكذلك صفة الكلام صفة أزلية قائمة بالذات المقدسة تدل على جميع المعلومات التي لانهاية لها ، ونحن في صفة الكلام أمامنا عدة قضايا يجب أن نفهمها حتى تكون عقيدتنا صحيحة فيما يتعلق بصفة الكلام .

وأولی هذه القضايا :

أن كلام مولانا عز وجل الذي يجب أن نعتقد أنه قديم هو الكلام النفسي الأزلي القائم بذاته تعالى ، وأعني بالكلام النفسي كالكلام الذي يجريه الإنسان على قلبه ، لا الذي يتلفظ به ، وأما الذي نتلفظ به بواسطة الحروف والأصوات فهو ليس قديماً ، وأما صفة الكلام الإلهية القائمة بذاته تعالى فهو المنزه عن الحروف والأصوات وغيرها .

هذه هي القضية الأولى ،

وأما القضية الثانية فإن كلام مولانا متعدد الدلالات ، أي له أقسام اعتبارية ففيه :

الأوامر - والنواهي - والأخبار - والوعود - والوعيد .

فقوله تعالى : ﴿وأقيموا الصلاة﴾ : أمر ، /المزمل : ٢٠ .

وقوله تعالى : ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ : نهى ، /الإسراء : ٣٢ .

وقوله تعالى : ﴿إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا...﴾ : هذا خبر ، /القصص : ٤ .

وقوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾ : هذا وعد ، /الكهف : ١٠٧ .

وقوله تعالى : ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ : هذا وعيد ، /القمر : ٤٧ .

القضية الثالثة : إن كلامه تعالى لا يشبه كلامنا الذي نجريه على قلوبنا ، فكما أن وجوده تعالى وصفاته لا تشبه وجود المخلوقين ولا صفاتهم ، فكذلك لا يشبه كلامه كلامهم ، ومن ظن المشابهة فقد دخل في باب من أبواب الشرك :

أ - فإذا كان كلامنا له حروف وأصوات فكلام مولانا ليس بحروف وأصوات وإنما هذه الحروف والأصوات التي نقرؤها في القرآن تدل على الصفة

القديمة لمولانا ، فإذا سمعنا قوله تعالى ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ /الإسراء : ٣٢/
فهمنا منه النهي عن قربان الزنا ، ولو أزيل عنا الحجاب لفهمنا من الصفة
القديمة هذا المعنى فمدلول الكلام اللفظي هو مدلول الكلام النفسي .

ب - وإذا كان كلامنا فيه تقديم وتأخير كقولنا الحمد لله ، فنحن ننطق
بالحاء قبل الميم ، فإن كلام الله منزه عن ذلك ، فنقول زيد قائم وعمرو
جالس فالجملة الأولى متقدمة على الجملة الثانية والثانية متأخرة عن
الأولى فليس في كلام الله تقديم ولا تأخير ، حسبك أن تفهم هذا .

ج - وإذا كنا نتكلم ونسكت ، فإن كلام مولانا لا يتوقف أزلاً وأبداً ، بل
هو منزّه عن السكوت النفسي ، بأن لا يدبر في نفسه الكلام مع القدرة عليه .

د - وإذا كان كلامنا فيه الإعراب (رفع ، نصب ، جر) والبناء واللحن
فقد تنزه كلام مولانا عن ذلك .

هـ - وإذا كان كلامنا يعتريه التجزؤ والتبعض فكلامه سبحانه منزّه
عن ذلك ، فقولنا زيد قائم كلام له جزءان ، الجزء الأول زيد والثاني قائم
وهذا كله يوصلنا إلى قضية رابعة :

ماهو كلام مولانا ، ماكنهه ، ما حقيقته؟

أولاً : إن كلام الله تعالى هو القرآن الكريم ، المكتوب لفظه في
المصاحف ، والمحفوظ في صدر الأمة وما يتبعها من المقروء بالألسنة ، إلا أن
معناه وهو الكلام النفسي قديم ، وأما الألفاظ والحروف والأصوات وما يتبعها
من الكيفيات فهي حادثة مخلوقة؟

وكذلك نقول عن الكتب المنزلة من السماء والحديث القدسي
والصحف الربانية فكل ذلك كلام الله تعالى : اللفظ حادث والمعنى قديم ،
واسمعوا إلى القاعدة التوحيدية التي نص عليها الإمام الأعظم أبو حنيفة
النعمان الذي يقول : «ما قام بالمخلوق مخلوق ، وما قام بالخالق قديم» .

ولهذا إذا سألت عن كنه كلامه تعالى فإن جوابه محال لامحالة ،
لأنه سؤال عن كيفية مالا كيفية له ، فكما أن مولانا حجب عنا كنه الذات
والصفات حجب عنا كنه كلامه وكيفيته ، ولو أننا تدبرنا ذاتنا وكلامنا
وكيف تتكلم أعضاؤنا يوم القيامة وهي مخلوقة حينما قال مولانا :

﴿وتكلمنا أيديهم﴾ / يس : ٦٥ ، ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدت علينا
قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾ / فصلت : ٢١ .

لو تدبرنا ذلك لجهلناه . وعرفنا أننا نجهل كيفية تسبيح الحصاب بيد
المصطفى ﷺ ، وكيفية تسبيح الطعام ، وكيفية سلام الحجر على سيدنا
رسول الله ﷺ دون فم ينبعث منه صوت ، إذا كنا نجهل ذلك كله وهو
معنا ، موجود مثلنا مخلوق مثلنا ، بل هو فينا ، إننا نجهل كلام أنفسنا ، ونحن
لا نقدر على إدراكه وهو قائم بنا ، وإننا لا ندرك كيفية أكلنا وشربنا وبولنا
وألنا وفرحنا ، فأنى لنا أن ندرك كلامه تعالى .

وقد قام مرة أحد تلامذتي ليسأل سؤالاً ذكياً مفيداً أذكره في هذا
المقام ، قال لي :

فكيف سمع سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام كلام الله تعالى؟
وأنا أريد على هذا السؤال فأقول : إن مولانا عز وجل لم يكلم سيدنا
موسى فقط بل كلم سيدنا آدم وكلم سيدنا محمداً ﷺ وهذا يجب علينا
ألا ننساه .

إننا لانشك لحظة أن مولانا كلم سيدنا موسى ، لأنه عز من قائل
يقول : ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ / النساء : ١٦٤ ، ويقول : ﴿ولما جاء
موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ / الأعراف : ١٤٣ .

ولهذا أكد القرآن هذا الكلام أكدته بالمصدر (تكليماً) ، يعني كلمه
على الحقيقة التي نعقلها ، إذا كيف كلمه؟ يقول علماء التوحيد : إن مولانا

عز وجل أزال الحجاب بينه وبين سيدنا موسى حتى أدرك كلام الله القديم بجميع أعضائه من جميع الجهات ، ثم رد عليه الحجاب .

أسمعتهم أزال الحجاب ، يعني لم يكن مولانا ساكتاً ثم ابتدأ الكلام ، ولا أنه بعد أن كلمه انقطع كلامه ، لا ، لأن كلامه تعالى قديم باق مستمر لا ينقطع .

أيها السادة : كثر الكلام والجدل في صفة كلامه تعالى في عصر الإمام الشافعي حتى سموا علم التوحيد بعلم الكلام ، فلما جاء عصر الإمام أحمد بن حنبل قام بعض خلفاء بني العباس بفتنة خلق القرآن وخصوصاً المأمون والمعتصم والواثق ، فمالوا إلى رأي المعتزلة الضلال الذين قالوا : إن القرآن كلام الله مخلوق .

المعتزلة حكّموا العقل في كل شيء وما خالف عقولهم رموه خلف ظهورهم ، أرادوا أن ينزهوا الله تعالى فوقوا في الضلال ، وقد كان أحد المعتزلة ينكر أن الله تعالى كلم سيدنا موسى وكان يقرأ قوله تعالى ﴿ وكلم الله موسى ﴾ ، أي أن موسى هو الذي كلم الله وليس مولانا ، فقال له أبو عمرو بن العلاء (أحد القراء السبعة) لو قرأناها كما تقول فكيف ستقرأ قوله تعالى ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه ﴾ ، فهت الذي فسق .

إن من اعتمد على عقله ضل ، ومن اعتمد على ماله قل ، ومن اعتمد على جاهه ذل ، ومن اعتمد على الكفار لينصروه مل ، ومن اعتمد على الله تعالى فلا ضل ولا قل ولا مل ولا ذل .

المعتزلة قالوا : إن معنى كون الله متكلماً - أنه خالق للكلام وموجده في الأجسام كاللوح المحفوظ أو جبريل أو النبي أو الشجرة ، فأوا كلام الله حروفاً وأصواتاً يخلقها الله تعالى في محل ما ، وأولوا آية ﴿ وكلم الله موسى تكليماً ﴾ / النساء : ١٦٤ / ، بأنه خلق الكلام في الشجرة كما يخلق

كل شيء ، فخرجوا بهذه الفتنة العظيمة وهي أن كلام الله مخلوق ، والعياذ بالله تعالى .

وقد بدأت هذه الفتنة في عهد الرشيد فحبس طائفة من تكلموا به ، وقام أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة بطرد أحد جلسائه (وهو بشر بن غياث المريسي) من مجلسه حيث تكلم بخلق القرآن ، وتوقف القول بهذا حتى وفاة الخليفة الرشيد هارون الرشيد ، فلما جاء عهد المأمون وكان تلميذ أحد المعتزلة عقد المناظرات في القول بخلق القرآن وقبيل وفاته سنة ٢١٨هـ أوصى أخاه المعتصم بالمعتزلي أحمد بن أبي دؤاد .

فلما تولى الخليفة المعتصم حمل الناس بالقوة على ذلك ، فقد كتب وهو بالرقعة لنائبه في بغداد ثلاثة كتب قال له في أول الأمر :

١- اعزل من العمال كل من لا يقول بخلق القرآن ولا تقبل شهادته .

٢- وفي الكتاب الثاني طلب منه امتحان الفقهاء والمحدثين ، فأجابوه بالتوقف في هذه المسألة : نقول هو كلام الله .

٣- فأرسل الكتاب الثالث متوعداً بالإعدام من لا يقول به ، فأقر الجميع إلا :

سجادة - والقواريري - ومحمد بن نوح - والبويطي (خليفة الشافعي) والإمام أحمد بن حنبل : الذي سجن نحواً من ٢٨ شهراً وهو لا يستجيب ومزق جسمه بالسياط ثم أطلق سراحه فأل الأمر إلى الواثق ، فمنعه من التحدث والفتيا فمكث في بيته حتى مات رضي الله عنه .

وفي خلافة الواثق كان الرجوع عن القول بخلق القرآن ، وبدأ ذلك حين دخل مضحك الواثق فقال له : أعظم الله أجرك بالقرآن ، فقال : وكيف ذلك؟ فقال المضحك : كل مخلوق يموت ، فمن يصلي بالناس التراويح إذا مات القرآن يأمر المؤمنين . فأمره الواثق بالسكوت .

أيها الإخوة الكرام :

اسمحو لي أن انتقل بكم إلى هناك إلى العصر العباسي وبالذات في خلافة الواثق لأنقل لكم نهاية الفتنة بالقول بخلق القرآن .

فقد دخل على الخليفة الواثق شيخ وعنده أحمد بن أبي دؤاد المعتزلي ، وراح يكيل الأسئلة حتى سأل عن القول بخلق القرآن فقال له : هل علمها رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال له : هل دعا رسول الله إلى مقاتلتك هذه ؟ ، فسكت أحمد بن أبي دؤاد .

هل دعا إليها أبو بكر؟ ، عمر؟ ، عثمان؟ ، علي؟ ، وهو في كل ذلك ساكت لا يدري ما يجيب ، ثم قال له :

شيء لم يدع إليه رسول الله ولا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علي تدعو أنت الناس إليه ، ليس يخلو أن تقول : علموه أو جهلوه ، فإن قلت علموه وسكتوا عنه فقد وسعني وإياك من السكوت ما وسع القوم ، وإن قلت جهلوه وعلمته أنت ، فيالكع بن لكع يجهل النبي والخلفاء الراشدين شيئاً وتعلمه أنت . وهنا قال الخليفة : نعم ، هذا هو .

كانت هذه المناظرة من أروع المناظرات ، فقد هُزم بها ابن أبي دؤاد هزيمة منكرة وأطفأ بها هذا الشيخ فتنة طال أمدّها وذهب ضحيتها كبار الفقهاء والمحدثين . وأنا اليوم وإن طال بنا المقام قليلاً أريدكم أن تنتبهوا إلى قول هذا الشيخ الذي دحض رأي ابن أبي دؤاد وردّ دعوته شكلاً ومضموناً ، انتبهوا :

إن السلف - من كانوا قبل الخمسمئة هجرية - وهم أفضل المسلمين وخيار هذه الأمة من الصحابة والتابعين الكبار ما عرفوا هذه المسألة ولا بحثوا فيها وكان دينهم أسلم ، وإيمانهم أصح ، وهم قدوتنا في ديننا (وهم من كانوا قبل الخمسمئة هجرية) .

ثانياً : هذه الفتنة كان مدارها على أساس واحد هو قياس الخلق على

المخلوقين ، وتطبيق منطق العقل البشري وأحوال النفس الإنسانية على الله ، وذلك باطل ، لأن الخالق لا يشبه بالمخلوق ، فهو ليس كمثله شيء .

ثالثاً : هذه الأمور من عالم الغيب ، والعقل قاصر حكمه على عالم المادة لا يستطيع أن يحكم على عالم الغيب ولا أن يدركه .

ونحن اليوم ما هو دورنا تجاه هذا الخلاف ، نحن واجبنا أن ننقل الموضوع من جدال في صفات الله إلى سلوك في الحياة يوصل إلى رضاه ، فبدلاً من أن نبحث هل القرآن مخلوق أم غير مخلوق؟ ، نقول :

إن القرآن أنزله لنا الله لنعمل به ، فلنعمل به ، ولنأتمر بأمره ، ولنقف عند نهيه ، وأن نسلك في الحياة سلوكاً موافقاً لشرع ربنا جل جلاله .

أيها الإخوة الكرام :

إننا على أبواب الصفحة الأخيرة من هذا البحث . من نتائجه أن مولانا عز وجل متكلم لا ينقطع كلامه أبداً ، اسمعهو يقول لنا : ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ / لقمان : ٢٧ .

ولهذا لفضله وكرمه وجوده فإنه يتكلم مع المؤمنين يوم القيامة في الجنة ، وإليكم هذا الحدث الإيماني الذي نقله لنا الإمام البيهقي رضي الله عنه .

فعن سيدنا جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ بينما أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف عليهم ، فقال : يا أهل الجنة سلوني ، فقالوا : نسألك الرضا عنا ، فيقول مولانا : - رضاي أحلكم داري وأنا لكم كرامتي ، وهذا أوانها فسلوني . قالوا : نسألك الزيادة ، قال : فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها من زمرد وياقوت أخضر وياقوت أحمر فيحملون عليها ، تضع حوافرها عند منتهى طرفها ، فيأمر الله عز وجل بأشجار عليها الثمار ، فتجيء جوار من الحور العين ، وهن يقلن : نحن

الناعمات فلا نبأس ، ونحن الخالدات فلا نموت ، أزواج قوم مؤمنين كرام ،
ويأمر عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر (ذكي الرائحة) فينشر عليهم
ريحاً يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة
عاصمتها) فتقول الملائكة :

- ياربنا قد جاء القوم . فيقول مولانا : مرحباً بالصادقين ، مرحباً
بالطائعين ، قال فينكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تبارك وتعالى
فيتمتعون بنور الرحمن ... فذلك قول مولانا : ﴿نزلًا من غفور رحيم﴾/
فصلت : ٣٢ .

أيها الإخوة الكرام :

يعز علي أن أعود بكم من هناك إلى هنا فمن أراد أن يدخل هناك
ويبقى مع الله هنا فليوحد الله تعالى .



الصفات المعنوية والمستحبات

- 11 -

الحمد لله المحتجب عن الأبصار بنخفيات الحُجُبِ المختلفة .
الذي علا عن الأصوات وجلَّ عن حادثات الصفات ، وسبحته
الألسنُ بغرائب اللغات .
أحمده أبلغ محامده على جميع فوائده ، وأستهديه بهدائته وأستعينه
على طاعته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بالتوحيد ، خير مولود
دعا إلى ربٍّ معبود .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه صلاة وسلاماً يتجددان في ظلم
الليل وأدبار السجود ، وسلم تسليماً .

أما بعد : فحينما أكرمنا الله تعالى بفتح ملف العقيدة على منبر
سيدنا رسول الله ﷺ اعتقد بعض الصحب أنها إن هي إلا خطبة أو خطبتان
وننتقل إلى موضوع آخر ، لأن الناس لم تألف الحديث عن العقيدة على
المنابر ، وقد صرح لي بهذا بعض أشياخي الكرام .

ولكن مولانا عز وجل أراد على وفق علمه أن نفتح هذا الملف هنا ،
وعلى هذا المنبر بالذات وفي هذا الزمن بالتحديد ، وهذا دليل محبة الله لنا ،
وأنه يريد منا جميعاً أن نكون من الموحدين عن علم ودين وعقيدة ، وبدأنا

هذا الأمر بتعريف العقيدة وقلنا : إنها سميت عقيدةً لعقد القلب عليها وربطه على الإيمان بالله تعالى .

ثم قسمنا علم التوحيد أو العقيدة إلى ثلاثة أقسام : إلهيات - نبويات - سمعيات .

وقلت إن الواجب الشرعي على كل مكلف بالغ عاقل سليم الحواس أن يعرف معرفةً جازمة ما يجب لله تعالى وما يستحيل أن يتصف به مولانا ، وما يجوز في حقه سبحانه ، وأن يعرف مثل ذلك لرسله الكرام ، عليهم الصلاة والسلام .

وسرنا معاً بشكل متوازن مع منظومة التوحيد التي نظمها الشيخ عبد المجيد الشرنوبى ، وهي على قلة أبياتها جمعت أهم أطراف علم التوحيد ، فقد قسم الشيخ الشرنوبى صفات مولانا عز وجل إلى عشرين صفة .

صفة نفسية ، وصفات خمس سلبية ، وسبع صفات معانٍ وسبع معنوية ، فتحصل أنها عشرون صفةً تجب لله تعالى ، وهي :

صفة الوجود : وأن وجوده تعالى لذاته : لم يلد ولم يولد .

ثم بدأنا بالصفات السلبية وقلنا إنها خمس :

أولها : القدم : فلا أول لوجوده تعالى ولا يدخل في وجوده زمان ولا مكان .

ثانيها : البقاء : أي لا آخر لوجوده تعالى ، قال عز وجل : ﴿ هو الأول

والآخر ﴾ / الحديث : ٣ / .

وثالثها : مخالفته تعالى للحوادث أو المخلوقات في ذاته وصفاته

وأفعاله : بمعنى أنه ليس بمماثلاً لشيء من المخلوقات ، فهو القائل : ﴿ ليس

كمثلته شيء وهو السميع البصير ﴾ / الشورى : ١١ / .

رابعها : قیامه تعالی بنفسه غنیاً بذاته عن کل شیء ، قال تعالی : ﴿یا ایها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني﴾ / فاطر : ١٥ / وهو القائل سبحانه : ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ / الرعد : ٣٣ / قال لنا : ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ / البقرة : ٢٥٥ .

الخامسة من الصفات السلبية (التي سلبت عن الحق جل جلاله ما لا یلیق بکماله هي صفة :

الوحدانية : وهي عدم وجود شريك له تعالی في ذاته ، ولا في صفاته ولا في أفعاله فهو : واحد في ذاته ، واحد في صفاته ، واحد في أفعاله ، فله الکمال المطلق : ﴿قل هو الله أحد﴾ / الإخلاص : ١ / ، ﴿لو كان فیهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ / الأنبياء : ٢٢ / ، ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾ / محمد : ١٩ . فهذه ست صفات : الصفة النفسية ، والخمس السلبية .

وكان إكرام الله لنا عظيماً فقد تابعنا الحديث عن العقيدة فتحدثنا عن صفات المعاني ، وسميت بالمعاني لأنها تدل على معنى قائم بذاته تعالی ، وهي سبع صفات وجودية قديمة قائمة بذاته تعالی :

أولها : العلم : الصفة التي تنكشف له بها تعالی الأشياء انکشافاً تاماً من غير سبق خفاء ، فالعلم صفة كشف وجلاء لا صفة تأثير ، ولهذا يقول عز من قائل : ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ / الجن : ٢٨ .

الثانية : الإرادة : صفة یخصص بها مولانا الممکنات ببعض ما یجوز علیها على وفق علمه تعالی ، یجعل فلاناً غنياً ، وآخر فقيراً ، واحداً طويلاً وآخر قصيراً أسمر أو أبيض ﴿یهب لمن یشاء وإنثاءً ویهب لمن یشاء الذکور أو یرزقهم ذکراً وإنثاءً ویجعل من یشاء عقیماً﴾ / الشوری : ٥٠ ، وهكذا ف ﴿ربك یخلق ما یشاء ویختار﴾ / القصص : ٦٨ .

الثالثة : القدرة : وهي صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة والعلم ، فالله قادر مقتدر وهو على كل شيء قدير .

الرابعة والخامسة : البصر والسمع : صفتان ينكشف بهما كل موجود على ما هو عليه ، والانكشاف الحاصل بالسمع غير الانكشاف الحاصل بالبصر لذلك مولانا يقول : ﴿إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ / لقمان : ٢٨ .

السادسة : صفة الكلام : وهي أنه تعالى متكلم بكلام قديم منزه عن الحرف والصوت والتقديم والتأخير والكلّ والبعض والتجديد والسكون واللحن والإعراب قال تعالى : ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ / النساء : ١٦٤ .

السابعة : صفة الحياة : وحياته تعالى لذاته ليست بروح يقول جل وعلا ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ / البقرة : ٢٥٥ . هذه الصفات الـ ١٣ صفة كان حديثنا عنها خلال عشر حلقات إيمانية في جامع الدرويشية ، ويبقى علينا الحديث حول صفات سبع تلازم صفات المعاني لا تنفك عنها هي الصفات المعنوية ، وعلماء التوحيد يقولون : لا يكفي أن نثبت أن لله تعالى قدرة وإرادة وعلماً وحياءً وسمعاً وبصراً وكلاماً ، بل لا بد أن نقول بأن هذه الصفات تقوم بالذات العلية ، وهذا هو معنى الصفات المعنوية ، ثبوت هذه الصفات له تعالى . وهي كونه تعالى عالماً مريداً قادراً حياً متكلماً سميعاً بصيراً .

وتعني أيضاً (الصفات المعنوية) أن مولانا لم يكتسبها من أحد ، ويمكن أن نقول عن هذه الصفات بأنها أسماء ، احفظوها على أنها أسماء له تعالى ، وكلها قديمة قدم ذاته العلية .

وبهذا وردت أسماء الله تعالى في القرآن الكريم فهو سبحانه علیم بصیر - قدير - قادر - مقتدر - سمیع - بصیر - حي - عالم -

أيها الإخوة :

هذه الصفات العشرة الواجبة في حقه تعالى ، وكل من ينفي هذه الصفات ويثبت أضدادها فهو كافر ، لماذا؟

- ١- لأن من نفى صفة الوجود فقد أثبت العدم ، وهو كفر .
- ٢- ومن نفى صفة القدم فقد أثبت الحدوث ، وهذا كفر ،
- ٣- من نفى صفة البقاء فقد أثبت الفناء ، وهذا كفر ،
- ٤- من نفى صفة مخالفته تعالى للحوادث فقد أثبت مشابهته تعالى للحوادث وهذا محال .
- ٥- من نفى صفة قيامه تعالى بنفسه فقد أثبت قيامه بغيره وهذا محال .
- ٦- من نفى صفة الوحدانية فقد أثبت أن الله متعدد في الذات أو الصفات أو الأفعال وهذا محال .
- ٧- من نفى صفة القدرة فقد أثبت العجز لله تعالى وهذا محال .
- ٨- من نفى صفة الإرادة فقد أثبت الإكراه (بأنه يفعل شيئاً بغير اختياره) وهذا باطل .

ومعنى الكراهة هنا العقلية لا الشرعية (الشرعية النهي عن الشيء) لأن الله تعالى قد يوجد الشيء مع كراهته له شرعاً ، فالمكروه والمحرم لا يقعان إلا بإرادته سبحانه ، احفظوا هذا الأمر ، ومرة وقف أحد أئمة أهل السنة والجماعة وهو أبو إسحق الإسفراييني يناقش أحد المعتزلة الذي كان ينكر أن الله تعالى يوجد الشيء مع كراهته له شرعاً وكان هذا المعتزلي يقول بوجوب فعل الصلاح والأصلح على الله تعالى ، إذ قال المعتزلي (وهو عبد الجبار الهمداني) :

.. سبحانه من تنزه عن الفحشاء .

فقال الأول (أبو إسحق الإسفراييني) : سبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء . فقال المعتزلي : أفريد ربنا أن يعصى؟
فقال الإمام أبو إسحق : أفيعصى ربنا كرهاً؟ .
فقال المعتزلي : أرأيت إن منعني الهدى وقضى عليّ بالردى ، أحسن إلي أم أساء؟

فقال الأستاذ : إن منعك ما هو لك فقد أساء ، وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء .

فالذي نعتقه أن الله تعالى فاعل بالإرادة والاختيار لا بالقهر والإجبار ، فلا يجري في ملكه قليل أو كثير ، خير أو شر ، نفع أو ضرر ، إيمان أو كفر ، غنى أو فقر ، طاعة أو عصيان ، فوز أو خسران إلا بقضائه وقدره وحكمته وإرادته .

- ٩- كذلك من نفى صفة العلم فقد أثبت الجهل وهذا كفر .
- ١٠- ومن نفى صفة الحياة فقد أثبت الموت وهو عدم الحياة
- ١١- ومن نفى صفة السمع فقد أثبت الصمم
- ١٢- ومن نفى صفة البصر فقد أثبت العمى (عدم الإبصار) .
- ١٣- ومن نفى صفة الكلام فقد أثبت الخرس أي البكم .
- ومن نفى كونه تعالى قادراً فقد أثبت كونه عاجزاً .
- ومن نفى كونه تعالى مريداً فقد أثبت كونه مكرهاً .
- ومن نفى كونه تعالى قادراً فقد أثبت كونه جاهلاً
- ومن نفى كونه تعالى حياً فقد أثبت كونه ميتاً
- ومن نفى كونه تعالى سمياً فقد أثبت كونه أصم
- ومن نفى كونه تعالى بصيراً فقد أثبت كونه أعمى

ومن نفی كونه تعالى متكلماً فقد أثبت كونه أحرص
وهذا كله كفر والعیاذ بالله تعالى .

أيها السادة :

وقد كنت وعدتكم ومازلت عند وعدي بأن من یحفظ منظومة
التوحید للشرنوبی من علی هذا المنبر ، أي بأن یكون قد حضر كل الدروس
الایمانیة وحفظها منی من علی المنبر أن له خمسمئة ليرة سوریه ، وأفضل ما أختتم
به مجلسنا الیوم هو ما تقدم لنا فی هذه المنظومة وهي تلخیص لكل ما قلنا :

الحمد لله الذي توحدا في ذاتہ وبالبقا تفردا
وبعد حمد الله والصلاة
فهذه عقائد التوحید
فاحفظ لمولى الخلق عشرين صفه
له الوجود والبقاء والقدم
وقائم بنفسه وواحد
منها الوجود صفة نفسیه
وواجب لرَبِّنا المنان
علم إرادة وقدره بصر
وسبعة قد لازمتها تدعى
ككونه حياً مريداً قادراً
والحق لا استغناء بالمعاني
وضدّها علیه يستحيل
بكل أوصاف الكمالات قد وصف

على النبي صاحب الصلوات
تنجوها من ربقة التقليد
تكن بها في غرف مزخرفه
مخالف لما يناله العدم
فهذه ست صفات تسرد
والخمس بعدها هي السلبية
سبع صفات سميت معاني
سمع كلام وحياة تعتبر
بمعنوية فاللق السمعا
وفي ثبوتها خلاف قد جرى
عنها كما حقق بالبرهان
فإنه المنزه الجليل
طوبى لمن له بهذا یعترف

هذا مدرسة التوحید الجالس فیها علی أن یوحده الله تعالى .

تذكر عزيزي الموحّد:

علم التوحيد يتضمن: إلهيات ، نبويات ، وسمعيات .

أ- الواجبات :

صفة نفسية : الوجود .

صفات سلبية : القدم ، البقاء ، مخالفته تعالى للحوادث ، قائم بنفسه ، ووحدانية .

صفات معان : العلم ، الإرادة ، القدرة ، البصر ، السمع ، الكلام ، والحياة .

أسماء أو صفات معنوية : كونه عالماً ، مريداً ، قادراً ، بصيراً ، سمياً ، متكلماً ، حياً .

ب- مستحيلات : يستحيل في حقه تعالى أضداد الصفات السابقة وهي في ضد الصفة النفسية :العدم

ضد الصفات السلبية : الحدوث ، الفناء ، مماثلته للحوادث ، قائم بغيره ، ومتعدد .

ضد صفات المعاني : الجهل ، الإكراه ، العجز ، العمى ، الصمم ، البكم ، والموت .

ضد الصفات المعنوية : كونه جاهلاً ، مكرهاً ، عاجزاً ، أعمى ، أصم ، أبكم ، وميتاً .

الإنجازات في حقة تعالى

- 12 -

الحمد لله الذي أعاد وأبدى ، وأنعم فهدى ، أحمدته سبحانه وتعالى
وأشكره على مامن من الإنعام وأسدى ، ونستهديه فإنه لا يفضل من هداه ،
ومن أضله فلن يهدى ، ونستغفره لذنوبنا التي لا تحصى عددا .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً ، أحداً فرداً ،
شهادة تُرغمُ بها أنف من كفر عناداً وجحداً .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أكرم به رسلاً عبداً ، أمده الله
بإمداداته الربانية مداً ، نبي أنطق الله بنبوته ضباً وظبياً وحجراً صلداً .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين
جعلهم أمثال طريقة وأقوم سبيلاً وأهدى ، وسلم تسليماً .
أما بعد :

فأقف اليوم على منبر سيدي رسول الله شاكراً حامداً لمولانا أن أوصلنا
إلى الدرس الثاني عشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية .
فقد قسم علماء التوحيد الحكم العقلي إلى ثلاثة أقسام : واجب
وجائز ومستحيل ، فالواجب ما لا يقبل الانتفاء في ذاته . والمستحيل ما لا
يقبل الثبوت في ذاته ، والجائز هو كل أمر قابل في حد ذاته للانتفاء
والثبوت ، وهذه الأقسام الثلاثة يجب على المكلف معرفتها لتوقف مباحث

علم التوحيد عليها ، لأن القاعدة تقول : ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .
وقد عرفنا حتى الآن الواجبات والمستحيلات في حقه تعالى ، وبقي
أماننا الحديث عن الجائزات . فما هي هذه الجائزات في حقه تعالى ؟ يقول
الشيخ عبد المجيد الشرنوبى :

وجائز عليه فعل الممكن وتركه إن لم يشأ لم يكن
الجائز في حقه تعالى ، إيجاد كل ممكن وإعدامه حسب ما يشاء الله
ويختار صلاحاً أو ضده ، كل ممكن ، والممكنات كثيرة جداً يصعب إحصاؤها
منها : الخلق ، والرزق ، والإماتة والإحياء ، والصحة ، والإسقام ، وبعثة الرسل
عليهم الصلاة والسلام ، والثواب والعقاب ، والقضاء والقدر ، وفعل الصلاح
والأصلح ، ورؤية المؤمنين لله تعالى بلا كيف ولا انحصار ، وإيجاد تأثيره
تعالى عند الأسباب العادية كإيجاد تأثيره تعالى عند قدرة العبد الحادثة ،
والاحتراق عند النار ، والضوء عند الشمس ، والنور عند القمر والمصباح ،
والشبع عند الأكل ، والجوع عند عدم الأكل ، والري عند شرب الماء ، والستر
والوقاية عند لبس الثوب ، والقطع عند السكين ، والشفاء عند التداوي . كل
هذا من الجائزات في حقه تعالى .

أيها السادة :

كان هذا هو موجز الأنباء وإليكم الأنباء بالتفصيل بعد أن توحدوا الله تعالى .
أيها الإخوة :

أماننا اليوم عدة قضايا لنفهم الجائزات في حقه تعالى ، وأنتقي لكم
بعض هذه القضايا لأزيل عنها الغموض الذي يكتنفها بإذن الله تعالى .

القضية الأولى : الخلق : خلق العباد وخلق أعمالهم سواء منها الخيرة
أم الشريرة ، والعمدة في هذه العقيدة قوله تعالى ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ
وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ / ، وقال لنا ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ / الرعد : ١٦ .

وقد ضل أقوام أرادوا أن ينزهوا الله تعالى عن خلق الشر ، وغفلوا أنه

سبحانه خلق إبليس وهو الشر كله ، ولعمري إننا نردد كل يوم بعد كل صلاة مفروضة وقبل النوم سورة فيها هذه العقيدة ، وأنه سبحانه خالق الخير والشر ، إنها سورة الفلق يقول عز وجل :

﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ من شر ما خلق / الفلق : ١-٢ .

أسمعتم : ﴿ من شر ما خلق ﴾ / الفلق : ٢ ، فالخير والشر كله من خلق الله تعالى ، واسمعوا معي إلى هذه الآية الكريمة يقول مولانا عز وجل : ﴿ وإن تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله ، وإن تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله ﴾ / النساء : ٧٨ .

ولهذا يقول ﷺ (ق) : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » .

وبعد هذه الأدلة نقول كل من يقول بعكس هذا فهو فاسق جاهل ، لأنه بنكرانها جعل ما يقع من العباد إنما يقع على غير مراد الله تعالى ، فيكون في ملك الله ما لا يريد ، ولهذا جاءت الآيات تصرح وتبين عكس هذا الاعتقاد ، يقول عز وجل :

﴿ وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مردّ له ﴾ / الرعد : ١١ / ﴿ ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد ﴾ / البقرة : ٢٥٣ / ﴿ ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ﴾ / الأنعام : ١٢٥ .

فماذا بعد الحق إلا الضلال ؟!

أيها الإخوة الكرام : ولأجل إيضاح هذا المفهوم ، اسمعوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى مولاي وقدوتي إلى الله سيدي الإمام محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه فهو في موقف عجيب غريب مع أحدهم ، أتدرون من هو الذي تمثل بين يدي الإمام الشافعي رضي الله عنه ، إنه إبليس اللعين - قولوا لعنه الله - :

فقد وجه للإمام سؤالاً عظيماً من غاب عنه خرج من ديوان العبودية

لله ، وأنا أنقله لكم اليوم على الموجات الإيمانية من جامع الدرويشية ، فما هو هذا السؤال ، وما هو الجواب العظيم الذي أجابه مولانا الشافعي رضي الله عنه ؟

قال إبليس اللعين : يا إمام ماتقول فيمن خلقتني لما اختار ، واستعملني فيما اختار ، وبعد ذلك إن شاء أدخلني الجنة وإن شاء أدخلني النار ، أعدل في ذلك أم جار ؟

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه : فنظرت في مسألته فألهمني الله تعالى أن قلت :

- يا هذا إن كان خلقك لما تريد أنت فقد ظلمك ، وإن خلقك لما يريد هو فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون .

فاضمحل إبليس وتلاشى ثم قال : والله يا شافعي لقد أخرجت بمسألتي هذه سبعين ألف عابد من ديوان العبودية إلى ديوان الزندقة . أيها الإخوة :

يجب علينا أن ننسب الخير إلى الله تعالى لأنه هو الفاعل الموجد وننسب أدباً الشر إلى أنفسنا ، لأننا اكتسبناه اكتساباً ولأنه أجراه على أيدينا ، ولهذا انظروا إلى هذا الأدب العالي في قول سيدنا إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام :

﴿الذي خلقتني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين ، وإذا مرضت فهو يشفين﴾ الشعراء : ٨٠ . فقد أسند كل الأفعال إلى الله تعالى خلا المرض مع أنه يعلم حق العلم أن الله تعالى خالق كل شيء ، قاله تعالى خالق كل شيء ، حققوا في هذه العبارة : (كل شيء) : الجهر والإسرار ، العقائد والخواطر ، الماء والنبات ، الأوراق والثمار .

وهذا يوصلنا إلى القضية الثانية ، هل الماء هو الذي ينبت الزرع

والنبات ، هل الماء هو الخالق - والعياذ بالله - لا ، بل الماء سبب ، سبب عادي يخلق الله عنده الأوراق والثمار والنبات ، والله سبحانه قادر أن يمنع الماء ألا ينبت ، وكم من ماء ينزل والبذر في الأرض ولا تنبت ذرة واحدة من حشيش أو نبات ، لذلك لفت القرآن الكريم نظرنا لهذه العقيدة فقال :

﴿أفأرأيتم ما تَحْرُثُونَ؟ : أنتم تزرعون أم نحن الزارعون﴾ / الواقعة : ٦٤ .

فنسبه له تعالى لأنه هو مخترعه وخالقه ومنميه ، ونسبته إلينا لأننا تحركنا في زرع ، فظهرت الحركة المخلوقة فينا ، فهذه كلها أفعال خلقها الله تعالى وأظهرها في عباده .

ونقيس على ذلك كل النصوص الأخرى : فالنار مثلاً لا تحرق بذاتها أو بطبعها ، لأن الحرق خلق من خلق الله يصيب به من يشاء وكل من ينسب لها التأثير فقد أشرك بالله تعالى ، فلا تأثير للنار في الحرق . ولهذا تأملوا هذا الحديث الذي نطق به لسان سيدنا رسول الله ﷺ وقلبه ، «إن الله حرم على النار أن تأكل أثر السجود» من العبد ، أي الوجه أو جميع أعضاء السجود ، هل سمعتم أيها الساجدون ، إن تلك الأعضاء التي عفرت وجهها بالتراب ساجدة لله تعالى حفظها الله تعالى عن النار ، فهذا دليل أن التعذيب بأمر الله لا بطبيعة النار ، ولهذا علينا أن نعتقد أن المؤثر هو الله تعالى ، ولكن جعل بين الأسباب والمسببات تلازماً عادياً بحيث يصح تخلفه ، أي يمكن للنار ألا تحرق إذا شاء الله تعالى ، ولهذا عندما ألقى فيها الخليل سيدنا إبراهيم أمرها مولانا فقال :

﴿قلنا يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾ / الأنبياء : ٦٩ ، فهل امتنعت النار عن حرق الخليل لو كانت تحرق بطبعها ؟ .

أيها الإخوة : إلى هنا توقفت مرة عن الحديث فنظرت فرأيت على وجه أحد تلامذتي الأذكياء إشارات الاستفهام ، ما الأمر يا بني؟ قال الطالب : نقرأ كثيراً في الآيات القرآنية أن الله ينسب فيها الأفعال

والأعمال والصنع والخير للعباد فما السر في ذلك ، لماذا نسبها إليهم؟
أسمعتكم مثل هذا السؤال الذكي؟ ، فتأملت في هذا السؤال ثم قلت له :
عندما تقول : إن الأمير أو الوزير أو أي شخصية على مر التاريخ ذكر
عنها المؤرخون أنهم بنوا مدينة مثلاً ، عندما يقال : بنى الأمير المدينة ، هل هو
الذي أخذ المعاول والإسمنت وغيرها وبقي بينها سنوات ، لا ، بل نسبت
إليه من باب إسناد الفعل لما هو سببه ، ونقيس على ذلك كل النصوص
الواردة التي نسبت إليها الأفعال للجملادات والأعراض ، تقول : سال الوادي
بالمطر ، لقوله تعالى ﴿فسالت أودية بقدرها﴾ /الرعد : ١٧/ ، وقال : ﴿تلفح
وجوههم النار﴾ /المؤمنون : ١٠٤/ .

فما نسبت الأفعال إلى هذه الجمادات إلا لأنها محل لظهورها ، أما
موجدها وخالقها فهو الله والله وحده لا شريك له ، وعليه اسمعوا القاعدة
التوحيدية :

(إن الله يوجد تأثيره عند الأسباب العادية لا بها ، ولا بقوة أودعها
الله تعالى فيها) ، فقد أجرى المولى العادة أن يخلق عند الأسباب لا بها ، أو
بها عادة مع صحة التخلف ، فمن اعتقد أن شيئاً منها يؤثر بنفسه فلا نزاع
في كفره ، ومن اعتقد أن شيئاً منها يؤثر بقوة أودعها الله تعالى فيه فهو
فاسق وهو قول المعتزلة ، وأما الحق الذي لا مرية فيه فهو أن نقول :

إن الله يوجد الاحتراق عند النار ، ويوجد الضوء عند الشمس ،
ويوجد النور عند القمر والمصباح ، ويوجد الشبع عند الأكل ، والجوع عند
عدم الأكل ، والري عند شرب الماء ، والتقطع عند السكين ، والشفاء عند
التداوي .

غبي ذلك الذي يعتد أن الدواء هو الذي يشفيه أو الطبيب هو الذي
يشفيه ، الشافي هو الله ، فبارب بحق هذه العقيدة التي اعتقدناها أن تشفينا
وتعافينا بيدك الشافية .

أيها الإخوة :

هذه العقيدة أو الإيمان الذي نجده الآن في قلوبنا هو من خلق الله تعالى وهذا يوصلنا إلى القضية الثالثة : إن الله تعالى يخلق في قلب العبد الطاعة أو المعصية ، لا يخلقهما بطريقة الغلبة أو القهر بل يخلقها في قلبه مقروناً باختيار العبد وكسبه ، فهو قد جعل الإيمان محبوباً للمؤمنين ، وجعل الكفر مطلوباً للكافرين ، ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ / الروم : ٣٢ / أسمعتم هذه الآية المهم أن الله تعالى بفضله حبيب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا ، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وبعدله جل جلاله ترك هداية أهل الكفر وحجب إليهم العصيان وكره إليهم الإيمان ، فسبحان القائل ﴿ كذلك يضل الله من يشاء ويهدي من يشاء ﴾ / المدثر : ٣١ ، ﴿ ومن يضل الله فما له من هاد ﴾ / الزمر : ٢٣ ، ﴿ ومن يهد الله فما له من مضل ﴾ / الزمر : ٣٧ / وهذا يوصلنا إلى القضية الرابعة .

هل يجب على الله تعالى فعل الصلاح والأصلح للعبد؟

وللجواب عن هذا السؤال نقول : إذا كان هناك أمران أحدهما فيه صلاح للعبد ، والآخر أصلح منه ، فهو جائز في حقه تعالى أن يفعل الأصلح دون الصلاح ، وهذا خلاف للمعتزلة الفساق الذين قالوا بوجوبه على الله تعالى ، فإنه سبحانه لو وجب عليه فعل الأصلح لعباده لما خلق الكافر والفقير ، والمعذب في الدنيا والآخرة ، ولا ابتلى بالأسقام والآلام والمحن والآفات ، ولهذا رد عليهم أهل السنة والجماعة فقالوا :

وقولهم إن الصلاح واجب عليه زور ماعليه واجب

ألم يروا إيلامه الأطفال وشبهها فحاذر المحالا

حكى أن الخافض ابن حجر مر يوماً في السوق بموكب عظيم وهيئة جميلة فهجم عليه يهودي ، وأثوابه ملطخة بالدرن وهو في غاية الرثاثة واليشاعة فقبض علي لجام بغلته . ثم قال له :

- يا شيخ الإسلام ، أنت تزعم أن نبيكم قال : الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (أحمد- م- ت- هـ : صحيح) ، فأني سجن أنت فيه مع هذه النعمة ، وأي جنة أنا فيها مع ماترى؟!

فقال له الحافظ رضي الله عنه : أما فإن الذي أنا فيه بالنسبة لما أعده الله لي في الآخرة من النعيم للمؤمنين يعد سجنًا ، وأما أنت فالذي فيه بالنسبة لما ينتظرك من العذاب الأليم يعد جنة . فأسلم اليهودي .

وهذه المسألة بالذات هي السبب في ترك الإمام أبي الحسن الأشعري مذهب المعتزلة فقد قال لشيخه الجبائي المعتزلي في درسه : ماتقول في ثلاثة إخوة ، مات أحدهم كبيراً طائعاً ، ومات الثاني كبيراً عاصياً ، ومات الثالث صغيراً .

قال الجبائي : الأول يثاب بالجنة ، والثاني يعاقب بالنار ، والثالث لا ثواب له ولا عقاب : فقال الأشعري : فإن قال الثالث : يارب لم أمتني صغيراً ولم تبقيني حتى أبلغ ، فأطيعك فأدخل الجنة ، فقال الجبائي : يقول له ربه : علمت أنك لو كبرت عصيت ، فتدخل النار فكان الأصح لك أن تموت صغيراً .

فقال الأشعري : فإن قال الثاني : يارب لما علمت أنني إن كبرت عصيت فدخلت النار فلم لم تمنني صغيراً حتى أكون كأخي ، ماذا يقول الرب؟ فبهت الذي فسق ، وقال له : وسوست يا أبا الحسن؟! فقال الإمام الأشعري : لا ، ولكن وقف حمار الشيخ في العقبة .
أيها الإخوة :

وهذا يوصلنا إلى القضية الخامسة ، الثواب على الطاعة ، والعذاب على المعصية ، فهذان من الجائزات أيضاً في حق مولانا عز وجل .

الثواب الذي وعدنا الله إياه هو بفضلته تعالى وليس واجباً عليه ، أي أن الله تعالى معط لمن أراد به خيراً وعده الذي سبقت به إرادته في الأزل ،

لأنه لو تخلف إعطاء الموعود للزم الكذب والسفه والخلف بالوعد ، والتبديل في قول الله تعالى ، وهذا خلاف قوله تعالى ﴿ ما يبدل القول لدي ﴾ / ق : ٢٩ / ، وقوله ﴿ إنك لا تخلف الميعاد ﴾ / آل عمران : ١٩٤ / على أن وعد المؤمنين بالجنة لا يتخلف شرعاً ، وأما الوعيد فلا بد من تحققه بالكافرين قطعاً لأنه عز وجل يقول ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ﴾ / النساء : ١١٦ / .

وأما عصاة المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً بأخر سيئاً ، فيجوز أن يغفر الله لهم ، ويجوز أن يعذبهم ويدخلهم النار واسمعوا إلى من تحبون أن تصلوا عليه يقول :

« من وعده الله على عمل ثواباً فهو منجز له ، ومن أوعده على عمل عقاباً فهو بالخيار إن شاء عذبه وإن شاء غفر له » (طب - أبو يعلى) .
والذي علينا اعتقاده أن الثواب هو بفضل الله تعالى وليس واجباً عليه وأن العقاب بعذله وليس واجباً عليه أي ليست المعصية مستلزمة للعقاب .

أيها الإخوة : إليكم هذا الحديث الإيماني العظيم الذي رواه لنا سيدنا جابر بن عبد الله (قولوا رضي الله عنه) قال :

« خرج علينا رسول الله ﷺ فقال : خرج من عندي خليلي جبريل أنفاً فقال : يا محمد ، والذي بعثك بالحق إن عبداً من عباد الله عبد الله ٥٠٠ سنة على رأس جبل في البحر ، وقد أخرج له عيناً بعرض الأصبع تفيض بماء عذب فتستنقع في أسفل الجبل ، وشجرة رمان تخرج له في كل ليلة رمانة ، يتعبد يومه فإذا نزل أصاب من الوضوء ، وأخذ تلك الرمانة فأكلها ثم قام بصلاته ، فسأل ربه عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً ، وألا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه الله وهو ساجد ، قال : ففعل ، فنحن نمر عليه إذا هبطنا وإذا عرجنا ، فنجد له في العلم أنه يبعث يوم القيامة فيوقف بين يدي الله سبحانه فيقول له الرب : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ، فيقول : رب بل بعملتي ، فيقول أدخلوا عبدي الجنة برحمتي ، فيقول : بل بعملتي ،

فيقول الله عز وجل قايسوا عبدي بنعمتي عليه وبعمله ، فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة ٥٠٠ سنة وبقيت نعمة الجسد فضلاً عليه . فيقول ادخلوا عبدي النار ، فيجر إلى النار ، [ولهذا ورد في الحديث من نوقش الحساب بعمله هلك] كتاب السنة للشيباني ، فينادي : رب برحمتك أدخلني الجنة ، فيقول : ردوه . فيوقف بين يديه ويعدد الله عليه نعمه التي أنعمها عليه ويسأله رب العزة : من الذي أنعم عليك بكذا وكذا وفي كلها يقول : أنت يارب . . ويعدد عليه نعمه ثم يقول : فعلت معك ذلك برحمتي ، وبرحمتي أدخلك الجنة أدخلوا عبدي الجنة ، فنعم العبد كنت يا عبدي ، فأدخله الله الجنة ، قال جبريل :

- إنما الأشياء برحمة الله يا محمد - ض

فيا رحمة الله حلي في منازلنا وجاورينا بخير الرسل كلهم
أيها الإخوة الكرام : أعود بكم من هناك إلى هنا ، هنا مدرسة
التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

* * *

A decorative border made of stylized floral and leaf motifs, arranged in a rectangular frame around the central text.

باب
التفويض
والتأويل

مقدمة في التأويل

- ١٣ -

الحمد لله الذي تفرد بجلال ملكوته ، وتوحد بجمال جبروته ، وتعزز بعلو أحديته وتقدس بسمو صمديته ، وتكبر في ذاته عن مضارعة كل نظير ، وتنزه في صفاته عن كل تناء وتصوير ، فسبحانه تعالى له الصفات المختصة بحقه ، والآيات الناطقة بأنه غير مشبه بخلقه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عبد موقن بتوحيده ، مستجير بحسن تأييده قال لنا :

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾ / طه : ٥ ، الأعراف : ٥٤ ، الحديد : ٤ ، يونس : ٣ ، السجدة : ٤ ، الرعد : ٣ ، الفرقان : ٥٩ .

استوى كما أخبر ، وعلى الوجه الذي أراد ، وبالمعنى الذي قال ، استواء منزهاً عن الحلول والانتقال ، فلا العرش يحمله ، ولا الكرسي يسنده ، بل العرش وحملته ، والكرسي وعظمته الكل محمول بلطف قدرته ، مقهور بجلال قبضته .

فلا استواء معلوم ، والكيف مجهول ، والسؤال عنه بدعة ، والإيمان به واجب ، ومن الله الرسالة ، وعلى الرسول البلاغ بأنه تعالى كان ولا مكان وهو على ما كان قبل خلق المكان ، لم يتغير عما كان ، علم ما كان ، وعلم ما يكون وعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون ، من الذي أمره بين الكاف والنون؟ إله مع الله ، وحدوا الله .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى وأمينه المجتبي ورسوله المبعوث إلى كافة الورى .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله مصابيح الدجى ،
وأصحابه مفاتيح الهدى ، وسلم تسليمًا .

أما بعد :

فخير مانستهل به جمعتنا اليوم تلاوة عطرة من كتاب الله :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب
وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء
الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون
أما به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ / آل عمران : ٧ .

أيها الإخوة الكرام :

كتاب الله تعالى مشحون بالتوحيد ، وهو الدليل القاطع على وجوده
سبحانه وتعالى ، ومن لم يكن هداه من قبله تعالى لا تنفعه براهين عقله ،
لأن العقل عند الأشاعرة لا يستقل بنفسه في الدلالة على الصانع المدبر ،
وإن اتسع فهمه وتعظم علمه ، بل لا بد من معونة الله تعالى ، وإلا ضاع
سعيه ، وركب متن عمياء ، وخبط خبط عشواء ، وهوى في المهاموي المهلكة
وهو لا يشعر .

وفي كتاب مولانا عز وجل والسنة المطهرة نصوص ظاهرها فيه تناقض
ما يسمى عند العلماء بالمتشابه ، والمتشابه مالا ينبئ ظاهره عن مراده ، والتي
فيها نظر وتحتاج إلى تأويل ، وهو على ثلاثة أضرب :

١- نوع لا سبيل إلى الوقوف عليه كأوائل السور . ألم - حم

٢- ونوع يمكن للعبد معرفته كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلقة .

٣- ونوع بين الأمرين ، وهذا يختص بمعرفته بعض الراسخين في
العلم وينحفي على من دونهم .

وأما المحكم فهو الواضح الظاهر الذي لا يحتاج إلى بيان ، عُرف تأويله وفُهم معناه وتفسيره . والمتشابه : الذي يحتاج إلى بيان وتوضيح وتأويل ، والمتشابه تشابه اللفظ مع اللفظ في الظاهر ، والمعنيان مختلفان وهو مما استأثر الله تعالى بعلمه دون خلقه .

أيها الإخوة الكرام :

استعدوا اليوم فإننا مع الدرس الإيمانى الثالث عشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية ، وعنوان هذا الدرس : آيات الصفات ، فما هي هذه الآيات؟ أدعوكم أولاً لتوحيد الله تعالى .

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

على رأس هذه الآيات قوله تعالى :

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ / طه : ٥ / ، ﴿هو القاهر فوق عباده﴾ / الأنعام : ١٨ / و﴿يخافون ربهم من فوقهم﴾ / النحل : ٥٠ / ، و﴿كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ الرحمن : ٢٧ / ، ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله﴾ البقرة : ٢١٠ / ، ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ / الفجر : ٢٢ / ، ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ / الحديد : ٤ / ، ﴿أأمنتم من في السماء﴾ / الملك : ١٦ / ، ﴿وهو الله في السموات وفي الأرض﴾ ، ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ / ق : ٦ / ، ﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾ / البقرة : ١٨٦ / ، ﴿ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ / البقرة : ١١٥ / ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ / الزغرف : ٨٤ .

ومن الأحاديث التي صحت عن سيدنا رسول الله ﷺ قوله :

«ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، فيقول : من يدعوني فأستجيب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له» (ق) .

ومنها قوله ﷺ : «إن الله خلق آدم على صورته» (م) .

ومنها قوله ﷺ : « رأيت ربي في المنام في أحسن صورة » (صحيح بمجموع طرقه) .

ومنها حديث الجارية التي سألتها رسول الله ﷺ : أين الله فأشارت إلى السماء (صحيح) .

«إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها» (الآجري) إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه وإن ربه بينه وبين القبلة فلا يبرزن أحدكم قبل قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه» (خ) .
أيها الإخوة :

وهذه الآيات والأحاديث دعت بعض المشبهة والمجسمة أن يعتقدوا اعتقاداً خطيراً ابتغاء الفتنة ، فأتوا في أحاديثهم عنها بما لم يأذن به الله ، ولهم فيها كلمات خطيرة تحمل التشبيه والتنزيه والكفر والإيمان ، من مثل قولهم إن الله يشار له بالإشارة الحسية ، وإن له جهةً فوق ، وأنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقياً ، ويأتون بصفات لا تليق إلا بمخلوق .

ولأجل هذا انبرى علماء التوحيد لتبيين المراد من هذه الألفاظ الموهمة ، فلجئوا إلى التأويل لثلا يقع الناس في الإلحاد في الدين ، وعليكم أن تحفظوا هذه المسألة ما ألجأ علماء الخلف إلى التأويل إلا الضرورة الماسة ليصححوا مسار العقيدة التي وقع بها أصحاب العقول السقيمة التي شبهت الخالق بالمخلوق ، ونسوا أن مولانا عز وجل قال : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ / الشورى : ١١ / .

وهذه معناها أنه ليس بجسم ولا في حيز ، وأنه ليس متجزئاً ولا مركباً ولا محتاجاً لأحد ، ولا مفتقراً إلى مكان ، ولا زمان ، ولا حالا فيهما ، اسمع إليه يقول لنا ﴿ والله هو الغني الحميد ﴾ / فاطر : ١٥ / وقال لنا : ﴿ قل هو الله أحد ، الله الصمد ﴾ / الإخلاص : ١ / .

فقوله (أحد) يدل على نفي الشريك ، وكونه إلهاً يقتضي كونه غنياً عن كل ماسواه ، ولهذا جاءت الآية الكريمة بعدها ﴿ الله الصمد والصمد

هو السيد الغني عن كل ماسواه ، المحتاج إليه كل ماعده ، ولو كان جسماً أومختصاً بحيز أو جهة لكان محتاجاً فلا يكون صمداً على الإطلاق .

أيها الإخوة : نحن اليوم نعالج بحثاً دقيقاً هاماً في علم العقيدة . إننا حين نفتح كتاب الله ونقرأ فيه ، سوف نقرأ آيات كالتي صدرتها في حديثي إليكم ، توهم أن الله يشبه خلقه ، وآيات أخرى تنفي الشبه عنه تعالى لأحد من خلقه نحو ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ / الشورى : ١١ / ، فما هو دورنا حين نقرأ هذه النصوص التي في ظاهرها تناقض وتضاد؟ انتبهوا :

إذا ماورد نصان ظاهرهما فيه تناقض فماذا نفعل؟ ما الواجب على العبد من جهة الاعتقاد؟ ماذا نعني بقول علماء العقيدة :

وكل نصٍّ أوهم التشبيهاً أوله أو فوض ورم تنزيهاً

للجواب على ذلك أريدكم أن تملؤوا قلوبكم بتوحيد الله تعالى .

أيها الإخوة :

يجب علينا أن نجتمع بين مظاهره الجهات والتشبيه فيحمل ذلك على المجاز لتعذر الحقيقة بالمناقضة ، فإن كان العبد واسع القلب ، فسيح الصدر ، عظيم الذوق والإدراك يرد علم جميع ذلك لله تعالى ، وينزهه عن المعنى الحسي المفهوم من ظاهر الكلام ، كما كان عليه قرن الصحابة ومن تبعهم بإحسان ، وهذا المذهب هو الأسلم ، والطريق الأقوم .

وإن كان العبد ليس من فرسان هذا الميدان فليرجع إلى التأويل ، كما عليه أئمة معتبرون ، وهم من جاء بعد القرون الثلاثة أو الخمسة الأولى الهجرية ، ليفهم القاصر وليطمئن قلبه فكيف ذلك؟

إنني وقبل أن أدخل معكم في خضم هذا البحث العظيم الواسع الذي نرجو من الله أن نخرج منه جميعاً وقد امتلأت قلوبنا بالإيمان والاعتراف لمولانا بالكمال المطلق فإنني أريد أن أضع أمامكم مثلاً واحداً يوضح فكرة التأويل؟ ما هو التأويل؟

التأويل : هو حمل النص المتشابه على خلاف ظاهره المتبادر مع بيان المعنى المراد ، فهو أولاً يصرف اللفظ عن ظاهره قطعاً .

وهو ثانياً يؤوله فيبين فيه المعنى الذي يظن أنه مقصود .

ولئلا يتبادر إلى أذهانكم أن العلماء ابتدعوا أمراً في الدين لم يكن موجوداً فإنني أذكر لكم مثلاً من القرآن ، ومثلاً من السنة أثبت لكم فيه أن هناك نصوصاً لا بد من تأويلها وصرفها عن ظاهرها .

أولاً من كتاب مولانا عز وجل : قال تعالى : ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ /التوبة : ٦٧/ .

وقال : ﴿فاليوم ننسأهم كما نسأ لقاء يومهم هذا﴾ /الأعراف : ٥١/ .
وأنا أسأل : أفيجوز نسبة النسيان لله تعالى ، وهو نوع غفله تنزه الله عنها ، أليس هو الذي قال : ﴿وما كان ربك نسيا﴾ /مريم : ٦٤/ .

هنا لا بد من صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر في الذهن إلى معنى يليق بكمال الله تعالى ، ولهذا اسمعوا إلى سيدنا ابن عباس الذي دعاه رسول الله (الهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (ق) . عندما سئل عن هذه الآية ، قال :

أي تركهم في العذاب كما تركوا النظر للقاء هذا اليوم .
إذاً هذا نص لا بد من تأويله

ثانياً النص من السنة المطهرة : وهو حديث رواه الإمام مسلم في صحيحه يرفعه رسول الله إلى مولانا عز وجل بما نسميه نحن بالحديث القدسي ، إنه دليل قوي على التأويل - إن جاز لنا قول ذلك - حديث قدسي ؟ نعم ، فأعيروني أذاناً صاغية وقلوباً واعية ، يقول مولانا عز وجل (م) :

«يا ابن آدم مرضت فلم تعدني ، قال : يارب كيف أعودك وأنت رب العالمين؟! قال : أما علمت أن عبدي فلاناً مرض فلم تعده ، أما إنك لو عدته لوجدتني عنده .

أرأيتم حديثاً عظيماً في التأويل كهذا ، فقد وجه مولانا إلى عبده نصاً

متشابهاً ، يوهم أن الله تعالى يمرض ، وهو محال على الله تعالى ، وحين تلقى العبد النص على ظاهره ، أحس بأنه لا يتفق مع ما لديه من حقائق التوحيد والتنزيه ، وأن الله لا يتصف بصفات المخلوقين ، فبادر إلى السؤال التعجبي : وكيف أعودك وأنت رب العالمين؟! فأجابه مولانا :

مرض عبدي (عبدي : تشریف) فلم تعده ، أما إنك لو عدته لوجدتني عنده (أي لو وجدت ثوابي) هو من باب قوله تعالى ﴿ووجد الله عنده فوفاه حسابه﴾ /النور : ٣٩/ .

انتبهوا أيها الإخوة :

نسبة المرض إلى الله تعالى محال ، لذلك لم يقل له مولانا إن مرضي ليس كمرضك يا عبدي ، فقد قال المجسمة بذلك ، فوقعوا في التشبيه ابتغاء الفتنة .

أيها الإخوة :

بهذين المثالين يتبين لنا أن من نصوص القرآن ما لا يمكن إجراؤها على ظاهرها ، وأنا أسأل ماذا يمكن أن تقول في قوله تعالى لسيدنا موسى ﴿ولتصنع على عيني﴾ /طه : ٣٩/ ، هل يقتضي استقرار سيدنا موسى على تلك العين والتصاقه بها ، واستعلاءه عليها؟ هذا لا يقوله عاقل ، بل لا يقوله مسلم منزله لله تعالى .

أيضاً ماذا نقول في قوله تعالى لسيدنا نوح ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ /هود : ٣٧/ .

هل يقتضي أن تكون العين آلة تلك الصنعة؟

واسمعوا إلى قوله تعالى ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ /هود : ٣٧/ بأعيننا :

إن إثبات العين في الوجه الواحد لا يليق بمخلوق ، فكيف بالخالق؟

إننا نقول إنه لا بد من التأويل ، على ما يليق بصفات الله تعالى ، أي صرف النص عن ظاهره المحال في حقه تعالى ، وأن ننزله عن الانتقال وسائر

صفات الحوادث .

وإما أن نمسك عن تأويلها مع اعتقاد تنزيه الله تعالى عن صفات الحوادث لقوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ / الشورى : ١١ / ، وهذا هو التفويض والتسليم فنقول :

لا نعلم المراد بهذا ، ولكن نؤمن به مع اعتقاد أن ظاهره غير مراد وأن له معنى يليق بالله تعالى .

وكلا الفريقين من أهل السنة والجماعة ، ولهذا اسمع إلى قول الإمام الشافعي رضي الله عنه يقول :

«ثبت هذه الصفات ، وننفي عنه التشبيه كما نفاه عن نفسه فقال ﴿ليس كمثله شيء﴾ / الشورى : ١١ / .»

أيها الإخوة الكرام :

هذه التساؤلات التي أثيرتها أمامكم اليوم أدعوكم لأجيب عنها هنا في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



آيات الصفات بين التفويض والتأويل

- 14 -

الحمد لله مجلي السماء ببديع المصابيح ، ومغذي الملائكة بحلاوة التسبيح ، الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات ، ونطقت بتحميده غرائب المبدوعات ، وسبح له الخلق باختلاف اللغات .

فسبحان من لا يساويه أحد في الأرض والسموات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزاناً ، وأوضحها بياناً وأعلاها مقاماً ، وأحلاها كلاماً ، وأوفأها ذماماً ، فأوضح الطريقة ، ونصح الخليفة ، وشهر الإسلام وكسر الأصنام ، وأظهر الأحكام ، وحذر الحرام .

اللهم فصل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام ، وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام ، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فياحماتة الإسلام وحراس العقيدة .

ماذا وماهي؟

سؤالان أسألهما وأستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عنهما مع الدرس الرابع عشر من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية : ماذا يجب علينا معشر المسلمين تجاه آيات الصفات؟ ، وماهي الكليات الستة في أحاديث الصفات وآياتها؟ .

فقد وقفت معكم في الجمعة الماضية على هذا المنبر المبارك وتلوت على أسماعكم بعض آيات وأحاديث الصفات ، والتي عدها علماء التوحيد

من المتشابه ، وقلت لكم : إن علماء التوحيد بالنسبة لآيات الصفات ينقسمون إلى قسمين أهل التفويض والتسليم ، وأهل التأويل والتصريف .

وإن أهل التفويض يقولون : إننا لا نعلم المراد بهذا ، ولكن نؤمن به مع اعتقاد أن ظاهرها غير مراد ، وأن له معنى يليق بالله تعالى ، لأن ظاهرها محال في حقه فيقولون : أمروها كما جاءت .

وأما أهل التأويل فيقولون : بصرف النص عن ظاهره المحال في حقه تعالى ، وأن ننزهه عن الانتقال وسائر صفات الحوادث .

فما الذي يجب علينا نحن أمام هذين الفريقين في هذه المسألة الهامة ؟
أدع جواب هذا السؤال لحجة الإسلام سيدي الإمام الغزالي في كتابه إجماع العوام ، ولكي نتبارك بهذا الإمام فاسمعوا اسمه إنه سيدي محمد بن محمد بن محمد الغزالي ، فما أعظم هذا الاسم الذي ارتبط بسيد الوجود ﷺ يقول هذا الإمام العلم : إن الواجب على عوام الخلق تجاه آيات الصفات وأحاديثها أمور :

أولاً : التقديس : تنزيه مولانا عن الجسمية ومشابهته للحوادث .

ثانياً : التصديق : الإيمان بما ورد في الكتاب والسنة على الوجه الذي أراده الله ﷻ ورسوله ﷺ .

ثالثاً : الاعتراف بالعجز : أن يقرر بأن معرفة مراده تعالى ليس على قدر طاقته .

رابعاً : السكوت : وهو أن لا يسأل عن معناه ولا يخوض فيه ، ويعلم أن سؤاله عنه بدعة .

خامساً : الإمساك : أي لا يتصرف في تلك الألفاظ بالتصريف والتبديل بلغة أخرى أو الزيادة فيه أو النقصان منه .

سادساً : الكف : أن يكف ابداً عن التحدث به بداخله .

أیها الإخوة الكرام : هذه هی الكلیات الست التي یجب علینا تنفیذها عند قراءة هذه الآیات .

ولكي أهدم معكم آخر سور بین الإیمان و بین ضعیفی الإیمان ، ولكي تشرق شمس الحقيقة بازغة تفصح وسوسة كل شیطان ، وتحرق ضلال المجسمة والمشبهة فإنني اليوم على موعد معكم فی الحلقة الرابعة عشرة فی بحث التأویل على مذهب الخلف ، ولأجیب عن سؤال هام : كيف أول الخلف من علماء التوحید الألفاظ المتشابهة ؟
إن علماء التوحید قالوا :

«كل ماورد فی الكتاب والسنة یجب أن يفهم بضوء السیاق الذي ورد فیهِ» .

واسمحوا لی قبل أن أتابع أقوال علماء التوحید أن أشرح هذه القاعدة الهامة فی التأویل وأمثل لذلك بأمثلة موضحة :

مثلاً : قوله تعالى مخبراً عن القرآن الكريم بأنه ﴿لا یأتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه﴾ / فصلت : ٤٢ . هل المراد إثبات الیدین للقرآن ؟
إن المراد من ذلك لغة العرب التي نزل بها القرآن وهو الإخبار عن الحفظ لهذا الكتاب المبین فلا یصح أن یقال : إن للقرآن یدین ، ثم یقول : یدان تلیقان به .

مثال آخر : قوله تعالى على لسان عبده : ﴿یا حسرتا على ما فرطت فی جنب الله﴾ / الزمر : ٥٦ . لیس المراد إثبات جنب لله ، لأن المراد فی لغة العرب : إثبات أن هذا العبد فرط فی أوامر الله ونواهیه فی الدنیا ، فهو یندم ویتحسر علیها فی الآخرة .

مثال ثالث : قوله تعالى : ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما یعلم الله الذین جاهدوا منكم و یعلم الصابرين﴾ / آل عمران : ١٤٢ . (ولما یعلم) ، هل یصح هذا الإیراد أن نأخذه على ظاهره ؟ هل یصح أن نقول إن الله كان

لا يعلم؟ لا ، لأن الله قبل خلقنا يعلم كل شيء ، يعلم من الذي سيجاهد في سبيله ، ومن هم الصابرون ابتغاء مرضاته ، إذاً المعنى المراد من الآية غير ظاهرها .

إذاً كل ماورد في الكتاب والسنة يجب أن يفهم بضوء السياق الذي يرد فيه ، فليس كل ماورد يصح وصف الله به ويؤخذ على ظاهره : اليد ، القدم ، الساق ، الوجه ، الصورة ، وأشباهاها من الأعضاء ، لا يصح القول بأنها صفات لله تعالى وتذكروا معي صفة الوجدانية وأن أول شيء يجب أن نعتقه أن الله تعالى ليس مركباً من الأعضاء والأجزاء ، وهو منزّه عن الشكل والهيئة ، لأنها من صفات المخلوق ، المخلوق مركب من صورة ، اسمع إلى مولاك يقول : ﴿ في أي صورة ماشاء ركبك ﴾ / الانفطار : ٨ ، المخلوق مركب من أجزاء وأعضاء ، وأما مولانا فليس كمثله شيء ، ﴿ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ﴾ / الإخلاص : ٤ ، فليس بعد هذا البيان الأساسي بيان .

أيها الإخوة :

وصلت معكم إلى القاعدة الهامة والحكم العقائدي فأصغوا إليّ بأسماع أفهامكم ، فنقول : إن الذين يقولون :

«إن لله يداً وعيناً وجنباً وأصابع ، وقبضة وحركة وسكوناً ومجيئاً وجلوساً» ، ثم يقول : إنها حقيقة : يكون مجسماً ومشبهاً ، ولا يفيد أنه يقول بعد ذلك بلا كيف أو بلا تشبيه ، وكذا لا يفيد أنه يقول بعد ذلك : ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ / الشورى : ١١ .

وتدعيماً لهذا القول إليكم الدليل من قول إمام الأئمة في عصره سيدنا الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم يقول :

قد غلط ابن قتيبة فأجرى الحديث على ظاهره فقال : «لله تعالى صورة لا كالصور» وهذا الذي قاله ظاهر الفساد ، لأن الصورة تفيد التركيب ، وكل

مركب مُحدث ، والله تعالى ليس مُحدث ، فليس هو مركباً وليس مصوراً ،
ثم قال :

وهذا كقول المجسمة ، جسم لا كالأجسام . . . وأن لفظ الجسم والصورة
يتضمنان التأليف والتركيب وذلك دليل الحدوث .

أيها الإخوة :

لما قال المجسمة قولهم هذا قام علماء الخلف الذين يعرفون العربية
وطرقها في التعبير ، وقواعد الأصول والفروع فلدجؤوا إلى التأويل ، خشيةً على
عقائد المسلمين من الاهتزاز أو الضياع ، ولولا أن المبتدعة قاموا ببدعهم ،
وأحاطوها بالشبه والأباطيل ، لما قام هؤلاء بالتأويل .

فما هو حديث الصورة الذي سقط فيه المجسمة إلى هاوية الضلالة ،
إنه حديث رواه البخاري ومسلم ونصه : «إن الله خلق آدم على صورته» وفي
رواية «على صورة الرحمن» .

والمراد من هذا الحديث تشريف ابن آدم ، لأنه نسب صفاتهم إلى
صفات الله تعالى ، على صورته : تشريف لأنه من المحال أن تكون لله صورة
قائمة بذاته تعالى ، لذلك حضرة نبينا الأعظم عندما رأى مولانا عز وجل
في المعراج سأله ابن عباس عن هذه الرؤية فقال : «نوراً أنى أراه» (م) ، رآه
نوراً ، بلا كيف ولا انحصار .

فالمعنى المراد في التأويل : خلق آدم على صورته ، على صفاته ، الصورة
هي الصفة ، فكما أن لمولانا سمعاً وبصراً وعلماً وحياةً ، فكذلك لبني آدم ،
وليس في الكائنات أحد له المظهر الكامل لتلك الصفات إلا الإنسان .

لكن يجب علينا التمييز بأن صفاته تعالى قديمة وصفة الإنسان حادثة .
وكذلك نقول عن الآيات والأحاديث التي فيها ألفاظ المجيء
والإتيان : «وجاء ربك ، ينزل ربنا ، يأتيهم الله» . ألفاظ يجب أن تفهم من
سياق الكلام ، وأنا أسألكم اليوم ماذا نقول بقوله تعالى :

﴿قل أرأيتم إن أتاكم عذاب الله ، أو أتتكم الساعة﴾ / الأنعام : ٤٠ / ، هل تستطيعون أن تقولوا لي كيف تأتي الساعة أو العذاب بدون رجلين أو جسم ، وقوله تعالى : ﴿فإذا جاء أجلهم﴾ / يونس : ٤٩ / ، وقوله ﴿فإذا جاء الخوف﴾ / الأحزاب : ١٩ / .

الإتيان والجمي : جاء أمره وتدبيره ، ﴿يأتيهم الله﴾ : أولت برؤيتهم إياه بعد أن غاب عنهم . النزول : نزل أمره أو نزل الملك بأمره .

وقوله ﷺ : «قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقبلها كيف شاء» وقوله تعالى : ﴿ويبقى وجه ربك﴾ / الرحمن : ٢٧ / وقوله : ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ / الفتح : ١٠ / .

هذه كلها ظاهرها جوارح ، الأصابع جارحة ، الوجه جارحة ، اليد جارحة ، والله منزّه عنها ، لذلك أولت اليد بالقدرة «والذي نفسي بيده» : بقدرته ، «لما خلقت بيدي» : بقدرتي وإرادتي . «بين اصبعين» : بين صفتين من صفات الرحمن هما صفتا القدرة والإرادة ، وهذا يعني أن مولانا متحكم بالقلوب ، فاللهم ثبت قلوبنا على ذلك .

وهكذا كل حديث يحتمل صفات الحوادث ننزه مولانا عنه ، وهناك حديث عظيم عن سيدنا رسول الله ﷺ يقول فيه :

«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله» (ق) ، والظل منزّه مولانا عنه لأن للحوادث ظلاً ، فظلّه هنا : أي في كنفه وتحت رعايته ، كما قال لسيدنا موسى ﴿ولتصنع على عيني﴾ / : / ، أي تربية ملحوظة بعناية الله وجميل رعايته ، فالعين : أي الحفظ والتربية والرعاية .

أيها الإخوة الكرام

وقبل أن أفارق هذا المنبر الشريف أختم هذا الملف بقوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ / طه : ٥ / هذه الآية التي بدأنا فيها هذا

الملف ، فإن ظاهر الاستواء على العرش (بمعنى الجلوس مع التمكن والتحيز والاستقرار) محال في حقه تعالى ، والاستواء له ثلاث معان :

١- الجلوس وهذا محال على الله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ / الشورى : ١١ /

٢- القدرة أي ملكنا وقدرنا ، أو علا وارتفع ، وقد قال لنا ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ / طه : ٥ / ، أي استوت رحمانيته ، من قوله تعالى ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ / الأعراف : ١٥٦ .

أو هو الاستيلاء بالقهر والغلبة ، وهذا يقال به لإفهام من لا فهم له ، أي عند الضرورة .

وقد سئلت السيدة أم سلمة رضي الله عنها عن هذه الآية فقالت : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر .

إن القول بأن مولانا جالس على العرش أو كائن في السماء قول باطل وعقيدة فاسدة ، إنه يعني : أن مولانا يحتاج إلى مكان ، يحل في مكان ، بينما أهل التوحيد يقررون بأنه إله قديم مستغن عن كل ماسواه ، كان قبل خلق المكان والجهة ، وقد جاء رجل (خ) إلى سيدنا رسول الله فسأله : أخبرنا عن أول هذا الأمر؟

فقال ﷺ : «كان الله ولم يكن شيء غيره» .

وجاء رجل إلى جدي سيدنا علي فسأله : «أين كان الله قبل خلق السموات والأرض؟

فقال : «أين» سؤال عن المكان ، وكان الله ولا مكان ، وهو اليوم على ماكان» واسمع معي إلى قول ابن عباس يقول :

ماالسموات السبع والأرضون السبع ومابينهن في يد الرحمن إلا

كنخردلة في يد أحدكم» ، ورضي الله عن الإمام الغزالي الذي لخص لنا هذه المواقف فقال :

قل لمن يفهم عني ما أقول	قصر القول فذا شرح يطول
ثم سر غامض من دونه	قصرته والله أعناق الفحول
أنت لا تعرف إياك ولا	تدري من أنت ولا كيف الوصول
أنت لا تدري صفات ركبته	فيك حارت في خفاياها العقول
أين تسكن الروح في جوهرها	هل تراها فترى كيف تجول
وكذا الأنفاس هل تحصرها	لا ولا تدري متى عنك تزول
أين منك العقل والفهم إذا	غلب النوم فقل لي يا جهول
أنت أكل الخبز لا تعرفه	كيف يجري فيك أم كيف تبول
فإذا كانت طواياك التي	بين جنبيك كذا فيها ضلول
كيف تدري من على العرش استوى	لا تقل كيف استوى كيف النزول
كيف يحكي الرب أم كيف يرى	فلعمري ليس ذا إلا فضول
فهو لا أين ولا كيف له	وهو رب الكيف والكيف يحول
وهو فوق الفوق لا فوق له	وهو في كل النواحي لا يزول

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

* * *

A decorative border made of stylized floral and leaf motifs, forming a rectangular frame around the central text.

الركن الإيمانى الثانى

باب
الفتوات

مقدمة في النبوات

15 -

الحمد لله الذي فتح أقفال هذا العالم بمفتاح ظهور سيد السادات ،
وجعل أمته وسطا وفضلها على سائر الأمم في العبادات .

فسبحان من فضل بعض النبيين على بعض ، ورفع بعضهم فوق
بعض درجات ، فأعطى آدم الصفوة ، وإبراهيم الخُلة ، وموسى تسع آيات
بينات ، وبعث عيسى بإبراء الأكمه والأبرص وإحياء الأموات ، واتخذ
سيدنا محمداً حبيباً وشفيعاً ورفعاه إلى ما فوق سبع سموات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله تنزه عن الوزير
والنظير والمشير في سائر الحالات .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أزاح بنور وجوده ظلم
الجهالات .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الذين
لم تأخذهم لومة لائم في سائر الأوقات ، وسلم تسليماً .

أما بعد - فيا أيها الإخوة

حينما أكرمنا الله تعالى بفتح ملف العقيدة ، تذكرون بأننا قسمنا علم
التوحيد إلى ثلاثة أقسام : ١- إلهيات ٢- نبويات ٣- سمعيات .

وكلها مستمدة من الشهادتين : (أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن
سيدنا محمداً رسول الله) .

وقد بقينا على مدار أربع عشرة حلقة حول الإلهيات ، سائرين كلمة فكلمة ، وبيتاً فبيتاً مع منظومة العلامة الشيخ عبد المجيد الشرنوبى ، وبدأ الناظم بعد الإلهيات بالحديث عن النبويات فقال رحمه الله تعالى :

وواجب لرسوله الأمانة والصدق والتبليغ والفطنة

ومستحيل ضدها فلتعلم وجائز كالأكل في حقهم

لكنني وقبل أن أستعرض معكم ملف النبويات اسمحوالى أن أقف معكم هنيهة حول مدى حاجة البشر إلى الأنبياء والرسل الكرام ، وما الفرق بين النبي والرسول .

وفي بداية ملف النبويات علينا أولاً أن نرفع التحية لجميع الأنبياء والرسل الكرام بأن نصلي عليهم من قلوبنا ، ثم علينا أن نرفع التحية بشكل خاص لأولي العزم من الرسل سيدنا نوح وسيدنا إبراهيم وسيدنا موسى وسيدنا عيسى ، ثم نرفع التحية لسيد الأنبياء ، وخاتم رسل الله الكرام سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد :

خُصَّ خَيْرُ الْخَلْقِ أَنْ قَدْ تَمَّما بِهِ الْجَمِيعَ رَبُّنا وَعَمَّما

بعثته فشرعه لا ينسخُ بغيره حتى الزمانُ ينسخُ

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم

مولاي صل وسلم دائماً أبداً على حبيبك خير الخلق كلهم

وارفعوا أكفكم إلى الله تعالى وقولوا :

اللهم أكرمنا بإتمام ملف النبويات والتوحيد بجاه هؤلاء الأنبياء ، وجاه سيدهم سيدنا محمد ﷺ ، وأن يتجلى علينا بالفهم والقبول والاعتقاد الصحيح الذي يرضى به عنا مولانا عز وجل .

أيها الإخوة :

إننا مع الحلقة الخامسة عشرة من ملف التوحيد ، أنقلها لكم على الموجات الإيمانية من جامع الدرويشية ، فماهي النبوة؟

النبوة لغةً : ما ارتفع من الأرض ، يقال نبا الشيء إذا ارتفع ، فالأنبياء قوم رفعهم مولانا على سائر الخلق والبشر .

والنبي : عبد اصطفاه مولانا عز وجل من بين عباده بالوحي إليه ، فإذا كان النبي رسولاً فإنه يكلف أن يبلغ شريعة للناس ، فالرسول هو النبي المكلف من قبل الله بتبليغ شريعته لخلق ، ولهذا اسمعوا إلى مولانا عز وجل يقول : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ، ذريةً بعضها من بعض والله سميع عليم﴾ / آل عمران : ٣٣-٣٤ .

اصطفى : اختار واجتبي ، ولأجل ذلك يقول علماء التوحيد : إن النبوة لا تكتسب اكتساباً ، ولا تنال بالدراسة والدكتوراة والبحث ، ولا بالوجاهة والزعامة ، بل هي عطاء إلهي وإكرام رباني من مولانا الذي يقول لسيدنا موسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام :

﴿ياموسى إنني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ / الأعراف : ١٤٤ .

ولم تكن نبوة مكتسبة ولورقى في الخير أعلى عقبه
بل ذاك فضل الله يؤتيه لمن شاء جل الله واهب المنن
ولماذا الرسل للناس وهو على جمعهم إذا يشاء قدير؟ .

فلماذا الرسل ، ومولانا يقول : ﴿ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة﴾ / الشورى : ٨/؟

وقبل أن أجيب عن هذا السؤال ، اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد من على سفينة في البحر ، إذ ركب فريق من طلاب إحدى الجامعات في سفينة ابتغاء النهضة في البحر ، وكان الملاح المجدف أمياً ، فجعلوا يسخرون منه طيلة الرحلة ، قال له أحدهم : ياعم! ماذا درست من العلوم؟

أجابه : لا شيء يا عزيزي ، قال : أما درست العلوم الطبيعية؟ أجابه : لا ، ولا سمعت بها .

فقال له آخر: لكنك لا بد درست الجبر والهندسة؟ فأجابه: صدق أني لأول مرة أسمع بهذه الأسماء. ودار الحديث بين ضحكات صاحبة، وغمز ولز وإشارات مستهزئة، ثم قال له أحدهم: كم عمرك يا عم؟

قال: أنا في الأربعين من عمري، قالوا: لقد ضيعت نصف عمرك يا عمنا، وسكت الملاح على مضض، وهاج البحر وماج، وارتفعت الأمواج، وأخذت السفينة تتراقص كريشة، وكانت أول تجربة للطلاب في البحر، فقال لهم الملاح:

- يا شباب ماهي العلوم التي درستموها؟ وشاروا في الرد عليه، ثم أخذوا يسردون له ماتعلموه، والملاح يتسم حتى أفرغوا ما بجعبتهم، ثم سألهم سؤالاً واحداً:

- هل درستم علم السباحة، وهل تعرفون إذا انقلبت السفينة كيف تصلون إلى شاطئ الأمان؟ فقالوا جميعاً: لا. فقال الملاح:

- إذا كنت قد ضيعت نصف عمري، فقد ضيعتم عمركم كله، فكل ماتعلمتموه لن ينجدكم من هذه الأمواج.

أيها الإخوة الكرام:

إن الطب بدون الدين، والهندسة بدون الدين، والعلوم كلها بدون الدين لن تنفع صاحبها يوم القيامة، فمن الذي يعلمنا الدين، من هو الهادي إلى صراط الله المستقيم.

إنهم الرسل والأنبياء، هم الذين بينوا لنا أوامر الله ونواهيه، وطرق الحلال والحرام، ولهذا اختار مولانا طائفة من البشر اصطفاهم لحمل رسالاته للناس، وكم لهم بالكمال الإنساني، وعصمهم عن المعاصي والذنوب، والاحرفات في السلوك، وجانبهم عن الخطأ وأيدهم بتأييد من عنده بالمعجزات، ولولا ذلك - لو لم يرسل الله الرسل - لكان للناس على الله حجة بأنه لم يرسل لهم من يبلغهم أوامر الله ونواهيه، وسائر شرائعه لخلقه، اسمع إلى مولاي يقول:

﴿رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ /النساء : ١٦٥ . و﴿ولو أنا أهلكناهم بعد اب من قبله لقالوا : ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نذل ونخزى﴾ /طه : ١٣٤ .

رسلاً مبشرين ومنذرين ، رسلاً ، يعني يجب علينا الإيمان بجميع الأنبياء والرسل دون تفرق بينهم فأنت مأمور من لدن مولانا بالإيمان بهم فهو الذي أمرنا فقال :

﴿قولوا آمنا بالله ، وما أنزل إلينا ، وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ /البقرة : ١٣٦ .

أسمعتم : لا نفرق بين أحد منهم ، فإذا آمن العبد ببعض الرسل ولم يؤمن ببعضهم الآخر ، وفرق بينهم في الإيمان فهو كافر :

﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً أولئك هم الكافرون حقا﴾ /النساء : ١٥٠ - ١٥١ .

أيها الإخوة :

من محاسن الصدف ما حدث في عهد بعض الأمراء فقد اجتمع بحضرته أحد علماء المسلمين ، مع أحد رؤساء اليهود ، مع أحد أساقفة النصراني ، فقال لهم :

أريد من كل منكم أن يثبت لي أنه سوف يدخل الجنة ، فالتفت الحاخام اليهودي وقال : ليقبل الأسقف أولاً ، وقال الأسقف : ليقبل عالم المسلمين أولاً .

فقال هذا العالم العلامة :

إن اليهود يدعون أنهم سيدخلون الجنة وهم لا يؤمنون بعيسى

ومحمد ، وأن الأسقف يدعي أنه سيدخل الجنة دوننا معشر المسلمين وهو لا يؤمن بمحمد رسولاً ، أما نحن معشر المسلمين فلا شك أننا سندخلها لأننا نؤمن بموسى وعيسى ومحمد ﷺ فبهت الذي كفر .

أيها الإخوة إن هذه الآية : ﴿رسلاً مبشرين ومنذرين﴾ / النساء : ١٦٥ / تعني أنهم يرسلون بلسان أقوامهم ، من الأمة نفسها ، من بني البشر ، ويتعرضون لما يتعرض له غيرهم من البشر من الصحة والمرض والقوة والضعف ، واللذة والألم ، بشر ، الرسل بشر ، لا يملكون ضرراً ولا نفعاً ، ولا يعلمون الغيب إلا بالقدر الذي يريد الله تعالى .

اسمعوا إلى مولانا عز وجل يخبرنا عن ذلك كله :

﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالاً نوحى إليهم﴾ / الأنبياء : ٧ / .

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق﴾ / الفرقان : ٢٠ / . ﴿ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية﴾ / الرعد : ٣٨ / . ﴿وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ، فاستجبنا له﴾ / الأنبياء : ٨٣ / . ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ / آل عمران : ١٤٤ / . ﴿قل لا أملك لنفسي نفعا ولا ضرراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ / الأعراف : ١٨٨ / .

أيها الإخوة الكرام :

إننا نستطيع أن نقول : إنه لا بد لكل أمة من مصلح مثالي تتوافر فيه صفات القدوة الحسنة والعصمة عن الخطأ في المبادئ والعلوم التي يهدي إليها ، والعصمة عن الخطأ في الأعمال والأخلاق التي يرشد إليها ويأمر بها ، ولا يمكن أن تتوفر هذه الصفات إلا في الرسول المعصوم المؤيد من الله تعالى .

وقد ظهر في البشر عباقرة ، ولكن العبقريّة تكون من ناحية واحدة من جوانب حياة العبقري ، وباقي حياته سقطات ، ومثل هذا لا يصح أن يقتدى به في كل شيء ، ويكون المثل الأعلى للناس .

وسمعنا وشاهدنا أساتذة في الجامعات ودكاترة علماء ولكنهم لم يصلوا إلى مستوى الأئمة المجتهدين فكيف بدرجة النبوة والرسالة ، ولهذا ليس كل إنسان يدعي النبوة أو الولاية نسلم له دعواه تلك ، بل لا بد أن يكون متصفاً بصفات القيادة والأمانة والعصمة من الضلال والأوهام والأخطاء ، مبرأً من كل طمع ومساومة وربح مادي ، لا تتغلب عليه الشهوات ومع ذلك لا يكفي ليكون نبياً ، وإليك ، هذا المثل الذي ضربته الملائكة لبيان مدى حاجتنا إلى الرسل :

فقد جاءت كوكبة من الملائكة إلى سيدنا رسول الله ﷺ وهو نائم ، فقال بعضهم : نائم ، وقال بعضهم إن العين نائمة والقلب يقظان ، فقالوا : «مَثْلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً ، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدِبَةً ، وَبَعَثَ دَاعِياً ، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ ، وَأَكَلَ مِنَ الْمَأْدِبَةِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ الْمَأْدِبَةِ .

فقالوا : أولها له يفقهها ، فقالوا :

الدار الجنة ، والداعي محمد ، فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله ، ومن عصى محمداً فقد عصى الله » (خ) .

الداعي سيدنا محمد ﷺ يدعو للتوحيد والعبادة والأخلاق والمعاملات ، لذلك شخصية الرسول شخصية غير عادية ، فذة ، مصونة بالعصمة الربانية ومتصفة بالكمال الإنساني ، ولهذا عندما دعا سيدنا محمد صديقه أبا بكر الصديق إلى الإسلام ، وكان قد عرف عنه شخصيته المثالية المؤهلة لأن يصطفيه الله ﷻ برسالاته وبكلامه ، لما دعاه قال له سيدنا أبو بكر : مد يدك فأنا أشهد أنك رسول الله .

أنا أشهد أنك رسول الله ، يعرفه حق المعرفة : صادق ، أمين ، رؤوف ، رحيم ، كريم الأخلاق ، بل اسمعوا معي إلى ملك عمان الجلندي ، حينما دعاه رسول الله ﷺ إلى الإسلام ، أتعرفون ماذا قال ؟ .

قال : والله لقد دلني على هذا النبي الأمي أنه لا يأمر بخير إلا كان أول أخذ به ، ولا ينهى عن شيء إلا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر ، ويغلب فلا يضجر ، وفيه بالعهد ، وينجز الوعود ، فأشهد أنه نبي .

وحينما حمل سيدنا جعفر بن أبي طالب ابن عم سيدنا رسول الله ﷺ كتاباً إلى النجاشي ، (ملك الحبشة) وكان نصرانياً ، يدعو فيه إلى الإسلام ، لم يتأخر النجاشي عن الكتابة لسيدنا رسول الله ﷺ قال فيه : فأشهد أنك رسول الله ﷺ صادقاً مصداً ، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك ، وأسلمت على يديه لله رب العالمين .

فلنعلن جميعاً اليوم إسلامنا ، أسمعوني تحديكم لشياطين الإنس والجن ، أعلنوها من قلوبكم ، جددوا إيمانكم ، ارفعوا أصواتكم ، أشهدوا جدران المسجد على توحيدكم :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير .

لا إله إلا الله محمد رسول الله .

لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده لا شيء قبله ولا شيء بعده .

لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون .

لا إله إلا الله محمد عبده ورسوله

لا إله إلا الله عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه .

لا إله إلا الله محمد رسول الله ، الجنة حق والنار حق .

هذه هي مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يبقى موحداً لله تعالى .

العلماء الجليلون

في

شرحنا لكتابنا والرسالة

- 16 -

الحمد لله المبدئ المعيد ، الغني الحميد ، ذي العفو الواسع والعقاب الشديد ، من هداه فهو السعيد ، ومن أضله فهو الطريد البعيد ، ومن أرشده إلى سبيل النجاة ووفقه فهو الرشيد كل الرشيد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ذو العرش المجيد .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله أشرف من أظلت السماء وأقلت البيد .

نبي أتانا بعد يأس وفترة من الرسل والأوثان في الأرض تعبداً فحذرنا ناراً وبشّر جنّة وعلمنا الإسلام فالله نحمد
تعاليت رب العرش عن قول جاحد فيا ك نستهدي وإياك نعبد
وشق له من اسمه ليجلّله فذو العرش محمود وهذا محمد
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أولي المعونة
على الطاعة والتأييد ، صلاة دائمة في كل حين تنمو وتزيد ، وسلم تسليمًا .

أما بعد :

فقد أوجب الله على كل مسلم أن يؤمن بجميع رسل الله دون
تفريق ، وبين مولانا أن هذا هو إيمان المؤمنين فقال سبحانه :

﴿أمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ /البقرة: ٢٨٥ .
وأخبر مولانا أن البر والخير في هذا الإيمان فقال عز من قائل : ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ /البقرة: ١٧٧ .

وهؤلاء الرسل والأنبياء أرسلهم مولانا إلى الأمم في جميع العصور المتطاولة ، فلم تخل أمة من رسول يدعوها إلى الله ، ويرشدها إلى الحق ، اسمع إلى مولانا عز وجل يقول :

﴿تالله لقد أرسلنا إلى أمم من قبلك﴾ /النحل: ٦٣ . و﴿إن من أمة إلا خلا فيها نذير﴾ /فاطر: ٢٤ . ﴿ولكل أمة رسول﴾ ، ﴿ولكل قوم هاد﴾ وكلهم دعوتهم واحدة ، يدعون إلى عبادة الله وحده وإقامة دينه في الأرض :
﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ /الأنبياء: ٢٥ .

﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك ، وما وصينا به إبراهيم موسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾ /الشورى: ١٣ .

ولذلك هم أسوتنا وقدوتنا فإذا كان مولانا قال عن نبيه ومصطفاه ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾ /الأحزاب: ٢١ . فإن هذه الأسوة ثابتة للرسل جميعاً ﴿لقد كان لكم فيهم أسوة حسنة﴾ /الممتحنة: ٦ .

وإذا كان في اتباع الأنبياء (من يدعون الانتساب إلى واحد منهم) من يطعن على غير نبيه ، فإن الاسلام أوجب علينا معشر المسلمين تعظيم الأنبياء والرسل جميعاً ، فمن أساء القول في واحد منهم أو طعن عليه خالف طريق الاسلام ، فالمسلم يحب سيدنا موسى وعيسى كما يحب سيدنا محمداً ﷺ ويكبرهما ويكبرهما إكبار سيدنا محمد ﷺ وإجلاله .

واليهودي الذي دخل النصرانية لما جاء بها السيد المسيح لم يخسر

موسى ، ولكنه ربح معه عيسى ، والنصراني الذي يدخل اليوم في الإسلام لا يخسر سيدنا عيسى وموسى ولكنه يربح معهما سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عليهم أجمعين . اسمع معي إلى سيدنا رسول الله ﷺ وهو يقول : «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وأدرك النبي ﷺ فأمن به واتبعه وصدقه فله أجران» رواه مسلم .

أيها الإخوة الكرام

إننا مع الحلقة السادسة عشرة من ملف النبوات الذي يقسم أيضاً إلى ثلاثة أقسام :

واجبات ، ومستحيلات ، وجائزات ، صفات واجبات في حقهم ، وصفات مستحيلات في حقهم ، وصفات يجوز أن يتصفوا بها .

وحديثنا اليوم عن الواجبات في حقهم عليهم الصلاة والسلام ، يقول ناظم العقيدة الشرنوبية :

وواجبٌ لرسوله الأمانةُ والصدقُ والتبليغُ والفظانةُ

ومستحيلٌ ضدها فلتعلم وجائزٌ كالأكل في حقهم

فالواجبات في حقهم عليهم الصلاة والسلام أربعة : الصدق والأمانة والتبليغ والفظانة .

ونحن اليوم مع الواجب الأول في حقهم : وهو الأمانة .

وأعني بالأمانة : العصمة والوقاية ، العصمة ملكة يخلقها الله في عبده المصطفى المجتبي تحمله على فعل الخير ، وتمنعه عن فعل الشر ، دون أن يفقد اختياره ، وهذا معناه : «حفظ ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ، ولو نهى كراهة أو خلاف الأولى» وكل نبي يبعث يؤكد في أمته أمانته وإخلاصه ، فسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام قال لقومه : ﴿إني لكم رسول أمين﴾ / الشعراء : ١٠٧ . وسيدنا هود وصالح ولوط وشعيب ، كل واحد منهم قال لقومه : ﴿إني لكم رسول أمين﴾ / الشعراء : ١٢٥ - ١٦٢ .

فالأمانة الركن الأساسي في مفهوم النبوة والرسالة ، ولهذا شاء الله تعالى أن يتصف بها الحبيب الأعظم قبل البعثة ، وألهم أهل مكة أن يلقبوه : (بالصادق الأمين) .

والعصمة للأنبياء والرسل يخلقها الله تعالى بهم منذ الولادة ، يعني الأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها ، فلا يصدر منهم ذنب ، لأنهم منزهون عن الصفات التي تزرى بفاعلها ، وتحط منزلته وتسقط مروءته ، وكذلك منزهون عما يوجب النفور منهم قبل النبوة كفجور الأمهات ، والصفات الدالة على الخسة ، إننا نقول بيقين : إن الله صان أنبياءه عن أن يكونوا أولاداً غير شرعيين هم وأصولهم ، بل يبعثهم الله في حسب قومهم ، لهذا اسمع إلى النسابة ابن الكلبي يقول :

« كتبت لرسول الله خمسمئة أم لم أجد واحدة منهن ولدت من سفاح أو زنى » .

وأنا أسأل سؤالاً : لماذا العصمة للأنبياء ، وما السر في وجوبها لهم ؟ لماذا يجب أن يكون الأنبياء والرسل معصومين من الصفات والكبائر والمكروهات ؟

وقبل أن أجيب عن هذا السؤال الهام ، أدعكم أولاً لتصلوا على الحبيب الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام .

إن الأنبياء تجب لهم صفة العصمة لأنهم قادة ، لأنهم أسوة وقدوة ، متبعون ، نحن مأمورون باتباعهم والافتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم من غير تفصيل أو مناقشة ، ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ﴾ / آل عمران : ٣١ . والاتباع لا يصح أن يكون بحرم ولا بمكروه ولا بخلاف الأولى ، ولهذا فإن مولانا مدح أنبياءه بما لا يدع مجالاً للشك بأن أنبياء الله يستحيل عليهم فعل المعاصي ، اسمعه يخبرنا عن أنبيائه ورسله الكرام :

﴿ إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ﴾ / الأنبياء : ٩٠ . ﴿ وإنهم

عندنا لمن المصطفين الأختيار ﴿ /ص : ٤٧ / . ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار﴾ /ص : ٣٦ / . وقال لسيدنا إبراهيم : ﴿إني جاعلك للناس إماماً﴾ /البقرة : ١٢٤ / . وأخبر عنه فقال : ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً﴾ /مريم : ٤١ / . وقال عن غيره إنه اصطفاه لنفسه :

﴿ثم جئت على قدر ياموسى واصطنعتك لنفسى﴾ /طه : ٤١ / .

﴿وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني﴾ /طه : ٣٩ / .

وقال لنبيه ورسوله : ﴿واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا﴾ /الطور : ٨٨ / .

هذه العناية الإلهية بأنبيائه ورسله الكرام بلغت الغاية من السمو الروحي والصلة بالله تعالى : ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله﴾ ورفع بعضهم درجات ، وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ﴿ /البقرة : ٢٥٣ / .

وهكذا - أيها الإخوة :

نجد هذه الأدلة الكثيرة الواردة في كتاب الله تصفي عليهم الطهر والنزاهة والقداسة مما يجعلهم نموذجاً حياً للكمال الإنساني والقدوة الحسنة : ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ /الأنعام : ٩٠ / .

ولهذا نقول :

كل ماورد في القرآن الكريم مما يوهم ظاهره بأنهم ارتكبوا مايتنافى مع عصمتهم فهو ليس على ظاهره ، وعلى رأسهم أبو البشر سيدنا آدم ، فإن مولانا يقول :

﴿وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ /طه : ١٢٢ / .

فظاهر هذه الآية الكريمة أن سيدنا آدم عصي ربه وغوى بمخالفته أمر الله ، واستجابته لدعوة الشيطان ، وأن ذلك كان زلة وقع فيها :

﴿فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه﴾ /البقرة : ٣٦ / .

هذا أولاً ،

وثانياً : نقل أهل التفسير وأهل التوحيد في تفسير القرآن الكريم :
أن مولانا نهى سيدنا آدم عن الأكل من شجرة القمح فقال لهما :
﴿ولا تقربا هذه الشجرة﴾ / البقرة : ٣٥ .

فظن سيدنا آدم شجرة بعينها (هذه الشجرة) فتركها وأكل من جنسها ،
ولهذا عد مولانا عمله ذلك عصياناً نظراً لمقام آدم الذي خلقه الله بيده ،
ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته وأسكنه جنته ، وعلمه الأسماء
كلها ، ونبي هذا شأنه يجب أن يكون يقظاً كأقوى ماتكون اليقظة بحيث لا
ينسى وصاية الله له وعهده إليه ، وهذا كما قال علماء التوحيد من باب :
«حسنت الأبرار سيئات المقربين» (من كلام أبي سعيد الخزاز) .

أيها الإخوة :

وأورد لكم مثلاً ثانياً عن سيدنا يوسف ، فإن الآيات التي نزلت في
شأنه تدل دلالة قاطعة علي أنه لم يهم بفاحشة ، والله تعالى يقول في
كتابه : ﴿ولقد هممت به ، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ / يوسف : ٢٤ .
فأما امرأة العزيز فقد همت به لا شك في ذلك ، أما سيدنا يوسف فلم
يوجد في نفسه الهم لماذا؟ لشيئين :

الأول من ناحية اللغة : لولا حرف امتناع لوجود ، (لولا المطر لمات
الزرع) ، امتنع موت الزرع لوجود المطر ، وهنا ﴿وهم بها لولا أن رأى برهان
ربه﴾ / : / ، امتنع الهم لوجود العصمة (برهان ربه) .

الثاني : لوجود العصمة عن المعاصي ، فلولا وجود العصمة الإلهية لهم
بها .

لذلك لما راودته امرأة العزيز عن نفسه ، وغلقت الأبواب ودعته إلى
نفسها اسمعوا إلى جواب المعصوم الأبوي :

﴿قال : معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون﴾ /
يوسف : ٢٣ .

إن المعصوم عن المعاصي لا يهمل بالمعصية بل ولا بالمكروه ، ولا بخلاف الأولى ، لأن الله تعالى صانه ورباه وكرمه ، واسمعوا إلى شهادات البراءة التي قدمها مولانا عن عصمة نبيه ورسوله سيدنا يوسف قبل بعثته ، إن مولانا يقول عنه :

﴿ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ / يوسف : ٢٢ .

واسمعوا إلى شهادة البراءة الثالثة ، يقول عز وجل :

﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ / يوسف : ٢٤ .

إن من كان مخلصاً لله لا يمكن أن تتوجه نفسه مجرد توجه أو تفكر إلى سوء أو إلى فحش لا في قول ولا في عمل .

الشهادة الرابعة : قالت امرأة العزيز لصديقاتها :

﴿قالت : فذلكن الذي لمتني فيه ولقد راودتُه عن نفسه فاستعصم﴾ يوسف : ٣٢ / ، امتنع وأبى لوجود العصمة والحماية الإلهية .

واسمعوا إلى شهادة البراءة الخامسة : قال الملك لامرأة العزيز ولصديقاتها وقد جمعهن :

﴿قال ماخطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء ، قالت امرأة العزيز : الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ / يوسف : ٥١ .

أيها الإخوة :

علينا أن نعتقد الكمال البشري في الأنبياء والرسل ولنا وقفة - بإذن الله تعالى - مع كل نبي ورسول بعثه الله تعالى بعد شهر رمضان بإذن الله تعالى . فالأنبياء معصومون قبل النبوة وبعدها ، واسمع معي إلى سيد الخلق وحبيب الحق (صلوا عليه) ماذا جرى له قبل النبوة ، فقد كان لقريش صنم

تعظمه وتعتكف عليه يوماً إلى الليل كل سنة ، وكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه ، فيأبى الحبيب الأعظم ذلك حتى يغضب عليه أبو طالب هو وعماته ويقتلن له :

- إنا لنخاف عليك مما تصنع من اجتناب الهتنا .

ويقتلن : ماتريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً .

فلا يزالون به حتى ذهب ، فغاب عنهم ماشاء الله ، ثم رجع مرعوباً فزعاً ، فقتلن له : مادهاك؟

قال : إني أخشى أن يكون بي لم .

فقتلن : ماكان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير مافيك ، فما الذي رأيت؟

قال : إني كلما دنوت من صنم منها تمثل لي رجل أبيض طويل يصيح بي : - وراءك يا محمد لا تمسه .

أليست هذه هي العصمة ، أسمعوني الصلاة على الحبيب الأعظم .

قيل له مرة : يارسول الله هل عبدت وثناً قط؟ قال : لا ، قالوا : هل شربت خمرأ قط ، قال : لا ، ومازلت أعرف أن الذي هم عليه كفر .

هذه هي الأمانة وهذه هي العصمة :

فصلوا على الهادي البشير المنذر

صلوا على أهل الكمال المسفر

هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



الصفات الواجبة في حق الأنبياء والرسل الصدق والفظانة - 17 -

الحمد لله الذي تفرد بكل كمال ، وتفضل على عباده بجزيل النوال ،
بيده الخير كله فله الحمد في كل حال ، أحمدته سبحانه وتعالى على ما منح
من النعماء ، وأشكره في البكور والآصال .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تَقَدَّسَ عن الأشباه
والأمثال . وجَلَّ عن صفات الحوادث من الفناء والزوال ، والتحول والانتقال ،
جواد لا يبخل ، غني لا يفتقر ، كريم يبتدئ بالإحسان قبل السؤال

يا حي يا قيوم أنت المرتجى وإلى علاك علا الجبين الساجد
يا من له عنت الوجوه بأسرها رهباً وله جميع الكائنات توحد
أنت الإله الواحد الحق الذي كل القلوب له تقر وتشهد
سبحانك اللهم أنت الواحد كل الوجود على وجودك شاهد
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المنعوت بالخلق العظيم
وشرف الخلال .

اللهم فصل وبارك وعظم وسلّم على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وأصحابه خيرٍ صحبٍ وخيرٍ آلٍ ، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فاستعدوا اليوم لزيارة أربعة من الأنبياء المرسلين من أولى

العزم من الرسل ، وقبل أن أبدأ معكم هذه الزيارة المباركة ، اسمحوا لي أن أذيع عليكم هذا النبأ الذي أعلنه الناطق الرسمي لعقيدة التوحيد :

«إن الرسول عبد اصطفاه مولانا عز وجل بالوحي إليه ، وأنه مبلغ عن الله تعالى على علوم شريعته وأحكامه لخلقه ، وأنه حمل مهمة الدعوة إلى الله تعالى وإلى الأعمال الصالحة بالأسلوب الحكيم ، وأنه القدوة الحسنة الذي يؤتسى به في عمله وفي أخلاقه ويهتدى بهديه ، وأنه مطاع بإذن الله متبع بأمر الله ، وأنه قائد أمته ومدير أمور سياستها الدينية والدنيوية» .

أيها الإخوة :

إننا مع الدرس السابع عشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية أستعرض على حضراتكم صفتين واجبتين في حق الأنبياء والرسل وهما الصدق والفتانة . وقبل ذلك نرفع عالياً شعار التوحيد :

لا إله إلا الله محمد رسول الله .

أيها الأخوة : إن قائد أمة مثل الرسول يجب أن يكون فظناً يقظاً ذكياً راجح العقل سليم الذوق ، حكيماً يعالج أمور أمته ويقودها وفق طبائعها وأخلاقها ، يبطل حجج الخصوم ويدحض دعاوي المجادلين الذين يجادلونه في أمر الشريعة ، وقد ذكر لنا مولانا عز وجل في كتابه القديم موافقاً لرسل الله مع أقوامهم تدل دلالة قاطعة على مدى فتانة هؤلاء الرسل ، واسمعوا معي هذا الموقف الذي ذكره مولانا على الموجة الإيمانية من سورة إبراهيم :

﴿قالت رسلهم : أفي الله شك فاطر السموات والأرض ، يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ؟ قالوا : إن أنتم إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا ، فأتونا بسلطان مبين . قالت لهم رسلهم : إن نحن إلا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده ، وما كان لنا أن نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ / إبراهيم : ١٠ - ١١ .

هذا الموقف ذكره مولانا بين الرسل وأقوامهم الذين تعجبوا أن يكون الرسول بشراً كأحدهم ورفضوا الدخول في الإسلام ، فكان جواب الرسل بأن الله يصطفي من يشاء من عباده ويمن عليهم بالرسالة والوحي إليهم ، وترون هذا الهدوء والسكينة في الدعوة إلى دين الله تعالى ، وهذه الحوارية ليس فيها ضوضاء ولا خصومات ، وهكذا شأن الرسل في الدعوة إلى دين الله تعالى قال مولانا لنبية ومصطفاه ﴿وجادلهم بالتتي هي أحسن﴾ / النحل : ١٢٥ . وهذه الطريقة يتبعها الرسل حتى مع المتألهين على الأرض أمثال فرعون ، فقد أرسل مولانا سيدنا موسى وهارون إلى فرعون وقال لهما : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ / طه : ٤٤ .

واسمعوا إلى هذه المجادلة الهادئة بين سيدنا موسى والمتأله على الأرض الذي ظن نفسه أنه سيعيش خالداً مخلداً في الدنيا ، اسمعوا هذه المحاورة على الموجات الإيمانية من سورة طه :

﴿قال : فمن ربكما ياموسى ، قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال : فما بال القرون الأولى . قال : علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى ، الذي جعل لكم الأرض مهدياً ، وسلك لكم فيها سبلاً .﴾ / طه : ٤٩ - ٥٣ . وعلى الموجات الإيمانية من سورة الشعراء :

﴿قال فرعون وما رب العالمين ، قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين . قال : لمن حوله ألا تستمعون . قال : ربكم ورب آبائكم الأولين . قال : إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون . قال : لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك من المسجونين . قال : أو لو جئتكم بشيء مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين﴾ / الشعراء : ٢٥ - ٣٣ .

أيها الإخوة :

علينا أن نعتقد أن منصب النبوة والرسالة يعني بالبداية رجاحة العقل

وفطنته وذكائه ، فلا يمكن للرسول أن يتصف بالبلادة وضعف التفكير والغفلة والعياذ بالله تعالى .

ومرة وقع سيدنا إبراهيم الخليل في موقف مع أحد المتألهين على الأرض وهو النمرود وقع معه بنقاش . واسمعوا معي إلى قوة الحجة التي آتاها الله سيدنا إبراهيم على قومه ، وقوة الحجة من كمال العقل ، ومن تمام الفطنة والنباهة وحضور البديهة .

أيها الإخوة الكرام : اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى ما قبل ٣٧٠٠ عام على ما قدره المؤرخون ، إلى الخليل سيدنا إبراهيم فإنه يقف موقفاً عظيماً سجّله له مولانا على الموجات الإيمانية من سورة البقرة :

﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك ، إذ قال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت ، قال : أنا أحيي وأميت﴾ . قال : فأحضر رجلين حكم عليهما بالإعدام فأطلق أحدهما وقطع رأس الآخر ، فسيدنا إبراهيم لم يجادله في هذه المغالطة بل حاججه ببرهان آخر على قدرة الإله ﴿قال إبراهيم : فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ / البقرة : ٢٥٨ .

هذه هي الفتانة التي كما ثبتت للخليل ثبتت لجميع الأنبياء والرسل ، وهذه منة عظيمة من مولانا لهم ورفعة لشأنهم ، ولهذا أثنى عليه مولانا على الموجة الإيمانية من سورة الأنعام :

﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾ / الأنعام : ٨٣ .

إن المجادل يحتاج إلى نباهة زائدة ، وفتانة كبيرة وعقل راجح حتى يستطيع أن يعرف مجادليه بالحق ، ويقبض في جدالهم على مرامي كلامهم ثم يقنعهم بأقرب طريق وألين حوار .

لذلك اسمعوا إلى شهادة رجل كان من أهل الكتاب ، قرأ كتب

الأقدمين كلهم ، وحينما رأى الحبيب الأعظم (صلوا عليه) وكلمه دخل في دين الإسلام ، إنه سيدنا وهب به منبه الذي يقول :

«قرأت في واحد وسبعين كتاباً ، فوجدت في جميعها : أن الله تعالى لم يعط جميع الرسل من بدء الدنيا إلى انقضائها من العقل في جنب عقل سيدنا محمد إلا حبة رمل من بين جميع رمال الدنيا ، وأن محمداً أرجح الناس عقلاً» . وهذه منة عظيمة نالها الحبيب الأعظم من بين جميع الرسل ، وقد قال له مولانا : ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ / الأعلى : ٦ / .

وهذه الشهادة تثبت فطانة عقله وحدته وسعة فهمه ، وبهذا يستطيع الأنبياء أن يعالجوا أمتهم بالتربية الحكيمة والقيادة السليمة .

أيها السادة :

ومما من الله على أنبيائه ورسله أنهم لا يكذبون أبداً في جميع أحوالهم ، فهم الصادقون المصدقون ، ولم يعلم عن نبي قط قبل بعثته ولا بعدها أنه كذب .

والصدق - عرفه علماء العقيدة - مطابقة خبرهم للواقع ، وقد أجمعت الأمة على صدق الرسل فيما يبلغونه عن مولانا عز وجل ، لأنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبره تعالى وهذا محال ، فقد أيدهم بالمعجزات التي تدل على صدقهم ، والمعجزة أمر خارق للعادة يجريها الله على يد رسوله ليثبت بذلك صدق نبوته وصحة رسالته ، فيتحدى قومه بالمعجزة ليثبت أنه نبي ورسول .

فالأنبياء منزّهون عن الكذب قليله وكثيره وسهوه وعمده ، لذا لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا بعدها ، لأنه يزرى بهم ويريب ، وينفر القلوب من تصديقهم بعد الإرسال ، ولهذا نجد أن نبينا الأعظم لقّب بالصادق الأمين قبل النبوة ، وهذا مدعاة لأن يصدق بعد النبوة .

وكلنا يذكر أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما

جاءه الوحي وذهب إلى السيدة الأولى في الإسلام إلى أم المؤمنين السيدة خديجة رضي الله عنها وقال لها : لقد خشيت على نفسي . قالت له : كلا والله لن يخزيك الله أبداً ، إنك لتصدق الحديث ، وتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتقري الضيف وتكسب المعدوم ، وتعين على نوائب الدهر» (خ) .

وحين أعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثته كان أول المؤمنين به أهل بيته ومواليه وخدمه وصديقه الصديق أبو بكر ، وما توقعوا عن المسارعة إلى الإيمان به لأنهم على يقين من صدقه وأمانته . ودخل عليه أعرابي فنظر إلى الحبيب الأعظم فوجد الصدق يحوطه من كل جانب فأعلن إسلامه لساعته وقال قولته : والله ما هذا الوجه بوجه كذاب .

وقدم الجارود بن العلاء - من علماء النصارى - مع وفد من قومه من إلى سيدنا رسول الله ﷺ فقال له : (سيرة ابن هشام) - والله لقد جئت بالحق ، ونطقت بالصدق ، والذي بعثك في الحق نبياً! لقد وجدت وصفك في الإنجيل وبشرك الرب ، فطول التحية لك ، والشكر لمن أكرمك ، لا أثر بعد عين ولا شك بعد يقين ، مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله .

وما إن أعلن إسلامه حتى أسلم معه قومه جميعاً .

علينا - أيها الإخوة - أن نعتقد أن الصدق من الصفات الواجبة في حق الأنبياء والرسل ، وأنهم لا يكذبون لأن الكذب كبيرة من الكبائر ، والأنبياء معصومون منها ، وأنا أسأل سؤالاً :

هل يقبل العقل أن يكذب الرسول على الله تعالى؟ ثم يتركه مولانا يكذب عليه دون أن يفضح كذبه ، إن الرسول لا يكذب على الله لأن مولانا يقول : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه

الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴿ / الحاقة : ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ / .

الوتين : النخاع الذي متى قطع هلك صاحبه .

واسمعوا شهادات الصديق التي وصف بها مولانا رسوله الأعظم ﷺ يقول تعالى : ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾ / النجم : ٤ / .

وقال في سورة / النساء : / :

﴿ يا أيها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيراً لكم ﴾

لذلك النبي لا يقول إلا حقاً في جميع أحواله وأقواله ، في حال غضبه ، وحال فرجه ، وصحته ومرضه ، لسلامة قلبه وصحة لسانه ، واسمع إلى قول صحابته الكرام : كان رسول الله ﷺ يمزح ولا يقول إلا حقاً . سألته عجز أن تكون معه في الجنة ، فقال لها : لا تدخل عجز الجنة ، فتأثرت من كلامه فقال لها إنها تدخلها شابة بإذن الله تعالى . أو كما قال .

أيها الإخوة : وكان الرسول إذا أرسل إلى قومه يدعوهم إلى الواحد الديان ، يطلبون منه دليلاً وبرهاناً ومعجزة على صدقه ، لأن المعجزة لسان حالها يقول : صدق الرسول فيما يبلغ عن الله تعالى .

المعجزة أمر خارق يتحدى بها الرسول قومه أن يأتوا بمثلها ، وقد حاول مرة مسيلمة الكذاب أن يأتي بمعجزة ليثبت لقومه أنه نبي ، فقد بلغه أن سيدنا رسول الله ﷺ نفل في عين أرمد فشفيت ، فجيء إليه بأعور فتفل في عينه فعميت الصحيحة فثبت أنه كذاب أشر .

يشترط للمعجزة أن تكون :

١- قولاً (كالقرآن) أو فعلاً (كنبع الماء من بين أصابعه ﷺ) أو تركاً كعدم إحراق النار لسيدنا إبراهيم) .

٢- وأن تكون خارقة للعادة (ما اعتاده الناس فيما بينهم) .

٣- وأن تكون على يد مدعي النبوة أو الرسالة .

٤- وأن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة . لا قبل النبوة لأنها تسمى بالإرهاص) .

٥- أن تكون موافقة للدعوى لأمخالفه لها (فيقول علامة صدقي في انغلاق البحر فانغلق الجبل) .

٦- أن لا تكون مكذبة له كأن يقول : علامة صدقي في نطق هذا الجماد فنطق الجماد بأنه كذاب .

٧- أن لا يستطيع أحد معارضته بهذه المعجزة .

وأما معجزات الرسل فهي الآيات العظيمة التي ثبت بها صدقهم وأنهم رسل الله ، وقد قص مولانا في كتابه الكريم بعضها :
فقد طلب الحواريون من سيدنا عيسى معجزة فريدة عجيبة ، اسمعوها على الموجات الايمانية من سورة المائدة :

﴿إذ قال الحواريون : يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء . قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين . قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسى بن مريم : اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله أني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين﴾ / المائدة : ١١٥ .

وهناك معجزات كثيرة لنبينا الأعظم ﷺ جاءت من طرق صحيحة عديدة ، كتكثير الطعام القليل ، وتكليم الجمادات له ، وتفجير الماء ببركته وإبراء المرضى بلمسه ﷺ .

وعن سلمة بن الأكوع قال : غزونا مع سيدنا رسول الله ﷺ حنيناً فولى صحابة رسول الله ﷺ فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ثم قبض قبضة من تراب الأرض ، ثم استقبل وجوه الكفار فقال : شأهت الوجوه ، ورمى بالقبضة .

يقول الراوي سيدنا سلمة : فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة فولوا مدبرين ، فهزمهم الله تعالى .

أیها الإخوة الكرام :

وأما صحابة نبینا الأعظم ﷺ فكانوا یقتدون به فی جمیع أقواله وأفعاله ویعلمون أنها حق ، ومرة اشترى سیدنا النبی فرساً من (سواء بن قیس) (أواسمه سوادُ بن الحارث : طب) سواء بن قیس المحاربی فجحدہ سواء ، فشهد صحابی جلیل اسمه خزیمة للنبی أنه اشتراه ، مع أنه لم یکن حاضراً ، فقال له سیدنا النبی ﷺ :

- ماحملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضراً .

قال : صدقتك بما جئت به ، وعلمت أنك لا تقول إلا حقاً .

فقال سیدنا رسول الله ﷺ : من شهد له خزیمة أو شهد علیه فهو حسبہ ، فشهادته بشهادة اثنين (د-ن) .

إنهم لم یجربوا علیه كذباً فی أي خبر قاله لذلك كانوا كل يوم یزدادون حباً له ﷺ وتعلقاً به ، وطاعة له ، حتی إنهم لیفدونہ بأنفسهم ، وانظروا إلى مدى تصدیقهم له وطاعتهم إياه :

مرة كان یصلي بهم إماماً وقد لبس نعلیه الشریفین ، فإذا به یخلعهما یرمي بهما فخلع الصحابة نعالهم ورموا بها ، وخلع مرة خاتمة الشریف فخلعوا خواتیمهم تبعاً له (خ) .

سیدی أبا القاسم یارسول الله :

یاخیر مخلوق وأفضل مرسل وشفیع قوم أذنبا وأساءوا

أنوارک العظمی إذا ما أشرقت يوم القيامة فالوری سعداً

أیها السادة الكرام : فما هو الواجب الرابع فی حق الرسل الكرام ؟

أعلق هذا السؤال لأجیب عنه فی الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بکم من هناك إلى هنا ، ومأدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحید الجالس فیها علیه أن یوحدهم ﷺ تعالى .

لا إله إلا الله سیدنا محمد رسول الله

تذكر عزيزي الموحّد أن:

- علم التوحيد : إلهيات - نبويات - سمعيات
النبويات : ١- واجب في حقهم أربعة صفات :
الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة
النبوة : اصطفاء واختيار من الله لخواص عباده
٢- مستحيلات في حقهم أربعة صفات :
الكذب والخيانة والكتمان والبلادة .
٣- جائزات : الأكل - الشرب - المشي في الأسواق -
الزواج - الموت .

مفاتیح الرسل الصالحین

تبلیغ الشریعة

- 18 -

الحمد لله موفق من توکل علیه ، القيوم الذي ملکوت کل شیء بیدیه
حمداً كثيراً طیباً مبارکاً فیہ . كما ینبغي لجلال وجهه وعظیم سلطانه .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له ، شهادة عبد موقن
بتوحيده مستجير بحسن تأييده .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمین ، وخاتماً
للبنین وحرزاً للأمین وإماماً للمتقين ، بأوضح دليل وأفصح تنزيل وأفسح
سبیل ، وأنفس تبیان وأبدع برهان سيدي أبا القاسم يارسول الله :

روحي بحبك في الضياء تهيم والشوق مني في هواك عظيم
والقلب مسرور بذكر- محمد في ذكره نور وفيه نعيم
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وصحابته
المجاهدين وأزواجه أمهات المؤمنين وسلم تسليماً ، أما بعد :

فواجب لرسله الأمانه والصدق والتبليغ والفظانه
وقد تناولنا بالتفصيل الواجبات الثلاثة الأمانة والصدق والفظانة وأنه
يستحيل على الأنبياء ضدها من ارتكاب المعاصي والكذب والغفلة والسنا ،
وبقي لنا الكلام عن الواجب الرابع والأخير في حق الأنبياء وهو التبليغ عن
مولانا عز وجل ما أمروا بتبليغه للخلق ، بخلاف ما أمروا بكتمانه أو ما خيروا
فيه ، فنحن أمام أمور ثلاثة تفرعية :

الأول : ما أمروا بتبليغه فهذا مستحيل في حقهم كتمانهم .

الثاني : ما أمروا بكتمانه .

الثالث : ما خيروا فيه بين تبليغه وكتمانه ، وهذا الأمر الثالث بينه سيدنا أبو هريرة رضي الله عنه فقال : علمني حبيبي رسول الله ﷺ جُرايين من علم ، فرشتُ أحدهم بين يديكم والآخرو لو تكلمت به لقطعتم عنقي . (أو كما قال) .

وأما العلم الواجب تبليغه فهو كل ما أمرهم به مولانا بتبليغه ، فلو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق لكننا مأمورين بكتمان العلم ، لأنهم قدوتنا وأسوتنا ، وبما أننا لا يجوز أن نكتم علماً فإنه يلزم أنهم لا يكتمون شيئاً ، لذلك اسمع إلى حبيبيك رسول الله ﷺ يقول : (د - ت حسن) :

«من سئل عن علم فكتمه أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» .
وقال ﷺ : من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين أجمه الله يوم القيامة بلجام من نار» (د- ت - أحمد : حسن) .

أيها الإخوة الكرام :

إننا مع الدرس الثامن عشر من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية ، ولكنني وقبل أن أُلج معكم عتبة باب الدرس اسمحوا لي أن أتقل بكم إلى هناك إلى البقعة الطاهرة الشريفة التي جعلها الله مثابة للناس وأمناً إلى بيت الله العتيق ، وأرى الحبيب الأعظم يقف على جبل أبي قبيس ، وقد نزلت عليه آية عظيمة أفلقته وبدأ بها عهد الجهر بالدعوة إلى دين الله تعالى ، فقد أنزل عليه مولانا : ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ / المائدة : ٦٧ .
إن الأمر إذاً جدٌ خطير فإنه لأول مرة يقف رسول الله ﷺ هذا الموقف الحاسم من أمر الدعوة الإسلامية .

أيها الإخوة الكرام : الحبيب الأعظم يناديكم من خمسة عشر قرناً ، نادى آباءكم الأقدمين ، فاسمحوا لي أن أنقل لكم هذه الإذاعة الداخلية على موجة إيمانية نابعة من قلب سيد الخلق وحبيب الحق سيدنا محمد ﷺ ، اسمعوا وأنصتوا لعلكم ترحمون نادى الحبيب الأعظم :

يا بني عبد المطلب! يا بني فھر! يا بني كعب .

وانفضت إليه المجالس ، لم يتأخر عن تلبية النداء أحد ، وخاصة أن الذي يناديهم ويدعوهم هو الصادق الأمين .

قالوا جميعاً : لبيك يا محمد ﷺ .

قال : أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟

قالوا جميعاً : نعم ، فما جربنا عليك كذباً ، أنت عندنا الصادق الأمين .

فقال رسول الله : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد .

كانت هذه الكلمات تعني بدء تبليغ الدعوة الإسلامية والتي لم تتوقف طيلة حياته ﷺ لم يكتف شيئاً مما أمر بتبليغه ، حتى ألوان العتاب الإلهي التي وجهها مولانا لحبيبه لم يكتفها عن صحابته ، ولقد سطر القرآن ألواناً منها متنوعة :

﴿ ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ﴾ / الأنفال : ٦٧ .

﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً ﴾ / الأحزاب : ٣٧ .

﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ (عفا الله عنك أي لم يلزمك ذنباً) .
 ﴿عبس وتولى أن جاءه الأعمى ، وما يدريك لعله يزكى أو يذكر
 فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى ،
 وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة﴾ /
 عبس : ١-١١ / .

أيها الإخوة الكرام :

تعالوا نتفكر في موقف سيدنا رسول الله ﷺ يوم جاءه الأعمى ،
 تعالوا نعرض الأمر على عقلاء الدنيا ، لو لم ينزل مولانا هذه الآيات من
 سورة عبس وتولى ، وعرض موقفه على عقلاء الدنيا وساستها وعلمائها ، هل
 كان فيهم أحد يقول : بأن في موقف رسول الله ﷺ ما ينتقد ، أم يقرر الجميع
 أن الذي فعله هو عين الصواب؟

رجال من كبار القوم يتألفهم الحبيب الأعظم ويحاول أن يكسبهم
 لنصرة الدعوة ، وهو عليهم حريص وعاتبه فيهم مولانا فقال : ﴿لعلك باخع
 نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا﴾ / الكهف : ٦ / .
 فماذا جرى؟

أتى واحد من أتباعه يسأله عن مسألة ليست مستعجلة ، ولا ينشأ عن
 تأخيرها ضرر ، وهو يستطيع أن يسأل عنها في كل وقت ، فيرجئ الحبيب
 جوابه حتى ينتهي مما هو فيه .

هل يفعل أحد من الناس غير هذا؟ هل في الدنيا من يقول : بأن عمل
 سيدنا رسول الله ليس صواباً؟

إنه هو الصواب في مقياس المنطق البشري ، ولكن لما نزل الوحي
 بمقياس آخر ، تبين أن ميزان الله أقوم من موازين الناس ، وأن حكم من خلق
 العقل أصح من حكم العقل ، بل هو الحكم القويم .

ومثل هذا يقال في موقفه ﷺ يوم أسرى بدر ، فإنه ﷺ وقع منه اختيار الفداء ، ولماذا؟ ، وقد وصفه مولانا فقال : ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ / الأنبياء : ١٠٧ / ، هذا ليس فيه خطأ بالمعنى المعروف بوصفه عظيماً من عظماء البشر ، بل فيه الدليل على أن وحي السماء فوق حكمة الأرض ، إنه من باب : حسنات الأبرار سيئات المقربين .

لذا يقول علماء التوحيد : لو كان رسول الله كتم شيئاً مما أمر بتبليغه لكتّم هذه الآيات الخاصة بعتاب الله له .

وأيضاً لا يوصف الرسول بنسيان تبليغ شرع الله تعالى ، لأن النسيان غفلة ، قبل التبليغ لا يمكن أن ينسى ، وقد أنزل عليه مولانا ﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ / الأعلى : ٦ / .

وأما فيما بعد التبليغ ، فإن مولانا عز وجل ينسيه كي يشرع ، أي أن نسيانه ﷺ نسيان رحماني أي تشريعي ، ولا يقال إن نسيانه من الشيطان ، بل هو ليشرع لأتمه ماذا يفعلون إذا حدث فيهم ذلك ، فقد أنساه مولانا مرة في صلاة العصر فسلم من ركعتين فلما ذكره الصحابة كبر وأتى بالركعتين ، وعلمهم كيف يسجد الساهي سجدة قبل أن يسلم من الصلاة ، وقال لهم ﷺ :

«إِنَّمَا أُنْسِيَ لَأَسُنُّ» (مالك وصله ابن الصلاح) ، وقال لهم :

«إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أُنْسَى كَمَا تَنْسَوْنَ فَإِذَا نَسِيتُ فَذَكِّرُونِي» (ق) .

فعلينا أن نعتقد أن نسيانه ﷺ لأجل سن التشريع للأمة ، وأنه يكون بعد تبليغه هذا التشريع لا قبل ، وأن نسيان الشيطان عليهم مستحيل لأنهم مستغرقون في حضرة الحق جل جلاله لا تغيب ظواهرهم وبواطنهم عنه ، فالرسول صلى الله عليه وسلم :

قد غاب عن كل شيء سره فسها عما سوى الله فالتعظيم لله

أيها الإخوة الكرام :

وكل من بلغته دعوة الرسل وجب عليهم أن يدخلوا في الإسلام ، هذا هو الواجب على البشر جميعاً ، كل من بلغته دعوة الرسول وكان عاقلاً بالغاً سليم الخواس ولا يجيب دعوة الرسل ثم يموت على كفره وشركه أو إلحاده فهو من أهل النار ، وهذا القرار اتخذته القائد الأعظم لهذه الأمة ، قراراً وجاهياً غير قابل للاستئناف لأنه مبرم ، وغير قابل للنقض لأنه محكم .

لهذا اسمع إلى حبيبنا نبي الله ﷺ يقول فيما يرويه الإمام مسلم في صحيحه : «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» . وما إن ذكرت هذا الكلام حتى رأيت أحد تلامذتي يستأذن بالكلام ، قال : - ياسيدي فما حال الصبيان الذين يموتون قبل سن البلوغ سواء كانوا من أولاد المسلمين أو من أولاد الكفار؟! .

فقلت له : هؤلاء ناجون يوم القيامة بإذن الله تعالى ، لأنهم ماتوا على الفطرة ، وفي هذا يقول الإمام العلم سيدي الشيخ محيي الدين النووي الشافعي : «أجمع من يعتد به من علماء المسلمين على أن من مات من أطفال المسلمين فهو من أهل الجنة لأنه ليس مكلفاً ثم قال : والصحيح الذي ذهب إليه المحققون أن أولاد المشركين من أهل الجنة» شرح مسلم (القدر) .

ثم قام تلميذ آخر فسأل سؤالاً آخر ، قال :

هل توجد أمة لم يرسل لها نبي ، وماحكم من لم تبلغه دعوة رسول

من الرسل؟

فقلت له : هؤلاء يسمون أهل الفترة ، فإن أهل الفترة هم الأقوام الكائنون بين أزمنة الرسل الذين لم يرسل إليهم الأول ، ولا أدركوا الثاني ، ففي الفترة من الرسل يتطرق تغير وتحريف للشرائع لتقدم العهد ، فيختلط

ساعده وزيد بن عمرو بن نفيل ، فهؤلاء لا خلاف في نجاتهم ، فإن قساً كان إذا سئل : هل لهذا العالم إله كان يقول :

إن البعر كيدل على البعير ، وإن أثر الأقدام يدل على المسير ، وسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ألا يدل ذلك على اللطيف الخبير .

وأما زيد بن عمرو بن نفيل فكان يسجد ويقول : إلهي إله إبراهيم وديني دين إبراهيم (خ) ، ويقول :

- إني لأنتظر نبياً من ولد إسماعيل من بني عبد المطلب ، ولا أراني أدركه ، وأنا أؤمن به وأصدق به ، وأشهد أنه نبي ، ومن طالبت به مدة ورأه مرة فليقرئه مني السلام .

وقد عاصر النبي ﷺ واجتمع به ، وآمن به قبل بعثته بخمس سنين ، ولم يدركها .

ومن أهل الفترة الناجون بإذن الله تعالى أبواسيدنا رسول الله ﷺ بل جميع آبائه وأمهاة ناجون ومحكوم بإيمانهم على دين الحنيفية السمحة لسيدنا إبراهيم لم يدخلهم كفر بأدلة قرآنية كقوله تعالى :

﴿وتقبلك في الساجدين﴾ / الشعراء : ٢١٩ ، واسمع معي إلى قول الإمام المجدد للمئة الهجرية العاشرة ، خاتمة حفاظ مصر وهو الإمام السيوطي رضي الله عنه فقد قال : «قد صرح جماعات كثيرة بأن أبوي النبي لم تبلغهما الدعوة ، والله تعالى يقول : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ / الإسراء : ١٥ ، وهذا لاخلاف فيه بين المحققين من أئمتنا الشافعيين في الفقه ، والأشاعرة في الأصول ، ونص على ذلك الإمام الشافعي ، وتبعه على ذلك الأصحاب .

وأما ما نقل عن أبي حنيفة من أن والدي المصطفى ماتا على الكفر

فمدسوس علیه ، وحاشاه أن یقول ذلك ، فالحق الذی نلقى الله تعالى علیه
 أن أبویه صلى الله علیه وسلم ناجیان ، وقد ألف الإمام السیوطی فی هذه
 المسألة عشرة مؤلفات كلها تصب فی وجوب الأدب مع سیدنا رسول الله
 صلى الله علیه وسلم ، وأن من آذاه فقد آذی الله تعالى ومن آذاهما فهو
 ملعون ، وقد سئل القاضي ابن العربی المالکی الفقیه المحدث عن رجل قال :
 إن أبوی النبی فی النار ، فقال إنه ملعون لأن الله تعالى یقول :

﴿إن الذین یؤذون الله ورسوله لعنهم الله فی الدنیا والآخرة﴾ /
 الأحزاب : ٥٧ . ولا أذی أعظم من أن یقال عن أبیه ﷺ إنه فی النار ، فلا
 ینبغي ذکر هذه المسألة إلا مع مزید الأدب ، ولیست من المسائل الاعتقادیة
 التي یضر جهلها .

إلی هنا أیها الإخوة یتوقف اللسان ، ویکف الجنان ویغمد البنان ،
 فقد قدم علینا شهر رمضان شهر البر والإحسان ، ورمضان معیار لا یسع
 غیره ، موعدنا فی إتمام ملف العقیده والتوحید بعد هذا الشهر الکریم
 بإذن الله تعالى .

هنا مدرسة التوحید الجالس فیها علیه أن یوحّد الله تعالى .



عزيزي الموحّد تذكر أن:

الواجبات في حق الأنبياء والرسل :

- ١- الصدق : مطابقة خبرهم للواقع
- ٢- الأمانة : حفظ ظواهر الرسل وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ، وهي العصمة أي عدم ارتكاب كبيرة أو صغيرة أو خلاف الأولى .
- ٣- التبليغ : لكل ما أمروا بتبليغه عن الله عز وجل .
- ٤- الفطنة : وتعني الذكاء والتيقظ وقدرة الرد على خصوم الدعوة أو هي الحجة البالغة .

عقيدة الإيمان بالرسل الكرام

(المستحبات والجائزات)

- 19 -

الحمد لله الذي تعاظم ملكوته فاقتدر ، وتعالى جبروته فقهر ، الذي أعز من شاء ونصر . ورفع أقواماً آخر ، نحمده على نعمه التي تربو على ذرات الرمل . وقطرات المطر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العليم بما بطن وما ظهر	قسماً بالله وقدرته
وجلال الحق وعزته	الخلق جميعاً قبضته
والكل مقرٌ بوحدته	سبحانه ليس له ولد
بل ليس يشابهه أحد	و الله أني لأعتقده
برسالة طه ودعوته	و الله أني لأشهدده
أبداً لا شيء يشابهه	فبكل كمال أنعته
فالحكم له بمعيته	هل يمكن أن نقدر قدره
أن ندري حقيقته وكنهه	فالمسلم من أسلم وجهه
لله وعاد لفطرته	فحذار حذار أخا الشرف
أن تغفل عن تلك التحف	فاللؤلؤ يكمن في الصدف
أولست تكون بمنخرجه	إياك أخي تكن ضجرا
ومن التقصير فكن حذرا	واعبد مولاك وقم سحرا
تحظ بالقرب ولدته ^(١)	

(١) الأبيات للشيخ عدنان النجار شيخ منشدي الحضرة الشاذلية ، أنظر ترجمته في كتابنا غرر الشام في تاريخ آل الخطيب الحسينية ومعاصريهم الجزء الثاني .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ومجتباه من البشر ، نبي شق
عن صدره ، وشق له القمر ، رسول ظللته الغمام وأجابت لدعوته الشجر ،
حبيب أيده ﷲ بمعجزات الآيات والسور .
اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه قادات الخير
والبشر ، وسلم تسليمًا .
أما بعد :

فقد وقفت معكم قبل شهر رمضان المبارك حول قضية الإيمان بالأنبياء
والرسل الكرام ، وقلت لكم :

إن عقيدة الإيمان بالرسل مستمدة من الشهادتين :

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولَ اللَّهِ

فهذه الشهادة فيها إثبات الرسالة لنبينا الأعظم صلى ﷲ عليه وسلم ،
ويلزم منه تصديقه في كل ما جاء به . ويدخل فيه التصديق بالرسل والأنبياء
عليهم الصلاة والسلام .

قال الشيخ عبد المجيد الشرنوبى رحمه ﷲ تعالى :

وواجب لرسله الأمانة والصدق والتبليغ والفظانة

ومستحيل ضدها فلتعلم وجائر كالأكـل في حقهم

وتقدم معنا الحديث عن الواجبات في حق الأنبياء والرسل وهي
الصدق والأمانة والتبليغ والفظانة ، فما هي المستحيلات والجائزات في
حقهم عليهم الصلاة والسلام؟ بل ماهو المستحيل ، وما هو الجائز؟
أيها الإخوة الكرام

المستحيل هو ما لا يتصور في العقل وقوعه أو هو ما لا يقبل الوجود (الثبوت)
والمستحيل الأول في حق الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام هو : الخيانة
بفعل شيء منهى عنه نهى كراهة أو نهى تحريم أو خلاف الأولى ، والدليل على
ذلك (على أنهم لا يخونون) أننا أمرنا بالاعتداء بهم في أقوالهم وأفعالهم ، وكوننا
مأمورين بذلك يعني تطهيرهم عن الخيانة وغيرها ، فلو كانوا يخونون لكننا

مأمورین بالخيانة وهذا باطل ، لأن مولانا حفظهم وحفظ قلوبهم ووقفهم لفعل الخیرات وقال عنهم :

﴿إنهم كانوا یسارعون فی الخیرات ویدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعین﴾ / الأنبیاء : ٩٠ .

فلا تصدر عنهم معصیة ، ولا تسلط لإبلیس علیهم ، ولا یرتكبون خطأ فی قول أو عمل أو خبر .

أیها السادة :

والمستحیل الثانی فی حقهم علیهم الصلاة والسلام : الکتمان ، کتمان شیء مما أمروا بتبلیغه للخلق ، وتذكرون أنني قلت لكم فی الدرس الثامن عشر أن نبینا الأعظم لو کتم شیئاً لکتم عتاب اللہ إیاه فی عدد من مواضع القرآن الکریم ، کإخفائه أمر زواجه من السیدة زینب بنت جحش بعد طلاق متبناه زید بن حارثة لها ، وكان مولانا قد أعلمه بذلك لیبطل تقلیداً من تقالید الجاهلیة ، إذ كانت هذه التقالید تقضي بتحрім زوجة المتبنی مثل تحрім الزواج بزوجة الابن من النسب ، فكان رسول اللہ یجده حرجاً ، مثل أي إنسان عندما یتخرج من مخالفة التقالید والخروج علی العادات ، واسمعوا معی إلی البیان الإلهی فی ذلك :

﴿وإذ تقول للذی أنعم اللہ علیه (بالإسلام) وأنعمت علیه بالعتق) أمسک علیک زوجک واتق اللہ وتخفی فی نفسك ما اللہ مبدیه (من أنه سیطلقها وتزوجها أنت) فلما قضی زید منها وطراً زوجناکها لکیلا یکون علی المؤمنین حرج فی أزواج أذعیائهم إذا قضوا منهن وطراً﴾ / الأحزاب : ٣٧ .

ولذلك - أیها الإخوة - مدح مولانا نبیه وحبیبه فقال : ﴿وما هو علی الغیب بضین﴾ / التکویر : ٢٤ ، أي لیس بخیلاً بما أنزل اللہ تعالی ، لا یضن علیهم بما یعلم ، فإذا جاءه الغیب بینة وأخبره وأظهره ، لا یکتمه أو یخفيه .
لأن الرسالة الإلهیة التي یؤمر بتبلیغها الرسل لا یتیم مقصودها إلا

بأمرين : أداؤها من غير كتمان ، وأداؤها على وجهها من غير زيادة أو نقصان .
ولهذا جعلهم مولانا فطناء أذكىاء ، فيستحيل في حقهم البلادة وهي
ضد الفطنة ، فلو كان الرسول بليداً أو مغفلاً لتمكنه إقامة الحجة أو المجادلة
في أثناء تبليغ الدعوة .

ثم المستحيل الرابع في حقهم عليهم الصلاة والسلام : الكذب ،
وهو عدم مطابقة خبرهم للواقع ، فهم منزهون عن الكذب ، قبل النبوة
وبعدها ، لأن الاتصاف بالكذب يزرى بهم ويريب في أقوالهم وينفر
القلوب من تصديقهم بعد البعثة ، ولهذا فهم معصومون عن الكذب
وعن كل ما يتعلق بأمر الشرائع وتبليغ الأحكام ، وإرشاد الأمة ، ولهذا
اسمعوا إلى سيدنا رسول الله ﷺ يقول :

«إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به فإنني لن أكذب على الله
تعالى (م)» .

وهل يترك مولانا الرسول يكذبون عليه؟ أبداً ، ولهذا يقول عز من
قائل : ﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا
من الوتين﴾ / الحاقة : ٤٤ - ٤٥ / .

ولذا كل ماورد مما يوهم ظاهره أن الأنبياء قد كذبوا فيؤول بحسب
مواقفهم ، كما في واقعة سيدنا إبراهيم ، وإليكم هذا الحدث الايماني على
الموجة الايمانية من سورة الأنبياء :

﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكُنَّا به عالمين ، إذ قال لأبيه
وقومه : ماهذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، قالوا : وجدنا آبائنا لها
عابدين . قال : لقد كنتم أنتم وأبائكم في ضلال مبين . قالوا : أجبتنا
بالحق أم أنت من اللاعبين . قال : بل ربكم رب السموات والأرض الذي
فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين . وتالله لأكيذن أصنامكم بعد أن
تولوا مدبرين . فجعلهم جذاً إذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون . قالوا :
من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين ، قالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له

إبراهيم . قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون . قالوا : أنت فعلت هذا بالهتينا إبراهيم . قال : بل فعله كبيرهم هذا فأسألوهم إن كانوا ينطقون ﴿ / الأنبياء : ٥١-٦٣ / .

فظاهر هذا النص القرآني أوله العلماء تنزيهاً لأبي الأنبياء عن أن يوصف بالكذب ، التأويل الأول معنى لغوي لا يخفى على اللبيب وهو أن :
١- الجملة شرطية معناها ربط الفعل بنطق الأصنام ، فعله إن كانوا ينطقون ، وماداموا لا ينطقون فلم يفعله الصنم الكبير ، فالمعنى أنه لم يفعل لأنهم لا ينطقون .

٢- والتأويل الثاني لأهل العقيدة أن سيدنا إبراهيم أشار بأصبعه المسبحة إلى كبير الأصنام وقال عن أصبعه هو : ﴿ بل فعله كبيرهم هذا ﴾ كبير الأصابع هذا (وأشار إلى أصبعه) .

٣- تقرأ الآية مع الوقف على فعله ، ﴿ بل فعله (قف) كبيرهم هذا فأسألوهم إن كانوا ينطقون ﴾ / الأنبياء : ٦٣ / . وعلى جميع التأويلات ليس في المسألة كذب ، وهكذا كل المواقف اليمانية للأنبياء لأنهم معصومون عن ارتكاب الكبائر والصغائر والمكروهات وخلاف الأولى وقد استشكل بعض علماء العصر مسألة عرضت للصحابة الكرام مع سيدنا رسول الله ﷺ فما هي هذه المسألة وكيف فسرها هذا الداعية؟
أيها الإخوة الكرام :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى المدينة المنورة إلى سيد الخلق وحبيب الحق ، وأرى سيدنا رسول الله ﷺ ماراً أمام بساتين الأنصار فرأهم يلحقون النخيل ، فسألهم ماذا تفعلون؟ فقالوا : إنهم يلحقون (يجعلون الذكر في الأنثى فتلقح) . فقال : لو تركتموها لصلحت . قال : فتركوها ثانية بعد مدة ، فشاصت . فمر بهم فقال : ما لنخلكم . فقالوا : قلت لنا كذا وكذا . قال : أنتم أعلم بأمور دنياكم (م) .

وهنا رأى أحد العلماء في عصرنا بناءً على هذه الحادثة أن سيدنا

رسول الله ﷺ يخطئ في أمور الدنيا ، وراح يستدل بأدلة أخرى باطلة في فهمها لا مجال لذكرها هنا .

ولكننا نقول بأن الأنبياء والرسل لا يخطئون ولا يغلطون ولا يكذبون لا في أمر الدنيا ولا في أمر الدين ، وهذه المسألة (مسألة تأبير النخيل) أراد سيدنا نبي الله ﷺ منها أن يكرم هؤلاء النفر من الصحابة بحيث تقع له معجزة بأن تصلح نخيلهم بدون تأبير ، ولكنهم تلقوا خبر النبي الكريم بشك وعدم إيمان و يقين بقوله ، وكان يريد أن يعلم الصحابة بأن الله تعالى يسري فعله في سائر الممكنات بلا واسطة ولا سبب ، وأن العلاقة بين الأسباب والمسببات علاقة عادية ، سبب عادي ، فرسول الله ﷺ أراد أمراً آخر حين قال ما قال في تأبير النخيل ، أراد معجزة تحدث لأصحابه حين يصدقون ويوقنون ويجزمون بقوله ، إنه موقف مشابه لما حدث مع الصحابي أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صنع له شاة مشوية وأتاه بها ، فقال له النبي الكريم : ناولني الذراع ، فناوله ، ثم قال ثانية : ناولني الذراع فناوله ، ثم قال ثالثة : ناولني الذراع . يقول أبو رافع فقلت له : يا رسول الله وهل للشاة إلا ذراعان . فقال ﷺ : لو سكت ناولتني منها (ذراعاً فذراعاً) ، لو سكت ناولتني منها ذراعاً مادعوت بها .

لقد أراد النبي الكريم إظهار معجزة من معجزاته ، فلو سكت أبو رافع لخلق الله تعالى فيها ذراعاً فذراعاً ولما انقطع المدد .

ونحن نقول : لو استقبل القوم الذين يؤبرون النخيل ما أراد أن يتحفهم به رسول الله ﷺ من صلاح النخيل دون تأبير خرقاً للعادة لنالوا ذلك ، لكنهم وقفوا عند معلوماتهم المطردة في فن الزراعة ، ولأجل ذلك ردهم إلى الأسباب المعتادة وقال لهم قوله : أنتم أعلم بأمور دنياكم ، أي ارجعوا لما أنتم عليه .
أيها الإخوة الكرام :

وبهذا نصل إلى الأمر الثالث في أقسام الحكم العقلي وهو الجائزات في حق الأنبياء والرسل .

وهو معنى قول الشيخ الشرنوبى : وجائز كالأكل في حقهم .
وكما قال صاحب الجوهرة :

وجائز في حقهم كالأكل وكالجماع للنساء في الحل
فقد تقدم معنا أن الرسول بشر مكرم بالوحي ، ولهذا أسمع ماذا قال
مولانا للحبيب الأعظم : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾ الكهف :
١١٠ / . وانظروا إلى لفظه : (إنما) فهي تؤكد بشرية الرسل لأنها تفيد الحصر
والقصر ، وتنفي عن الرسول ما ينافي البشرية ، ولهذا أكد هذا المعنى بقوله
مثلكم) فهو مثلنا في تكوين جسده ، وطبيعة خلقه ، فإذا كان بشراً مثلنا
فيجوز عليه ما يجوز علينا ، كالأكل والشرب ، والركوب والبيع والشراء والمشي
في الأسواق ، وقد تعجب من هذا بعض الأقوام فقالوا : ﴿ مال هذا الرسول
يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴾ ، فرد عليهم مولانا عز وجل فقال :
﴿ وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في
الأسواق ﴾ / الفرقان : ٢٠ / .

وقال مولانا يحدثنا عن صفات الرسل : ﴿ ما المسيح بن مريم إلا
رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقه (لا إلهة ولا نبيه) كانا
يأكلان الطعام ﴾ / المائدة : ٧٥ / .
والرسول يتزوج ويولد له ذرية من البشر : ﴿ ولقد أرسلنا رسلاً من
قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية ﴾ / الرعد : ٣٨ / .

والرسول يتعرض لما يتعرض له غيره من الصحة والمرض والقوة
والضعف واللذة والألم ، إلا أن ما ينزل به لا يعرضه لتغير الناس منه ، يقول
مولانا : ﴿ وأيوب إذ نادى ربه أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين ،
فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من
عندنا وذكرى للعابدين ﴾ / الأنبياء : ٨٤ / .

والرسول يتعرض للبلاء والمحن كما وقع للحبيب الأعظم من الجوع
وأذى قومه وخدش جبينه وانكسار سنه (فذاك نفسي يارسول الله) .

والرسل والأنبياء يموتون ويطرأ عليهم ما يطرأ على البشر ، وفي ذلك يقول مولانا عز وجل : ﴿وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم﴾ / آل عمران : ١٤٤ .

فأجساد الأنبياء متصفة بأوصاف البشريطرأ عليهم ما يطرأ على البشر ، فهم مثلنا في تكوين أجسادهم وطبيعة خلقهم ، ولكننا لسنا جميعاً مثلهم في أخلاقهم ولا في مزاياهم ولا في عظمتهم ، ولو لم يكن سيدنا محمد خاتم الأنبياء لكان بلا جدال أعظم العظماء وبطل الأبطال .

ولهذا هم صفوة الخلق ، أي أن النبوة والرسالة لا يكتسبها العبد اكتساباً بشدة العبادة والتحلي بالأخلاق العالية الحميدة :

فلم تكن نبوة مكتسبة ولورقى في الخير أعلى عقبة
بل ذاك فضل الله يؤتيه لمن يشاء جل الله واهب المن
وكل شخص يدعي النبوة بعد نبينا الأعظم كاذب ، كذاب أشر ،
واسمعوا إلى هذا البيان النبوي (ت - حسن) :

«سيكون في أمتي ثلاثون كذاباً كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي» (ق) .

لتعلم الأمة قاطبة أن كل من ادعى مقام النبوة بعده فهو كذاب أفاك ودجال ضال مضل ، بدءاً من الأسود العنسي ومسيلمة ومروراً بـ غلام أحمد وختماً بالمسيح الدجال . .

فمن هو أول الأنبياء إلى الأرض ، من هو أول مخلوقات الله تعالى من البشر؟ أجيب عن هذا السؤال بإذن الله تعالى في الجمعة القادمة فلا تغيبوا ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

القضايا
الأيمانية
في قصص
المرسلين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبدء الخلق

- 20 -

الحمد لله رب العالمين ، موجد الأشياء بلا معين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، الذي أظهر الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعله نقطة في قرار مكين ، ثم خلق النطفة علقه سوداء للناظرين ، ثم خلق العلقه مضغة وهي قطعة لحم بقدر أكلة الماضفين ، ثم خلق المضغة عظاماً مختلفة المقادير أساساً يقوم عليه هذا البناء المبين ، ثم كسا العظام لحماً حولها كالثوب للابسين ، ثم أنشأه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرته من خلقه وأمينه على وحيه وحجته على عباده ، أرسله رحمة للعالمين وقدوة للعاملين فهدى به من الضلال وعلم به من الجهالة : سيدي أبا القاسم يارسول الله صلى عليك الله يا علم الهدى ، ماهبت النسائم وماناحت على الأيك الحمائم ، وعلى سائر أنبياء الله تعالى ، وسلم تسليماً :

ألا إن إيماناً برسل تحتما وهم	آدم إدريس نوح على الولا
وهود صالح لوط مع إبراهيم أتى	كذا نجله إسماعيل إسحق فضلا
ويعقوب يوسف ثم يتلو شعيبهم	وهارون مع موسى وداود ذو العلا
سليمان أيوب وذو الكفل يونس	وإلياس أيضاً واليسع ذاك فاعقلا

قصص الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام

كذا زكريا ثم يحيى غلامه وعيسى وطه خاتماً قد تكملاً
وقد تم نظمي جمع رسل مرتباً لهم حسب إرساله كما قاله الملا
عليهم صلاة الله ثم سلامه يدومان مادام الأراضى وماعلاً
فيارب فرج كربى بجاههم وبالآل والأصحاب ثم الذي تلا
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وسلم تسليماً
أما بعد :

فيجب على كل مكلف أن يعرف خمسة وعشرين رسولاً بأسمائهم ،
بحيث لو سئل عن واحد منهم لاعترف وصدق بأنه رسول ، وهم المذكورون
في القرآن الكريم في آيات متعددة ، منهم من اقتصر على ذكر اسمه
كإدريس وذي الكفل ، ومنهم من أورد مولانا قصته موجزة كإسماعيل
وإسحق ويونس ، ومنهم من أورد قصته مفصلة كسيدنا إبراهيم وموسى
ويوسف وعيسى ، وكل ما جاء به القرآن من قصص الأنبياء حق وصدق
يجب الإيمان به ، وقد جمعت أسماؤهم في خمس آيات هي قوله تعالى :
﴿ وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه ، نرفع درجات من نشاء
إن ربك حكيم عليم ﴾ / الأنعام : ٨٣ .

﴿ ووهبنا له إسحق ويعقوب كلا هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ، ومن
ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي
المحسنين ، وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين وإسماعيل
واليسع ويونس ولوطاً وكلاً فضلنا على العالمين ﴾ / الأنعام : ٨٦ .
﴿ وإلى عاد أخاهم هوداً ... وإلى ثمود أخاهم صالحاً ... وإلى
مدین أخاهم شعيباً ، وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ .
﴿ محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ﴾ /
الفتح : ٢٩ .

وذكر مولانا عز وجل سيدنا آدم فقال : ﴿ إن الله اصطفى آدم ... ﴾ /
آل عمران : ٣٣ / ولم يصرح بأنه كان رسولاً ، ولكن الآيات القرآنية التي ذكر
فيها تدل على ترجيح القول برسالته .

أيها الإخوة الكرام :

إننا مع الدرس العشرين من الدروس الإيمانية من جامع الدرويشية وبالذات مع أيينا آدم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، فما هو أول ما خلق مولانا عز وجل؟ فهذا سؤال هام جداً . إذ اختلف العلماء رحمهم الله في كون القلم أول المخلوقات . أو العرش؟ على قولين لا ثالث لهما .

أما خلق الله تعالى العرش (١) فقد ثبت في الصحيح عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وقال : وعرشه على الماء » (م ٣٠٤٤/٤ - خ ٢٦٥٣) .

وأما بعد أن خلق مولانا القلم قال له : اكتب ، فقال : رب وما أكتب؟ قال : اكتب مقادير كل شيء (أحمد - ت) .

وخلق مولانا عز وجل الأرض قبل خلق السموات ، لأنها كالأساس ، والأصل أن يبدأ بالأساس ثم بعده بالسقف يقول عز وجل :

﴿ هو الذي خلق لكم مافي الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ﴾ / البقرة : ٢٩ .

وكان قد خلق الأرض في يومين يوم الأحد والاثنين ، وفي ذلك يقول مولانا عز وجل : ﴿ قل أننكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ، وتجعلون له أنداداً ، ذلك رب العالمين . وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها (أي ما يحتاج أهلها إليه من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس في يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع اليومين السابقين مجموعهما أربعة أيام ، ولهذا قال مولانا) وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام سواء للسائلين .

ثم استوى إلى السماء وهي دخان (وهي بخار الماء المتصاعد منه

(١) - نقل هذا الحافظ في الفتح عن أبي العلاء الهمداني (كتاب بدء الخلق للبخاري) (٣١٩٤) .

حين خلقت الأرض) فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً (قال مولانا عز وجل للسّموات: اطلعي شمسي وقمري ونجمي وقال للأرض: شققي أنهارك وأخرجي ثمارك) قالتا: أتينا طائعين ﴿ / فصلت: ٩ - ١١ / .

قيل: الذي أجاب من منطقة الأرض هو مكان الكعبة اليوم، ولذلك اتخذهُ مولانا قبلة للناس)، ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ (أي آخرين وهما يوم الخميس والجمعة، وكان خلق سيدنا آدم في يوم الجمعة آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات يوم الجمعة فيما بين العصر إلى الليل).

﴿وأوحى في كل سماء أمرها وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾. (فصلت ٩-١٢)

أيها الإخوة الكرام:

وأراد مولانا عز وجل أن يُعرّف، أن يخلق خلقاً ليعرفوه فخلق الملائكة والجن، ففي الآية الكريمة: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ / الذاريات: ٥٦. (أي ليعرفوني فيعبدوني).

ولما أراد مولانا خلق سيدنا آدم أخبر الملائكة الكرام أنه سيخلق بشراً يجعله خليفة له في الأرض، وأنقل لكم هذا المشهد الإيماني على الموجة الإيمانية من سورة البقرة يقول عز من قائل:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة، قالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال: إني أعلم ما لاتعلمون﴾ / البقرة: ٢٩ / .

لم قالت الملائكة هذا القول؟ لأنها رأت الجن يقتتلون على الأرض حتى أرسل مولانا إبليس يرأس كوكبة من الملائكة إليهم فقتل منهم وأسر بعضهم وردهم إلى الجزر في البحار، فالملائكة لم تعترض على مولانا لأن الاعتراض معصية، ولم يقولوه غيبة لبني آدم لأن للملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، ولكنهم ظنوا أن البشر سيفعلون ذلك كما فعل الجن من قبل، ولذلك مولانا قال لهم: ﴿إني أعلم ما لاتعلمون﴾ / البقرة: ٣٠ / .

وبدأت عملية خلق سيدنا آدم ، «فأمر مولانا - كما في صحيح البخاري - سيدنا جبريل أن يأتي بقبضة من تراب الأرض وأنواعه جميعاً» وقال له : إني خالق مما ستأتي به خلقاً من أطاعني منهم دخل الجنة ، ومن عصاني أدخلته النار .
 فنزل سيدنا جبريل ليأخذ تلك القبضة من الأرض ، فسألته ماذا يفعل ؟ فقال أمرني ربي عز وجل أن آخذ منك أنواعاً وألواناً من التراب ليخلق منه خلقاً من أطاعه منهم أدخله الجنة ، ومن عصاه أدخله النار . فقالت :
 - أعوذ بالله أن تنقص مني شيئاً أو تأخذ مني شيئاً إلى النار .
 فامتنع سيدنا جبريل وصعد إلى السماء ، وقال لمولانا : سمعت ما قالت لي الأرض ، فأرسل سيدنا ميكائيل ، فقالت له مثل ذلك ، ثم أرسل ملك الموت فقالت له ذلك ، فقال لها :
 - وأنا أعوذ بالله وجلاله أن أعصي له أمراً ، وأخذ القبضة وصعد إلى السماء ، فقال له مولانا : وعزتي لأخلقن مما جئت به خلقاً ثم لأسلطنك على أرواحهم يقول ﷺ
 «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد» (حم - خ في التاريخ - ت) ويقول :
 «إني عند الله مكتوب خاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته»
 حب - حا)
 بل ورد في تفسير ابن أبي حاتم وعند أبي نعيم في دلائل النبوة عند تفسير قوله تعالى :
 ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً﴾ . /الأحزاب : ٧ .
 وابتدأت المرحلة الثانية في الخلق : مرحلة الطين ، كيف ؟
 أخذ مولانا التراب وأسقط عليه ماء الحزن مئة سنة ، ثم أسقط عليه ماء الفرح ثلاث سنوات حتى صار التراب طيناً ، ثم تركه ماشاء الله تعالى ، حتى أصبح في المرحلة الثالثة للخلق وهي مرحلة : الحمأ المسنون : طين أسود منتن لازب (ملتصق بعضه ببعض) .

وفي المرحلة الرابعة أخذ بصناعة سيدنا آدم ، وسمي آدم لأنه خلق من أديم الأرض (من ترابها) ، وبدأ خلقه من القدمين .

وانظروا إلى هذا التشريف ، اسمع كيف شرفك مولانا عز وجل ، خلقتك بيديه ، لم يفعل كما فعل مع الملائكة : أخذ قبضة من النور وقال كوني فكانت ، ﴿كن فيكون﴾ /يس : ٨٢/ ، ولا فعل كما فعل مع الجن أخذ قبضة من نار وقال كوني فكانت ، لا ، بل صنعك بيديه ، هل عرفت قدرك عند الله ؟ لذا أنت مكتوب على قلبك هذا خلق الله .

ومن القدمين إلى الساقين ارتقى حتى سواه إنساناً كاملاً مستوياً متناظراً جميلاً قائماً في أحسن صورة وأبهى منظر طوله ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع ، وتركه حتى يجف ويصبح صلصالاً كالفخار ، وفي كل يقول مولانا عز وجل :

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ /الحجر : ٢٩/ .

وجاءت الملائكة قبل نفخ الروح في أبينا آدم لتبارك إلى الله بالخلق الجديد ، وجاء معهم إبليس ، إبليس ليس ملكاً ، إبليس قال عنه مولانا بأنه : ﴿كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ /الآية : ٥٠/ .

ولكنه كان رئيس كوكبة من الملائكة قال : لكثرة عبادته وجمال مناجاته لله تعالى حتى قيل : إنه لم يترك مكاناً في السموات أو في الأرض لم يسجد فيه لله تعالى ، لما رأى جسد سيدنا آدم راح يتفحصه ، يدخل من فمه ويخرج من دبره ومن أنفه ، ثم قال : لأمر ما خلقتك الله ؟ ! ، ثم قال للملائكة :

- هذا الجسد ضعيف (سيقع وينكسر) . قالت الملائكة : ولم ؟ قال : لأنه أجوف وليس صمداً . ﴿قل هو الله أحد﴾ ، الله الصمد . . . ﴿/الإخلاص ١-٢/ الله صمد لا جوف له ، وسيدنا آدم له جوف أي ليس صمداً (١) ، قالت الملائكة : ماذا تقول يا إبليس هذا خلق الله ؟ (استحي من الله تعالى)

(١) - مسلم (٢٦١١) ورد في صحيح مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله * قال : «لما صور الله تعالى آدم في الجنة ، تركه ما شاء الله أن يتركه ، فجعل إبليس يضيف به ، ينظر إليه ، فلما رآه أجوف ، عرف أنه خلق لا يتمالك» أحمد في المسند (٣/ ١٥٢ ، ٢٢٩) .

قال إبليس : لئن سلطت عليه لأهلكنه ولئن سلط علي لأعذبنه .
وهنا بدأ التشريف الرابع : نفخ الروح ، فلم يأخذ له مولانا من أرواح
الحيوان والطيور ، أو من أرواح بقية المخلوقات ، لا ، ولكن خلق له روحاً
ونسبها إلى ذاته فقال : ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ / الحجر ٢٩ . فالروح
التي فيك سرٌّ من أسرار الله لا يعرف عنها أحد ﴿ قل الروح من أمر ربي ﴾
/ الإسراء : ٨٥ .

فنظرت الروح فلم تدر من أين تدخل إلى جسد أبينا آدم ، فسألت
مولانا : يارب من أين أدخل . قال لها : ادخلي كرهاً وستخرجين كرهاً .
قال فدخلت من يافوخه (من رأسه) فلما وصلت الروح إلى عينيه نظر
آدم إلى نفسه كيف يحوله الله تعالى إلى لحم ودم ، فوصلت الروح إلى أنفه
فعطس ، فلما وصلت إلى فمه قال :
الحمد لله رب العالمين . فقال له مولانا : رحمك ربك يا آدم ولهذا
خلقتك . (صحيح حب- حا ووافقه الذهبي) .

وصارت الروح تدخل أعضاء سيدنا آدم حتى قام حياً لحمياً ودمياً ، وما
إن قام حياً حتى سجد له الملائكة سجود تحية واحترام وطاعة لمولانا إذ أمرهم
من قبل : فقال : ﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين .
فسجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس (قال عنه مولانا) : أبى أن يكون
مع الساجدين ﴾ / الحجر : ٢٩ - ٣٠ - ٣١ .

وعلى الموجه الإيمانية من سورة البقرة : ﴿ إلا إبليس أبى واستكبر
وكان من الكافرين ﴾ / البقرة : ٣٤ .
فقال له مولانا عز وجل :

﴿ يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين ، قال لم أكن لأسجد
لبشر خلقتة من صلصالٍ من حمأ مسنون ﴾ / الحجر : ٣٣ .

وعلى الموجة الإيمانية من سورة الأعراف قال مولانا :
﴿قال : مامنعك ألا تسجد إذا أمرتك؟ قال : أنا خير منه خلقتني
من نار وخلقته من طين﴾ /الأعراف : ١٢/ .

وعلى الموجة الإيمانية من سورة ص :
﴿قال : يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدي أستكبرت أم
كنت من العالين قال : أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ /
ص : ٧٥-٧٦/ .

إذاً المسألة مسألة : أنا ، بدأها إبليس هناك واستمرت حتى الآن ،
كانت فردية وأصبحت دولية ، أصبحت عنصرية ، كل أمة اليوم تدعي أنها
شعب الله المختار ، ألمانيا تقول أنا الشعب الآري أفضل عنصر من عناصر
البشر ، إسرائيل تردد اليوم بأنها شعب الله المختار ، أمريكا تقول : نحن لسنا
شعب الله المختار ، لا بل نحن الله نفسه ، وحين قالت أمريكا ما قالت
راحت روسيا وبلدان المشرق تقول : ونحن نكفر بالله والعياذ بالله .
وكلها معركة التكبر ، والعنصرية التي ابتدأها إبليس بقوله أنا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين .

هذه المعركة معركة نوعية الجنس : أنا ابن فلان ، أنا من بلد كذا ،
هؤلاء جميعاً ينضمون لإبليس ، وهذه الدعوى الإبليسية نهى عنها مولانا ،
وبين أن الأفضلية للتقوى فقال تعالى :
﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا (لا لتتنافروا) إن أكرمكم عند
الله أتقاكم﴾ /الحجرات : ١٣/ .

لذلك كل إنسان يقيس نفسه بالشبر وبالسنتمتر يقول لك : معي
١٠٠ مليون فأنا نصف إله ، وآخر معه ٢٠٠ مليون يقول أنا ثلاثة أرباع إله ،
والثالث معه ٥٠٠ مليون يقول لك أنا الإله بنفسه وكلهم يرون بقية العباد
دوداً تمشي على الأرض أو صراصير .

هذا الموقف أصل الكبر ، وزعيم هذا المذهب إبليس لما قال : أنا خير

منه ، ونحن عندما نبدأ بالتفاخر بالأنساب والأحساب والبلدان والأموال والمناصب والأموال نكون متكبرين على عباد الله تعالى ، وكم من أصنام الآلهة يمشون على الأرض متكبرين متجبرين ، ولذا حذرنا سيدنا رسول الله ﷺ فقال : «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» (م) .

وقال أيضاً : «من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر أكبه الله على وجهه في النار» (أحمد - طب - صحيح) .

ويقول جدي سيدنا الحسن رضي الله عنه : «عجباً لابن آدم يغسل الخبز بيده في اليوم مرتين ثم يتكبر على جبار السموات والأرض» .
وقال سيدنا محمد بن الحسن بن علي رضي الله عنهم : ما دخل قلب رجل شيء من الكبر إلا نقص من عقله بقدر ذلك .
واسمع معي حبيبك ﷺ يقول :

«من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه» (ق) ، وحدثنا عن رجل

فقال :

«بينما رجل يتبختر في برديه أعجبته نفسه خسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة» خ (٥٧٨٩) م (٢٠٨٨) .

فالمتكبرون ليسوا موحدين ، لأن الموحد خاضع متواضع لله ، إنهم عبدوا إبليس ، فهل أمرنا مولانا بهذا ، أليس قد قال لنا : «ألم أعهد إليكم يا بني آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين» / : ٦٠ .

الكبر على عباد الله بدأ به إبليس بقوله : أنا خير منه ، وإن معصية الكبر معصية عظيمة ، اسمع إلى مولاك يقول : «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري من نافسني فيهما قصمته ولا أبالي» م (٢٦٢٠) د (٤٨٠) ج (٤١٧٤) أحمد (٢/ ٢٤٨) .

والتكبر قلما يوفق في حياته مالم يتنازل عن كبره وصلفه ، وسوف تتابع عليه الضربات القاصمة من مولانا وإليكم الدليل :
زعيم الكبر إبليس أول ضربة أصابته مانقله لنا مولانا في كتابه

الكريم : الضربة القاصمة الأولى : إخراجهم من السموات العليا قال تعالى :
﴿قال فاهبط منها فما يكون لك أن تكبر فيها فخرج إنك من الصاغرين﴾ / الأعراف : ١٣ .

الضربة الثانية جعله شيطاناً رجيماً ملعوناً إلى يوم الدين ، قال تعالى
﴿قال فأخرج منها فإنك رجيم وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين﴾ /
الحجر : ٣٥ / وفي سورة (ص) ﴿وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾ / ص :
/ .

وهنا إبليس طلب من مولانا أن يمهله إلى يوم القيامة فقال :
﴿رب أنظرني إلى يوم يبعثون .

قال : فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ .
وهنا إبليس اللعين قال لمولانا عز وجل :

﴿فبعزت لك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ ، (وفي
سورة الأعراف) : ﴿قال فيما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم
لأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد
أكثرهم شاكرين﴾ . (فقال له مولانا عز وجل) : ﴿فالحق والحق أقول لأملأن
جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين﴾ (وفي سورة الإسراء) ﴿قال فاذهب
فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم موفوراً ، واستفزز من استطعت منهم
بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم في الأموال والأولاد
وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً﴾ .

أيها الإخوة الكرام : هذه الضربات القاصمة سوف ينالها كل متكبر
كما نالها زعيمه إبليس ، فكيف دخل أبونا آدم الجنة؟ كيف تزوج السيدة
حواء؟ كيف زاده الله تعالى تشریفاً؟ أعلق هذه الأسئلة إلى الجمعة القادمة
إن شاء الله تعالى وأعود بكم إلى هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها
عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

عَلَيْهَا أَدَمُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
وزواجه
من السيدة حواء
- 21 -

الحمد لله الذي ابتدأ الإنسان بنعمته وصوره بيده كيف يشاء بحكمته وجعل له السمع والأبصار ، وأخرجه من ظلمة العدم إلى سعة الأرض والفضاء ورباه بإحسانه وغذاه بنعمه وأجرى له رزقه إلى أن صيره إلى ما إليه صار ، ونقله من حال إلى حال وحفظه بالليل والنهار حتى إذا بلغ حد التكليف طلب منهم العبادة عبداً وأحراراً .

أحمده سبحانه وتعالى على كل حال حمداً يفوق حمد الحامدين بعدد ما هبَّ ودبَّ وطار ، وأشكره شكراً كثيراً يوجب المزيد من النعم والالحق بالأبرار .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا وزير ولا مثيل وهو الموحّد القهار ، شهادة نحيا عليها ونموت عليها ونبعث عليها يوم البعث والانتشار .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله رافع دين الإسلام وماحق دين الكفار .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه بعدد ما أظلم عليه الليل وأضاء عليه النهار وسلم تسليمًا .
أما بعد :

فنحن اليوم ننزل ضيوفاً على أبي البشر مع الحلقة الحادية والعشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد (لا إله إلا الله) .
وخير ما نستهل به حلقتنا تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين ، قالوا : سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فلما أنبأهم بأسمائهم قال : ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾ / البقرة ٣٠ - ٣٣ .
أيها الإخوة :

هذه الآيات الكريمات الثلاثة ذكر فيها مولانا شرف سيدنا آدم على الملائكة بما اختصه به من علم أسماء كل شيء ، فقد علمه مولانا كل شيء خلقه مولانا عز وجل وما سيخلقه : جبل - سماء - شمس - قمر - ملك - جن - سهل - بحر . . . وغيرها ، ومن هنا عرفت الملائكة أن مولانا عز وجل فضل عليهم سيدنا آدم في العلم ، هذه الأفضلية بينها مولانا في كتابه : ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ / المجادلة : ١١ . ولهذا يقول سيدنا رسول الله ﷺ : «فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم» (ت حسن صحيح) .

«وفضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب» (هـ : صحيح) .
ولهذا فالذين يرثون النبوة هم العلماء : «العلماء ورثة الأنبياء» (د - ت - حب - حا) (١) .

كان هناك تشريف عظيم آخر ينتظر سيدنا آدم ، فبينما طرد إبليس من السموات العلى ، نجد أن مولانا كرم سيدنا آدم فأدخله الجنة ، وجعله يتمتع بكل ما فيها ، ورأى نفراً من الملائكة في الجنة ، فقال له مولانا : أتت هؤلاء الملائكة فقل لهم : السلام عليكم ، فأتاهم فقال : السلام عليكم . فقالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه عز وجل فقال له : «هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم» .

ورأى سيدنا آدم الجنة وما فيها من العجائب ، لكنه مع ذلك شعر بالوحشة ، وجد نفسه وحيداً فألقى اللَّهُ عليه النوم ، وأخذ ضلعه الأيسر المعوج ووضع مكانه لحماً ، وخلق من الضلع السيدة حواء ، وهذا معنى قول مولانا : ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ / النساء : ١ .

فلما هب سيدنا آدم من نومه رأى خلقاً جميلاً إلى جنبه فسألها : من أنت؟! قالت : امرأة . قال : ولم خلقت ، قالت : لتسكن إلي ، وهنا سألتها الملائكة ليروا مبلغ علمه فقالوا : ما اسمها يا آدم؟ فقال : حواء ، قالوا : ولم . قال : لأنها خلقت من شيء حي . وألقى مولانا عليه الشهوة ، فقال آدم : يارب زوجنيها ، قال : فأمهرها . قال : ومأمرها . قال : وكان مكتوباً على ساق العرش لا إله إلا اللَّهُ محمد رسول الله : قال : إن مهرها أن تصلي على محمد عشر مرات ، قال : إن فعلت تزوجنيها؟ قال : نعم (ض) ، فصلى سيدنا آدم على سيدنا محمد عشر مرات فكان مهر السيدة حواء ، وكان الشهود الملائكة وكان الذي عقد العقد مولانا رب العالمين .

وأمرهما مولانا بالتمتع بكل شيء في الجنة ، وأن يأكلا منها إلا من شجرة القمح ، يقول عز وجل :

﴿ وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ﴾ / البقرة : ٣٥ .

أيها الإخوة الكرام :

استعدوا اليوم ، فنحن على موعد لزيارة أبينا آدم في بيت الزوجية ، إنه مع زوجته السيدة حواء في سكن غير مستأجر ، لم يدفعاً فروغاً ولا خلواً ، وإنما أسكنهما في جنته من يقول للشيء كن فيكون ، واسمحو لي أن أذيع عليكم وقائع هذا الدرس من سورة طه ، فمن البقرة إلى طه ، وعلى الموجات العاملة من سورة طه أنقل لكم درس اليوم :

﴿ وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى ، فقلنا :

يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما من الجنة فتشقى . إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وأنت لا تظمأ فيها ولا تصحى ﴿ طه : / .

تعالوا نسلط الأشعة الهادئة الكاشفة على هذه الآيات :

مولانا في عليائه ينصح أبانا آدم : إن هذا : اسم إشارة يدل على القريب كأن الشيطان أمامه يراه مرأى العين ، إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجكما : أنت وزوجك .

فلا يخرجكما من الجنة فتشقى : وانتبهوا إلى قوله تعالى ، لم يقل مولانا فلا يخرجكما من الجنة فتشقى بل قال : فتشقى أنت وحدك ، أنت وحدك ستشقى يا آدم .

ولماذا لا تشقى حواء معي ، لأن السيدة حواء أنثى ، والأنثى مكانها البيت ، وأما أنت فإذا خرجت من الجنة فسوف تشقى في مناكب الحياة ، سعياً وراء لقمة العيش ، سعياً وراء النفقة ، سعياً وراء الكسوة . . . أما الأنثى فمخلوقة من ضلع الرجل لاشقاء عليها ولا سعي ولا ركض ولا حر ولا برد ولا غلاء أسعار ، ولا مواصلات . . . أنت الذي ستذوق ذلك وحدك يا آدم .

هل وقفت معي على هذا المعنى ، أن الرجل تقع على كاهله أعباء الحياة ، وأن المكان الصحيح للمرأة هو بيتها ، ألستم معي أن هذه الآية الكريمة تشير إشارة واضحة وتلمع إلماعة ساطعة وتومئ إيماءة لا ريب فيها ، أن الرجل هو المسؤول عن المرأة وأن المرأة مكانها هو بيتها ، ولهذا يقول ﷺ :

«أيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى تتوب أو ترجع» (ض) .

ومازلت أذكر هذا المشهد الذي حدث أيام سيدنا رسول الله ﷺ (طب ضعيف من طريقين) :

أحد الصالحين يخرج متاجراً ، فأوصى زوجته قبل خروجه ألا تخرج من بيتها حتى يعود من سفره ، وصية وثيقة لا تخرجي حتى أعود .

ويأتي أخوها يخبرها أن أباه مريض ، ويطلب منها أن تخرج لتعوده ، فتتذكر وصية زوجها ، فتقول لأخيها :

- إن زوجي أوصاني ألا أخرج حتى يعود من سفره ، فإذهب إلى رسول الله ﷺ فاستأذنه ، اذهب إلى ولي أمر المؤمنين أجمعين :

﴿النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم﴾ / الأحزاب : ٦ / .

وذهب أخوها إلى مولانا سيدنا محمد ﷺ يستأذنه ، أتدرون ما قال له سيدنا رسول الله ﷺ ، إن رسول الله رأى أن في ذهابها إلى بيت أبيها شيئاً ولو قليلاً من الاعتداء على حق الزوج ، فقال له :

- يا هذا أخبر أختك أن طاعتها لزوجها خير من زيارتها لأبيها .
فماذا قالت ؟ - قالت : سمعاً وطاعة لله ورسوله .

وبعد أيام مات أبوها ، وجاءها أخوها لتشهد الفصل الأخير من حياة أبيها ، الذي عما قليل سيطوى بين أطباق الثرى ، ليتوسد التراب ويقدم مائدة إلى ديدان الأرض ، فقالت له :

- و الله يا أخي لا أذهب حتى تستأذن لي رسول الله ﷺ .

وذهب أخوها ، وعرض أمرها على سيد المرسلين ، على النبي الأمين ، على الأمي الذي علم المتعلمين ، على اليتيم الذي بعث الأمل في قلوب اليائسين ، على الفقير الذي أغنى الأغنياء بالإيمان العظيم ، فقال له حبيب الله :

- يا هذا أخبر أختك أن طاعتها لزوجها خير لها من أن تشهد جنازة أبيها .

والتي هنا يسدل الستار على هذا المشهد المهيّب ، على هذه الصورة النسائية العظيمة ، على هذه المرأة التي لم تتخرج من جامعة دمشق ولا من كلية العلوم ولا من كلية الفنون ، ولا من مدارس الفرنسيين أو الفريير ، وإنما تخرجت من مدرسة سيدنا محمد ﷺ مدرسة كتب على بابها :

﴿وانك لعلى خلق العظيم﴾ / ن : ٤ / على مدرسة قال عنها صاحبها :

«إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» (حسن لغيره) (١) .

(١) - وعند الإمام مالك في الموطأ «إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق» .

لكنني بعد أن أسدلت الستار على هذا المشهد رأيت مشهداً أعجب وأعظم من هذا الفصل ، فقد حضر زوجها من سفره ، وأخبر الخبر ، وسرعان ما ذهب إلى سيدنا محمد ﷺ وعرض عليه ما فعلته زوجته من السمع والطاعة لله ورسوله ، رسول الله الذي قال عنه مولانا : ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً﴾ / النساء : ٦٥ .

وإذا بسيدنا محمد ﷺ يصدر حكمه ، وحكم رسول الله لا يقبل نقضاً لأنه مبـرم ، ولا يقبل استئنافاً لأنه محكم ، قال له الحبيب الأعظم (صلوا عليه) : - يا هذا أخبر زوجتك بأن الله قد غفر لأبيها إكراهاً لطاعتها لك .

لتسمع النساء : غفر الله لأبيها ، ولهذا يقول ﷺ : «إذا صلت المرأة خمسها ، وحصنت فرجها وأطاعت بعلها دخلت من أي أبواب الجنة شاءت» (طس ٢/ ١٦٦ حب أحمد ١٦٦١ أبو نعيم ٦-٣٠٨ وهو حديث حسن) .

ولذلك يجب على الأب أن يبحث لابنته عن رجل مؤمن غير متكبر ، غير فاسق وليسمع الآباء ماذا يقول الإمام الشعبي ، يقول : «من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها» .

ويقول جدي سيدنا الحسن : «لا تزوج ابنتك إلا لتقي ، إن أحبها أكرمها ، وإن كرمها لم يظلمها» .

فإذا خطبت الفتاة كان على والديها أن يقدموا لها نصيحة الطاعة لزوجها ، فمن الذي وصى أمنا حواء بحسن المعاشرة لأبينا آدم؟ ، إنه الله ، من الذي علم آدم سنن الأخلاق الزوجية ، إنه الله ، (وحدوا الله) .

ولأجل ذلك ما يزال یرنُ في أذني صوت هذه السيدة العربية (أمامة بنت الحارث) التي أوصت ابنتها ليلة زفافها بتلك الوصية الحكيمة البليغة المؤثرة الموجزة إيجازاً بليغاً، لكنها احتوت على معنى كريم، وغال لا يشق له غبار، قالت لابنتها: .. يا ابنتي كوني لزوجك أرضاً يكن لك سماء، وكوني له أمةً يكن لك عبداً، واحفظي له خصلاً عشراً يكن لك ذخراً.

(النساء في عصرنا توصي بناتها: خاصمي زوجك وصالحي بيت حماك، قصقصي طيرك ليلف غيرك، كتر الدلال يهرب العاشق، ياماً منا بالرجال يا أمنا بالملي بالغربال، لا تأخذي من الأصلع لا رأي ولا نصيحة لو كان الله بوجه لخلق رأسه صحيحة).

وصايا مارواها أبو هريرة ولا رواها ابن عمر، وإنما روتها الشياطين، واسمعوا الوصايا العشر من هذه المرأة فإن وصاياها نابعة من شعب الإيمان: قالت المرأة لابنتها: واحفظي له خصلاً عشراً يكن لك ذخراً:

أما الأولى والثانية: فالخشوع له بالقناعة وحسن السمع له والطاعة. وأما الثالثة والرابعة: فتفقدني مواضع عينيه وأنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب ريح.

وأما الخامسة والسادسة: فتفقدني أوقات طعامه ومنامه، فإن شدة الجوع مذهب، وتنغيص المنام منغصة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس لماله وحسن الإرعاء لخدمه وعباله. وأما التاسعة والعاشرة: فلا تفشي له سرّاً ولا تعصي له أمراً، إنك إن أفشيت سره أو غرت صدره وإن عصيت أمره لم تأمني غدره.

ثم قالت لها بعد ذلك:

- يا ابنتي إياك أن تغتمي وتحزني إذا رأيته مسروراً ، وإياك أن تضحكي وتُسري إذا رأيته حزيناً .

كلمات تكتب بماء الذهب ، ولذلك رأينا رسول الله ﷺ يقول :
«لو كنت امرأةً أحداً أن يسجد لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها» . . (لعظم حقه عليها) ت (١١٥٩) حب (١٢١٩) وحا ووافقه .

ولا يفوتني أن أذيع عليكم وصايا رسول الله ﷺ للأزواج فقد قال لنا :
«استوصوا بالنساء خيراً» (م ١٤٦٨) .

وقال : «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ولطفهم بأهله .»
(ت ٢٦١٢) .

«وعاشروهن بالمعروف» / النساء : ١٩ / .

أيها الإخوة الكرام :

باليابسة عنكم وبالأصالة عن نفسي أستأذن أبانا آدم قبل أن يخرج من الجنة ، أستأذنه بالعودة فإنه يعز على نفسي أن أراه خارجاً وتحت إبطه أمنا حواء إلى هذه الأرض ، ولذا أبادر على جناح السرعة إلى هناك حيث رسول الله ﷺ ثم إلى هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



وفاة سيدنا آدم

عليه الصلاة والسلام

وشيث - وإدريس

- ٢٢ -

الحمد لله منزل القرآن ، وخالق الإنسان معلمه البيان الذي استوى
على العرش ، وزين السماء بالكواكب وجعلها رجوماً لكل شيطان ، قضى
وقدر وأخرج سيدنا آدم من الجنة فلا قائل لتقديره لم كان ، فسبحان من
سبّحته غرائب اللغة باختلاف الألفاظ ، أحمدته على نعمه التي عمت الآباء
والأبناء والإخوان . وأشكره والشكر أولى ما استعمل فيه الإنسان اللسان
والجنان والأركان ، وأستعينه وأستهديه ، فما خاب من استهداه واستعان .
وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له شهادة من علم أنه خلق
الزمان والمكان .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المبعوث بأحسن الأديان ،
المنعوت في التوراة والإنجيل بالصفات الحسان .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد سيد الإنس والملك
والجان ، وعلى آله وأصحابه الذين نصره فكانوا نعم الأ نصار والأعوان ،
وسلم تسليمًا .

أما بعد

فيأيتها الإخوة الكرام
تركت معكم في الجمعة الماضية سيدنا آدم وأمناء حواء في جنة المأوى

أو جنة النعيم ، وهذا من الإكرامات الإلهية العديدة التي أكرم بها مولانا أبانا سيدنا آدم ، لكن إكراماً عظيماً آخر كان ينتظره .

١- «إذ أن مولانا مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية ثم قال : هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح ظهره ثانية فاستخرج منه ذرية وقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون» (ض) ، ثم أشهدهم على أنفسهم وقال لهم : اعلموا أن لا إله غيري ، ولا رب غيري ، ولا تشركوا بي شيئاً ، وإني سأرسل إليكم رسلاً ينذروكم عهدي وميثاقي وأنزل عليكم كتابي ، قالوا : نشهد أنك ربنا وإلهنا لارب غيرك .

فأقروا يومئذ بالطاعة ، ورفع سيدنا آدم نظره إليهم فرأى فيهم الغني والفقير وحسن الصورة ودون ذلك ، فقال : يارب لو سويت بين عبادك . فقال : إني أحببت أن أشكر .

ورأى فيهم الأنبياء عليهم النور مثل المصابيح ، فأخذ عليهم ميثاقاً آخر من الرسالة والنبوة وهو قوله «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً» الأحراب : ٧ .

٢- «ورأى سيدنا آدم رجلاً منهم فأعجبه النور الذي بين عينيه فقال : أي رب من هذا؟ قال هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود . قال : يارب وكم جعلت عمره؟ : قال ستين سنة . قال : أي رب قد وهبت له من عمري أربعين سنة» (ت ٣٠٧٦ حب ٢٠٨٢ ح ٢ / ٣٥٢ هب ١٠ / ١٤٧) (حسن صحيح) .

٣- «وفي هذا الإكرام العظيم يقول مولانا عز وجل : «وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين» / الأعراف : ١٧٢ / والحديث اسناده حسن .

وكان مولانا عز وجل قد أعطى الأمر لأبينا آدم وأمنا حواء فقال :

﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ / البقرة : ٣٥ .

وهنا حسد إبليس سيدنا آدم على هذه المكانة العظيمة، كيف يطرد هو، وسيدنا آدم يدخل الجنة، وسيدنا رسول الله يقول : «لا يزال الناس بخير ما لم يتحاسدوا، ولا يجتمع في جوف عبد الإيمان والحسد» (طب ٨ / ٣٦٩ مجمع ثقات).

الحسد جعل إبليس يسعى في المكر والخديعة والوسوسة لأبويننا ليسلبهما ما هما فيه من النعمة قال ﴿يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى﴾ / طه : ١٢٠ . قال : نعم .

قال أن تأكل من شجرة القمح، واسمعوا كيف إذا قدر الله تعالى أمراً لا ينفذ إلا قضاؤه وقدره، مولانا في عليائه من قبل أن يخلق سيدنا آدم قال : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ / البقرة : ٣٠ / يعني آدم سيهبط من الجنة إلى الأرض، والله تعالى لا يظلم فجعل لذلك سبباً، ما هو السبب؟ جعل سيدنا آدم ينسى العهد الذي أخذه على نفسه بعدم الأكل من الشجرة، وهذا التقرير ذكره مولانا في كتابه فقال :

﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ / : / .

وراح إبليس ليشغله عن تذكر هذا العهد يحلف له ولأمناء حواء الأيمان الكاذبة ويغريهما بالخلود والبقاء في الجنة ﴿وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين . فذلاهما بغرور﴾ / الأعراف : ٢١ - ٢٢ .

وكان أول من أكل أمناء حواء وراحت تنصح أباناً آدم أن يأكل منها، فتركها وأكل من شجرة أخرى من أشجار القمح، ولهذا يقول ﷺ : «لولا حواء لم تخن أنثى زوجها» خ (٣٣٣٠) .

وما إن أكلا منها حتى ﴿بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة﴾ / الأعراف : ٢٢ ، وندم سيدنا آدم (استحياء من الله تعالى)، وراح يركض مولياً في الجنة، وكان كثير الشعر فعلمت شجرة

بشعره ، فناداه مولانا : يا آدم أمني تفر . قال : لم أفر يا رب ولكنني استحييتك . قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك .

﴿ ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين ﴾ / الأعراف : ٢٢ .

قال : بلى يارب ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً ، وقد أمرتني حواء بذلك .

قال : فإنني قد أعقبتها ألا تحمل إلا كرهاً ولا تضع إلا كرهاً قال فصرخت السيدة حواء عند ذلك ، فقال مولانا : فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كذاً .

﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ / البقرة ٣٦ . ﴿ قال : فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون ﴾ / الأعراف : ٢٥ .

وأهبط سيدنا آدم في الهند ، والسيدة حواء في جدة ، ثم اجتمعا في عرفات وكان أول طعام أكل آدم من الأرض أن جاءه جبريل بسبع حبات من القمح وأمره أن يبذرهما ، فبذرهما فنبئت فحصده ثم درسه ثم ذراه ثم طحنه ثم عجنه ثم خبزه فأكل بعد جهد عظيم وتعب ونصب .

وكان أول كسوتهما من شعر الضأن جزاه ثم غزلاه ولبساه .

وأنزل مولانا من الجنة خمسة أنهار سيجون وجيحون ودجلة والفرات والنيل ، أنزلها من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس .
أيها الإخوة :

مكث سيدنا آدم في الجنة مئة عام ، وبكى على الجنة سبعين عاماً ، وعلى خطيئته سبعين عاماً ، فما كان على سيدنا آدم مع هذه المكانة التي هو عليها أن ينسى هذا العهد ، ولأجل ذلك راح يستغفر ويتوب ويقول : اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً كبيراً فاغفر لي إنك خير الراحمين . وقد ذكر

مولانا استغفار أبينا آدم فقال : ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ / الأعراف : ٢٣ .

وهنا توجه سيدنا آدم فقال : أي رب ألم تخلقني بيدك؟ قال : بلى .
قال : ألم تنفخ في من روحك؟ قال : بلى . قال : أي رب ألم تسكنني جنتك . قال : بلى . قال : ألم تسبق رحمتك غضبك . قال : بلى . قال : أرأيت إن تبت وأصلحت ، أراجعي أنت إلى الجنة . قال : بلى . (حا ووافقه) واسمع إلى قول مولانا عز وجل :

﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ / البقرة : ٣٧ .

وبدأ سيدنا آدم يغرس الأشجار ويحفر الآبار ويعمر الديار، فولدت له السيدة حواء تسعاً وثلاثين ولداً في عشرين بطناً ، في كل بطن ذكر وأنثى غير سيدنا شيث فإنه ولد في بطن وحده، وكان في جبهته نور المصطفى ﷺ وما زالوا يتوالدون في مدة حياته حتى بلغ عددهم نحواً من أربعين ألفاً، وقد أرسله الله إليهم، (فسيدنا آدم نبي ورسول على الراجح) .

وكان سيدنا آدم يزوج ذكر كل بطن بأنثى الآخر، فأراد هابيل أن يتزوج بأخت قابيل، وكان أكبر من هابيل وأخت هابيل أحسن ، فأراد قابيل أن يستأثر بها على أخيه وأمره آدم أن يزوجه إياها فأبى ، فأمرهما أن يقربا قرباناً .

فقرب هابيل - وكان راعياً - جذعة سمينة ، وقرب قابيل حزمة من زرع من رديء زرع ، فنزلت نار فأكلت قربان هابيل دلالة على قبوله وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلك حتى لا تنكح أختي ، فقال :

﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾ / المائدة : ٢٧ .

أيها الإخوة الكرام

اسمحو لي أن أنقل لكم هذا المشهد على الموجة الإيمانية من سورة

المائدة، فإن الأمر جد خطير، وسوف يحدث لأول مرة على الأرض حادثة شنيعة ، يقول عز وجل :

﴿واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال : لأقتلك . قال إنما يتقبل الله من المتقين . لن بسطت إلي يديك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، اني أخاف الله رب العالمين . اني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سواة أخيه، قال : يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سواة أخى، فأصبح من النادمين﴾ / المائدة : ٣١ .

ودفنه في جبل قاسيون شمالي دمشق في مغارة الدم في جبل الأربعين . وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في ترجمة أحمد بن كثير وقال (إنه كان من الصالحين) وأنه رأى النبي ﷺ وأبا بكر وعمر وهابيل، وأنه استحلف هابيل أن هذا دمه فحلف له، وذكر أنه سأل الله تعالى أن يجعل هذا المكان يستجاب عنده الدعاء، فأجابه إلى ذلك، وصدقه في ذلك رسول الله ﷺ وقال : إنه وأبا بكر وعمر يزورون هذا المكان في كل يوم خميس . الرؤى لا يثبت أياً كان الرائي . قال الألباني في فضائل الشام ودمشق : محض افتراء وكذب . ولا يثبت - .

أيها الإخوة الكرام

وحزن أبونا آدم حزناً شديداً على ابنه هابيل، وقد عوجل قابيل بالعقوبة يوم قتل أخاه فتعلقت ساقه إلى فخذه، وجعل وجهه إلى الشمس كيفما دارت، تنكيلاً به وتعجيلاً لذنبه وحسده لأخيه، وقد ورد في الحديث عنه ﷺ : «ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم» (د - أحمد ، هـ ٤٢١١)

أيها الإخوة :

عاش سيدنا آدم ٩٦٠ سنة، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه : (زوائد المسند ٥/ ١٣٦ - ابن سعد ١/ ٣٩ ح: ٢/ ٥٤٥ مجمع الهيثمي ٨/ ٢٠٢) . إني أشتهي من ثمار الجنة ، فذهب بنوه يطلبون له ذلك .

وعهد سيدنا آدم إلى ابنه شيث وعلمه ساعات الليل والنهار، وعلمه عبادات تلك الساعات وأعلمه بوقوع الطوفان بعد ذلك كما أعلمه أنه مقبوض ، وراح يوصيه الوصية الأخيرة . واسمعوا وصايا سيدنا آدم لولده شيث وخليفته من بعده في النبوة قال :

«أي بني أنت خليفتي من بعدي فخذها بعمارة التقوى والعروة الوثقى فكلما ذكرت الله فاذكر إلى جنبه اسم محمد ﷺ ، فإنني رأيت اسمه مكتوباً على ساق العرش وأنا بين الروح والطين ، ثم إني طفت السموات فلم أر في السموات موضعاً إلا رأيت اسم محمد مكتوباً عليه ، وإن ربي أسكنني الجنة فلم أر في الجنة قصراً ولا غرفة إلا اسم محمد مكتوب عليه ، ولقد رأيت اسم محمد مكتوباً على نحور الحور العين ، وعلى ورق قصب أجسام الجنة ، وعلى ورقة شجرة طوبى ، وعلى ورق سدرة المنتهى وعلى أطراف الحجب وبين أعين الملائكة فأكثر ذلك فإن الملائكة تذكره في كل ساعاتها » .

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ / الأحزاب : / .

«وبحث بنوه عن بعض ثمار الجنة فاستقبلتهم الملائكة ومعهم أكفانه وحنوطه ، ومعهم الفؤوس والمساحي والمكاتل ، فقالوا لهم :

- يا بني آدم ما تريدون وما تطلبون ؟ قالوا : أبونا مريض واشتهدى من ثمار الجنة ، فقالوا : ارجعوا فقد قضى أبوكم ، فجاءوا فلما رأتهم حواء

عرفتهم فلاذت بآدم . فقال : إليك عني فإنني إنما أتيت من قبلك فخلي بيني وبين ملائكة ربي عز وجل ، ثم التفت إلى الملائكة الكرام فقال :

أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قالوا : أولم تعطها ابنك داود ، قال فجحد آدم ، فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنست ذريته . وأتمها له مولانا ألفاً ولولده داود مئة سنة .

فقبضوه وغسلوه وكفنوه وحنطوه وحفروا له ولحدوه وصلوا عليه ، وكبروا عليه أربعاً ، ثم أدخلوه قبره فوضعوه فيه ثم حثوا عليه التراب ، ثم قالوا : يا بني آدم هذه سنتكم (صحيح) .

والمشهور أنه دفن عند الجبل الذي أهبط فيه في الهند ، وقيل بجبل أبي قبيس في مكة .

أيها السادة الكرام :

قام بأعباء الأمر بعد أبينا آدم ولده سيدنا شيث ، وكان نبياً بنص الحديث الذي رواه ابن حاتم عن أبي ذر مرفوعاً : أنه أنزل عليه خمسون صحيفة .

ثم كان أول نبي بعدهما سيدنا إدريس ، وهو أول من خط بالقلم أدرك من حياة جد جده شيث عشرين سنة .

ويسمى أخنوخ ، وإنما قيل له إدريس لكثرة دراسته في الصحف ، بعثه مولانا إلى بني قاييل وأنزل عليه ثلاثون صحيفة ، وهو أول من خاط ثياب القطن ولبسها ، وكان الناس من قبله يلبسون الصوف والجلود ، وكان إذا خاط يسبح الله تعالى عند كل غرزة ، فإذا غفل وخاط نقض ما خاطه بغير تسبيح وقد أثنى عليه مولانا ووصفه بالنبوة والصدقية وهو أحد أجداد النبي

ﷺ وقد مر رسول الله ﷺ في المعراج به وهو في السماء الرابعة ، وهذا أشار إليه مولانا في كتابه الكريم فقال :

﴿واذكر في الكتاب إدريس . إنه كان صديقاً نبياً . ورفعناه مكاناً علياً﴾ / / .

ولما صار له من العمر ٣٦٥ سنة رفعه مولانا إلى السماء ، وقيل :

إن ملك الموت استأذن ربه في زيارته فأذن له فأتى إليه في صورة رجل ، فقال له إدريس : من أنت ؟

قال أنا ملك الموت استأذنت ربي في زيارتك . فقال له إدريس : انا نبي إليك حاجة . قال وما هي ؟ قال أن تقبض روحي في هذه الساعة ، فقال له ملك الموت . إن ربي لم يأذن لي بذلك . فأوحى الله تعالى إليه أني علمت ما في نفس عبدي فاقبضها ، فقبضها .

ثم أحياه مولانا في الحال . فقال يا ملك الموت بقي لي حاجة أخرى . فقال وما هي : قال تمضي بي إلى جهنم لأنظر حولها فأذن الله تعالى بذلك ، فحمله وأتى به إلى مالك خازن النار . فأوحى الله إلى مالك بأن أوقف عبدي إدريس على شفير جهنم لينظر ما فيها ، فلما وقف إدريس ونظر غشي عليه من أهوالها ، فجاء إليه ملك الموت واحتمله إلى مكانه الذي أخذه منه ، فصار إدريس منذ ذلك اليوم لا تكتحل عينيه بمنام ، ولا يهنا بشراب ولا طعام ، واعتكف على عبادة الله تعالى ، ثم دخل محرابه وسأل الله تعالى أن يريه الجنة كما أراه النار .

فأوحى الله تعالى إلى رضوان حارس الجنان أن يدلي إليه غصناً من أغصان الجنة ، فأدلى له غصناً من أغصان شجرة طوبى فتعلق به وصعد إلى

السماء فأدخله رضوان إلى الجنة وأراه مافيها من النعيم فلما أ طال الجلوس .
قال له رضوان اخرج فقد نظرت الجنة وما فيها . فقال له إدريس ما أنا بخارج
منها . وقد قال الله تعالى ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ وقد ذقته ، وقال تعالى
﴿وإن منكم إلا واردها﴾ وقد وردتها ، وقال تعالى ﴿وما هم منها
بمخرجين﴾ فما أنا بخارج منها .

فأوحى الله تعالى إلى رضوان قل لعبدي الإريس لا يخرج منها أبداً .
وهو أول من كتب الصحف ، وأول من نظر في علم النجوم
والحساب ، وأول من عمل الكيمياء ، وأول من نظر في الطب وتكلم فيه ،
وقد انتهت إليه الرئاسة في علم النباتات وأسرار الحروف . وكان يسكن
صعيد مصر .

فمن هو النبي الثالث الذي ذكره مولانا في كتابه الكريم ، أعلق هذا
السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة باذن الله تعالى وأعود بكم من هناك
إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد
الله تعالى .



سورة التالت في الترتيب

سيدنا نوح

عليه الصلاة والسلام

- ٢٣ -

الحمد لله الذي أحاط بحوادث الدنيا والآخرة خبراً ، وجعل لكل شيء قدراً ، وأسبل على الخلائق رعاية وسترأ ، أحمدته على نعمائه شكراً ، وأسلم لقضائه صبراً .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخراً ، وأستمدّها على الأعداء نصراً .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله إلى البرية عذراً ونذراً ، فدعا إلى الله سراً وجهراً ، ونشر رحمته على العالمين نشرأ .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأدم لهم ولنا يا مولاي أجراً ، وسلم تسليماً .
أما بعد :

فحديثنا اليوم - بإذن الله تعالى - عن أول الرسل إلى الأرض ، عن نبي لقبه المؤرخون بلقب أبي البشر الثاني ، وكثير النواح والبكاء في أثناء عبادته وقيامه ، وكان أطول الأنبياء عمراً وأعطاه الله تعالى الفلك ، وعلمه صنعته وحفظه بما فيه ، وأجره فوق الماء ، وسماه عبداً شكوراً ، وجعل ذريته هم الباقين .
إننا مع الحلقة الثالثة والعشرين من سلسلة النفحات المنبرية في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع ملف النبوات ، وبالذات مع النبي الثالث الذي ذكره مولانا في كتابه الكريم ، إنه سيدنا نوح الحفيد الثالث لسيدنا

إدريس ، أو الحفيد الثامن لسيدنا آدم ، فقد مضت عشرة أجيال أو قرون كانت كلها على الإسلام ، واشتهر على مدى هذه الحقب التاريخية عباد وزهاد وصالحون انتشر ذكرهم في كل مكان ، أذكر منهم وداً وسواع ويغوث ويعوق ونسرا ، كانوا محبين في أقوامهم ، وكان ود أكبرهم ، كان رجلاً صالحاً فلما مات عكفوا حول قبره في أرض بابل (العراق) وراحوا يتبركون به ، فلما رأى إبليس فعلهم وجزعهم عليه تشبه في صورة إنسان ثم قال لهم :

إني أرى جزعكم على هذا الرجل ، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في نادىكم فتذكرونه به ، قالوا : نعم . فصور لهم مثله فوضعوه في مكان اجتماعاتهم ، وجعلوا يذكرون أقواله وأفعاله ومعروفه فلما رأى ما بهم من تذكره قال لهم :

- هل أجعل في منزل كل واحد منكم تمثلاً مثله . قالوا : نعم . قال فمثل لكل أهل بيت تمثلاً مثله ، ولكل واحد من أصحابه سواع ويغوث ويعوق ونسر ، فأقبلوا عليهم وجعلوا يذكرونهم كلما اجتمعوا مع أهليهم وأبنائهم .

ورأى أبناءهم ما فعل الآباء ، وتناسلوا ودرس وانقرض أمر ذكرهم إياهم حتى اتخذ كل منهم إلهاً يعبدونه من دون الله ، وكان أول ما عبد من دون الله ود .

وهكذا فعلت كل طائفة من الأقوام لما تناولت العهود والأزمان ، فجعلوا تلك التماثيل والصور مجسدة في حجر وطين ، ولهذا ثبت في الصحيحين عن سيدنا رسول الله أنه قال :

«إن أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجداً ثم صورو فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله عز وجل يوم القيامة» .

واسمع أيضاً إلى ما قاله سيد الخلق وحبيب الحق ، يقول :
«من صور صورة في الدنيا (يعني تمثلاً) كلف يوم القيامة أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ» (م) ٢١١٠ .

وكان يقول : كل مصور في النار (كل نحاس في النار) يجعل له بكل صورة صورها نفس فتعذبه في جهنم (م) .
ويقول مولانا في الحديث القدسي : «ومن أظلم ممن ذهب يخلق خلقاً كخلقى» (م) ، وأشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون خلق الله . ولذلك ورد : «أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون (النحاتون)» مسلم (٢١١٠) .

فإبليس زرع الأصنام في الأرض من زمن سيدنا نوح ، هذا النبي (نوح) الذي شب عابداً تقياً حامداً شاكراً ، وكان يحمد الله تعالى على كل حال له ، على طعامه وشرابه ولباسه وشأنه كله ، وهذا يكسب العبد رضى مولانا عز وجل عنه ، واسمع معي إلى حبيبك رسول الله وهو يقول :
عن أنس بن مالك (إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها أو يشرب الشربة فيحمده عليها) (م) مسلم عن أنس بن مالك رضى الله عنه .
ونشأ صائماً ذاكراً ، يقول عنه سيدنا رسول الله : صام نوح الدهر إلا يوم الفطر ويوم عيد الأضحى (هـ : ض) وكان لا يرضى ما عليه قومه من الكفر والضلال وانتشار الفساد في الأرض وعبادة الأصنام .

أيها الإخوة الكرام :
حين بلغ سيدنا نوح أربعمئة وثمانية عشرة سنة بعثه الله تعالى رسولاً إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وينهاهم عن عبادة ما سواه ، أمرهم ألا يعبدوا معه صنماً ولا تمثالاً ولا طاغوتاً ، وأن يعترفوا بوحداية الله ، لا إله غيره ولا رب سواه ، وفي هذا يقول مولانا عز وجل على الموجة الإيمانية من سورة نوح :

بسم الله الرحمن الرحيم
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم
﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب أليم . قال نوح : يا قوم إنني لكم نذير مبين . أن أعبدوا الله ، واتقوه وأطيعوه . يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى ، إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون ﴾ / نوح : ١ - ٤ / .

وهكذا بدأ سيدنا نوح دعوته بلطف ولين وبالموعظة الحسنة على عادة جميع الأنبياء والرسل ، فاستجاب له أهل الحق والذين كتب الله لهم الهداية ، وكان جل أتباعه من الفقراء والمساكين والمستضعفين كما هم أتباع الأنبياء والرسل . استجابوا بمجرد أن دعاهم إلى الله تعالى وذكرهم عذابه وعقابه ، لأن أهل الحق لا يحتاجون إلى روية ولا فكر ولا نظر ولا انتظار في الانقياد إلى الحق ، ولهذا مدح مرة سيدنا رسول الله سيدنا أبا بكر الصديق فقال :

(ما دعوت أحداً إلى الاسلام إلا كانت له كبة غير أبي بكر الصديق فإنه لم يتلعثم) (ابن كثير في البداية النهاية) . أي استجاب مباشرة ، وأما المتكبرون فإنهم أعرضوا عن الحق واتهموا سيدنا نوحاً بالكذب والضلالة ، فاسمعوا معي كيف خاطبهم بلهجة الداعية الهادئة على موجات سورة الأعراف :

﴿يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين . أبلغكم رسالات ربي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون ، أوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون﴾ / الأعراف : ٦١ - ٦٣ .

وتمضي الأشهر والسنوات ونوح يدعو قومه إلى الله تعالى بأنواع الدعوة . ﴿يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إلي ولا تنظرون . فإن توليتم فما سألتكم من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ / يونس : ٧١ - ٧٢ .

هل سمعتم هذه النبذة الوعظية وهذا الأسلوب الناصح كيف أتى بلطف ولين وصبر وأناة ، وتمضي مئات السنين ، وقوم نوح يزدادون إصراراً واستكباراً ، ووصل عدد المؤمنين به إلى ثمانين ، لا أقول ثمانين ألفاً بل ثمانين رجلاً وامرأة ، وكانت امرأة نوح من وراء ستار تخون زوجها سيدنا نوحاً ، كلما دخل بعض الناس في الإسلام أخبرت قومها بذلك ، فيردوهم

عن الإيمان بالله تعالى ، بل إن قومها طلبوا من سيدنا نوح أن يطرد عنه هؤلاء المؤمنين ليدخلوهم في الإسلام ، فبماذا أجابهم سيدنا نوح ، اسمحو لي أن أنقل لكم هذا الموقف الإيجابي على الموجات الإيمانية من سورة هود :
﴿فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما نراك إلا بشراً مثلنا وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي﴾ [بمجرد دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا روية] وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين . قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة (النبوة الرسالة) من عنده فعميت عليكم (فلم تفهموها ولم تهتدوا إليها) أنزل مكموها وأنتم لها كارهون﴾ (أنفصبكم ونجبركم عليها) .
﴿ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجري إلا على الله﴾ وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقو ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون . ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون﴾ .
أيها الإخوة :

وتطاولت الأزمنة حتى بلغت ألف سنة إلا خمسين ، والمحاور والمجادلة تشتد بينه وبين قومه ولم يزد العدد على ثمانين ، حتى ضاقوا به ذرعاً وقالوا له :
﴿يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنتم بمعجزين . ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم إن كان الله يريد أن يغويكم ، هو ربكم وإليه ترجعون﴾ .

فلبت فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وما آمن به إلا القليل منهم وكان كلما انقضى جيل وصوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربتهم ومخالفتهم حتى أيقن نوح أنه لا ينفعهم نصيحة ، وكان الذي يخونه بالسر زوجته فهي بالرغم من أنه أنجب منها أولاداً أربعة سام وحام وياث ويام (وقد آمن منهم ثلاثة : سام ومن أولاده العرب وفارس والروم ، وياث ومن أولاده الترك والصقالبة وأجوج ومأجوج . وحام وأولاده القبط والسودان والبربر) أقول رغم

ذلك ، فقد كانت تخبر قومها بكل من يدخل في الإسلام ليردوه عنه .
وهنا سيدنا نوح دعا ربه ﴿أني مغلوب فانتصر﴾ وراح يعتذر لمولانا قائلاً :

﴿رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً ، فلم يزدتهم دعائي إلا فراراً ،
وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في أذانهم واستغشوا
ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً ، ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إني
أعلنت لهم وأسرت لهم إسراراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً ،
يرسل السماء عليكم مدراراً . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات
ويجعل لكم أنهاراً ، مالكم لا ترجون لله وقاراً ، وقد خلقكم أطواراً ﴾
﴿رب إن قومي كذبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي
من المؤمنين﴾ .

وهنا يثس سيدنا نوح من قومه فدعا عليهم دعوة غضب الله عليهم
بعدها غضباً شديداً قال نوح : ﴿رب لا تذر على الأرض من الكافرين
دياراً إنك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾
أيها الإخوة :

دعوة الأنبياء والرسل دعوة مستجابة لذلك يقول سيدنا رسول الله
«لكل نبي دعوة مستجابة في قومه ، واختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم
القيامة» ، إن مولانا استجاب لسيدنا نوح وأوحى إليه ﴿إنه لن يؤمن من
قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كان يفعلون . واصنع الفلك بأعيننا
ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ .
أيها الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك ، إلى القرون الطويلة الماضية ،
لنشاهد كيف صنع أبو البشر الثاني أول سفينة ، لرى السفينة تصنع لأول
مرة في التاريخ ، سفينة عظيمة لم يكن لها نظير من قبلها ولا يكون بعدها
مثلها .

﴿ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال : إن تسخروا منا فإننا نسخر منكم كما تسخرون﴾ وتعجب قومه منه كيف يصنع سفينة عظيمة على منطقة ليس فيها بحار أو أنهار عظيمة تسير فيها ، ومضى عليه مدة طويلة في صناعة السفينة العجيبة ، سفينة طولها ثلاثمئة ذراع في عرض خمسين ذراعاً في ارتفاع ثلاثين ذراعاً ، مؤلفة من طبقات ثلاث كل واحدة عشرة أذرع ، وباب عريض في وسطها ، وجعل لها غطاء من فوقها مطبقاً عليها .

ثم أمره مولانا أن يحمل فيها من كل مخلوق وحي زوجين اثنين وقال له : ﴿فإذا جاء أمرنا وفار التنور (الأرض إذا نبعت ، نبع كل شيء حتى أماكن النيران ، التي يخبز فيها الخبز) فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون﴾ . وجعل الطبقة السفلى للدواب والوحوش ، والوسطى للناس ، والعليا للطيور .

أيها الإخوة الكرام :

وأعطى مولانا إشارة البدء للطوفان الذي عم الأرض كلها ، فحمل نوح من أمره مولانا بحمله ، وخاطبه مولانا فقال : ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجاني من القوم الظالمين . وقل رب أنزلني منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين﴾ .

وامتثل سيدنا نوح لأمر مولانا فقال لأهله وللمؤمنين : ﴿اركبوا فيها باسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم﴾ .

أيها الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أن أنقل لكم هذا المشهد العظيم من كوة على سفينة التوحيد التي يقودها سيدنا نوح على الموجة الإيمانية من سورة القمر : ﴿ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر ، وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى

الماء على أمر قد قدر ، وحملناه على ذات ألواح ودسر ، تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر ﴿١﴾ . فإذا انتقلنا إلى سورة هود .

﴿ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين . قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين . ونادى نوح ربه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين . قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إنني أعظك أن تكون من الجاهلين قال رب إنني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين ﴿٢﴾ . وإذا بامرأة معها صبي وكانت تحبه حباً شديداً ، فخرجت إلى الجبل حتى بلغ الماء ثلثه ، فلما طغى الماء استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيديها ثم ضربته موجة الماء فغرقا .
أيها الإخوة :

كان الطوفان معجزة عظيمة لسيدنا نوح ، فقد طغى الماء وارتفع إلى أعلى جبل في الأرض ، وعم جميع الأرض طولها وعرضها وسهلها وجبلها وقفارها ورمالها ، ولم يبق على وجه الأرض ممن كان بها من الأحياء عين تطرف ولا صغير ولا كبير استمر مئة وخمسين يوماً ، واسمع معي إلى مولانا عز وجل يقول :

﴿وهي تجري بهم في موج كالجبال ﴿٣﴾ / هود / ﴿ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين ﴿٤﴾ ﴾ فأنجيناه في الفلك المشحون ثم أغرقنا بعد الباقي إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ، وإن ربك لهو العزيز الرحيم ﴿٥﴾ ، ﴿مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً ﴿٦﴾ .

﴿ولقد تركناها آية فهل من مدكر فكيف كان عذابي ونذر ﴿٧﴾ .

وجاء الأمر الإلهي بعد إهلاك الكفرة المجرمين الذين لم يخضعوا لله

رب العالمين : ﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ، ويا سماء أقلعي ، وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ .
وأوحى مولانا عز وجل لسيدنا نوحاً ﴿يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك ، وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم﴾ .
أيها الإخوة :

بعث سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام الغراب ليأتيه بخبر الأرض ، فذهب فوق على الجيف فأبطأ عليه ، فبعث الحمامة فأتت بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين ، فعرف سيدنا نوح أن الماء قد نضب ، فهبط إلى أسفل الجودي على أرض العراق في يوم العاشر من المحرم يوم عاشوراء . وفرض على قومه أن يصوموا ذلك اليوم شكراً لله تعالى .
وهناك في العراق بنى قرية بالثمانين الذين نجوا معه وسميت قرية ثمانين ، لكنهم وفي يوم من الأيام أصبحوا وقد تبدلت ألسنتهم على ثمانين لغة ، إحداها العربية ، وكان بعضهم لا يفقه كلام بعض ، فكان نوح عليه السلام يعبر عنهم .

وكان يكبر ويزداد سناً حتى أصبح عمره ١٧٨٠ سنة ورغم ذلك لم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ، وقد سأله أصحابه حيث حضره الموت قال له : كيف وجدت الدنيا ؟ فقال : كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر .

«واستدعى ولده ساماً وجعله ولي عهده وراح يوصيه :

يا بني أمرك باثنين وأنهاك عن اثنتين :

فأما اللذان أنهاك عنهما فالإشراك بالله تعالى والكبر ، فإنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من الشوك والكبر .

وأما اللذان أوصيك بهما فإني رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى ، قول لا إله إلا الله ، وسبحان الله ، فإن قول لا إله إلا الله لو جمعت السموات السبع والأرضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ إلى ربهما ، ولو جعلت

لا إله إلا الله في كفة ميزان جمعت بالسموات السبع وما فيهن ،
وأوصيك بسبحان الله فإنها صلاة الخلق وبها يرزقون» (١) .

كانت هذه الوصية الأخيرة لأبي البشر الثاني الذي ارتقت روحه
الطاهرة إلى بارئها ودفن في مكان بالمسجد الحرام .

فمن هو النبي والرسول الرابع في الترتيب القرآني؟ من هو الحفيد الثالث
لسيدنا نوح؟ هل عادت عبادة الأصنام من جديد ، أعلق هذه الأسئلة لأجيب
عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما
أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله



(١) - من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما :
أحمد في المسند (٢/ ٧٧٠٠١٦٩ - ٢٢٥) والبيهقي في الأسماء والصفات (ص ٧٩) والبخاري
في الأدب المفرد حديث (٥٤٨) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٤/ ٣٣٠) ، رواه أحمد
والطبراني بنحوه . وزاد في رواية وأوصيك بالتسبيح فإنها عبادة وقال في المجمع (٥/ ١٣٣ ، ١٤٢)
ورواه البزار من حديث ابن عمر ورجال أحمد ثقات .
وقال في المجمع (٥/ ١٣٣ ، ١٤٢) قال من الموضع الأول : رواه البزار وأحمد في حديث طويل كما
تقدم . وقال ابن كثير في تاريخ (١/ ١١٩) هذا إسناد صحيح ولم يخرجوه ، وصححه الشيخ
أحمد في تعليقه على المسند برقم (٦٥٨٢) .

الرسول الرابع وقوم عاد الأولى سيدنا هود

- ٢٤ -

الحمد لله الواحد القهار ، العزيز الغفار . مقدر الأقدار ، مصرف الأمور ومكور الليل على النهار ، تبصرة لأولي القلوب والأبصار . الذي أيقظ من خلقه من اصطفاه فأدخله في جملة الأخيار . ووفق من اجتباه من عبده فجعله من المقربين الأبرار .

أحمده أبلغ الحمد على جميع نعمه ، وأسأله المزيد من فضله وكرمه .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وحبيبه أفضل المخلوقين وأكرم السابقين واللاحقين من اتبعه وأحبه كان من الفائزين .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله الطيبين وسائر النبيين وآل كل وسائر الصالحين ، الذين رفعوا للإسلام أعلى منار ، وسلم تسليمًا .
أما بعد :

فتحن اليوم على موعد مع الرسول الرابع في الترتيب القرآني ، مع نبي كان يتكلم العربية وأرسل إلى العرب العاربة ، أي العرب الذين تكلموا باللسان العربي من ذرية سام بن نوح ، فإن أربعة من الأنبياء كانوا من العرب بعد الطوفان : هود ، وصالح ، وشعيب ، وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أجمعين .

أيها الإخوة الكرام :

في منطقة الأحقاف من أرض اليمن ، وفي بلدة مطلة على البحر ،

وعلى أرض يقال لها الشحر ، سكن قوم من العرب العاربة من قوم عاد الحفيد الثاني لسام بن نوح ، سكنوا الخيام العالية ، وجعلوا لكل خيمة أعمدة ضخماً ، ووصفها مولانا في كتابه الكريم فقال عز وجل : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد . التي لم يخلق مثلها في البلاد ﴾ / الفجر : / .

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد ﴾ : عاد الحفيد الثاني لسام بن نوح ، وله ولدان شديد وشداد ، ملكا بعد موته ، وقهرا البلاد والعباد ، فمات شديد واستولى على الملك العريض شداد ، ودانت له الملوك والبلاد . والسبب في ذلك ما ذكره المؤرخون أن قبيلة عاد كانت قبيلة عظيمة ، وأقوامها أجسامهم كالعمالقة بل كانوا هم العمالقة ، كانوا أشد أهل زمانهم في الخلقة والشدة والبطش .

﴿ إرم ذات العماد ﴾ مدينة بنوها على وصف الجنة تكبراً وعتوا ، بنيت في صحارى عدن وبنوا حولها خصباً خصيباً ، وجعلوا لها بابين عظيمين مرصعين بالياقوت الأحمر ، وغرفها مبنية بالذهب والفضة وأحجار اللؤلؤ والياقوت ، ومفروشة كلها باللؤلؤ والنمارق والمسك والزعفران .

وحول الحصن القصور الكثيرة بناها شداد بن عاد وأسكن في كل قصر وزيراً من وزرائه ، وحولها الأزقة المملوؤة بالأشجار المثمرة ، وتحت الأشجار أنهار مطردة يجري ماؤها في قنوات من فضة هذه هي إرم ذات العماد ، لكنهم أفسدوها بأعظم فساد فقد أقاموا وسطها الأصنام .

كان هذا هو الموجز - معشر السادة - وإليكم الأنباء بالتفصيل من هنا ، من المدرسة الإيمانية من جامع الدرويشية في الحلقة الرابعة والعشرين من دروس العقيدة .

واسمحوا لي أن أذيع عليكم البيان الإلهي كما ورد على الموجة الإيمانية من سورة هود :

﴿ وإلى عاد أخاهم هودا ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله

غيره ، إن أنتم إلا مفترون . يا قوم لا أسألكم عليه أجراً ، إن أجري إلا على الذي فطرني ، أفلا تعقلون . ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولوا مجرمين ، قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن تباركي ألهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين . إن نقول إلا اعتراك بعض ألهتنا بسوء ، قال إني أشهد الله واشهدوا أني بريء مما تشركون . من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تنظرون . إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها . إن ربي على صراط مستقيم ﴿ /هود : ٥٠ - ٥٦ / .

أيها الإخوة الكرام :

تطاوالت العهود بين سيدنا نوح وبين سيدنا هود ، أربعة أجيال ، كل جيل يعيش ألف سنة أو أكثر ، حتى أتى الحفيد الثالث له من ولد سام وهو سيدنا هود ، وكان من سنة الله تعالى أن لا يرسل رسولاً حتى يحدث تغير وتبدل في العقيدة والعبادة ، فلما اتخذ قوم هود الأصنام (صمداً وصموداً وهرداً) أرسل إليهم سيدنا هوداً ينصحهم ويعظهم ويأمرهم بعبادة الواحد الديان ، فماذا أجابوه ، وكيف جابهوه ؟

﴿ قال الملأ الذين كفروا من قومه إنا لنراك في سفاهة وإنا لنظنك من الكاذبين . قال : يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين ﴾ /الأعراف : ٦٨ / .

أرايتم مثل هذا الأسلوب البليغ ، إنه أولاً يخاطبهم على أنهم من قومه ، ثم هو شفيق عليهم وحريص على هدايتهم ، وثالثاً هو لا يبتغي منهم أجراً ولا يطلب منهم مكافأة ، وكل رسول أرسل إلى قومه نراه يقول لهم هذا الكلام ﴿يا قوم لا أسألكم عليه أجراً﴾ ومع ذلك كله نرى قومه يتهمونهم بالجنون ، وأن الآلهة والأصنام غضبت عليه فأصابته في عقله قالوا له : ﴿ إن نقول إلا اعتراك بعض ألهتنا بسوء ﴾ وتحذوه قائلين : ﴿فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين .﴾

ثم اسمعوا إلى هذه الحجة الواهية التي احتجوا بها قالوا :
﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذْرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ / الأعراف : ٧٠ .
فتعجب منهم سيدنا هود قال لهم عجباً :
﴿أَتَجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءَ سَمَّيْتُهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا نَزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ
سُلْطَانٍ﴾ / الأعراف : ٧١ .

يا قوم إن هي إلا أحجار تتحتونها ثم تعبدونها ، لا تجلب لكم نفعاً ولا
تدفع عنكم شراً ، إن هذا إلا ازدراء لعقولكم وانتهاك لكرامتكم ، إن لكم
إلهاً واحداً جديراً بكم أن تعبدوه ، وهو الذي أحياكم ، وهو الذي يميتكم ،
ومكن لكم في الأرض ، وبسط لكم في الأجسام ، وبارك لكم في الأنعام ،
فآمنوا به واحذروا أن يصيبكم ما أصاب قوم نوح ، وما قوم نوح عنكم ببعيد .
أيها السادة الكرام :

هذه هي عادة الرسل في الدعوة إلى دين الله ، إن سيدنا هوداً راح
يدعوهم بلطف ، ويحذرهم مغبة شركهم وكفرهم بالله ، قائلاً لهم /
الشعراء : ١٢٨ : ١٣٨ :

﴿ أَتَنْبِئُونَ بِكُلِّ آيَةٍ تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ (قُصُورًا) لَكُمْ
تَخْلُدُونَ . وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَاتَّقُوا
الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ . أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ وَجَنَاتٍ وَعَيْونَ .

إنني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم . قالوا : سواء علينا أوعظت
أم لم تكن من الواعظين . إن هذا إلا خلق الأولين وما نحن بمعذبين ،
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ .

هذا هو الداء الدفين ، هذا هو الذي يجعل العبد جباراً في الأرض
يظن أنه لن يردَّ إلى علام الغيوب ، وهذه الدعوى الكاذبة دعوى لادليل
عليها ولا برهان ، إن هذا الكلام (وما نحن بمبعوثين) كلام الجهلة من
الزنادقة الذين يقولون : (إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع) .

فلم يجد سيدنا هود نفسه إلا وهو يلتجئ إلى الله تعالى قال :
﴿ رب انصرنني بما كذبون ﴾ فأجابه مولانا عز وجل ﴿ قال عما قليل
ليصبحن نادمين ﴾

أيها الإخوة الكرام

فكيف أهلك الله قوم هود ؟ كيف جعلهم كالريم ؟
إن مولانا منع عنهم المطر ثلاث سنين ، حتى كادوا أن يهلكوا من العطش ،
فبعثوا وفداً منهم ليستقوا في أرض بالفلاة ، فأنشأ الله سحباً ثلاث ،
بيضاء وحمراء ، وسوداء ، ثم قيل لزعيمهم : اختر لقومك من هذا السحاب .
فقال : اخترت السحابة السوداء فإنها أكثر السحاب ماءً ، فناده المنادي :
اخترت رماداً رمداً لا تبقي من عاد أحداً ، لا والداً ولا ولداً إلا جعلته همداً إلا
بني اللوذية همداً ، (وهم الذين كانوا مقيمين في منطقة مكة اليوم) .
أيها الإخوة :

تعالوا بنا نشهد الفصل الأخير للذين أشركوا ، إن قوم عاد الآن ،
متجهين إلى إرم ليفتتحوها ، إنهم في أوج فرحهم وسرورهم ، جاءهم
النداب وهم في قمة بأسهم ، كما يأتي الظلمة والمتجبرين والمتألّهين على
الأرض ، كما فعل بقارون الذي قال عنه مولانا فخرج على قومه في زينته
ثم قال : ﴿ فخرسنا به وبداره الأرض ﴾ ، ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ
القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ .

إذا بصيحة من السماء (الله أكبر) صيحة عظيمة قوية شديدة ،
عاتية مبيدة ، (الله أكبر) قولوا الله أكبر ، من قلب واحد ، بلسان واحد ،
باعتقاد واحد .

الله أكبر سيف الله قاطعهم وكلما قد علوا في أمرهم هبطوا .
صيحة واحدة لم تبق أحداً فيهم على قيد الحياة ، إياك أن تكون
جباراً على الأرض ، فإن الجبار هو الله ، من الجبار ؟ من القهار ؟ من
الملك ؟ من المتكبر ؟ من المعز ؟ من المذل ؟ من القوي ؟ من المتين ؟ من هو

الفعال لما يريد؟ من هو الذي أخذه أليم شديد؟ إنه الله، وحدوا الله، هذه الصيحة جاءتهم مع قدوم الغمامة السوداء التي خرجت عليهم من واد يقال له المغيث، فما إن رأوها حتى استبشروا، وقالوا ﴿هذا عارض ممطرنا﴾، فقال لهم مولانا :

﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم، تدمر كل شيء بأمر ربها﴾ / الأحقاف : ٢٤ - ٢٥ .

﴿فكيف كان عذابي ونذر﴾ / القمر : ٢١ / تتوالى على الظلمة المتجبرين ، أتابع معكم تفصيل الأنباء من مشاهد العذاب الإلهي من سورة / الذاريات : ٤٢ :

﴿وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ماتذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم﴾ (كالشيء البالي الفاني) وعلى الموجة الإيمانية من سورة / فصلت : ١٥ - ١٦ : ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة ، أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، وكانوا بآياتنا يجهلون فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً (ذات صوت شديد) في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ، ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون ﴾ .

ثم عودة إلى سورة / القمر : ١٨ - ٢١ : ﴿كذبت عاد فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس مستمر تنزع الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر . فكيف كان عذابي ونذر﴾ .

وعلى موجة سورة الحاقة : ﴿سخرها عليه سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية . فهل ترى لهم من باقية﴾ / الحاقة : ٧ - ٨ .

فما هي هذه الريح التي أصابتهم؟ إنها الريح التي ذكرها رسول الله ﷺ في الصحيحين قال: عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «نصرت بالصبا وأهلك عاد بالدرّ» . الدبور ريح عاتية باردة شديدة الهبوب ، وكانت تجيء إلى أحدهم فترفعه في الهواء ثم تنكسه على أم رأسه ، فتشدّه فيبقى جثة بلا رأس ، وكانت تتبعهم وتدخل عليهم كهوف الجبال فتلفهم وتخرجهم وتهلكهم وتدمر عليهم البيوت المحكمة والقصور المشيدة ، وراحت تحمل أهل البادية ومواشيهم وتلقيهم على أهل الحاضرة والمدن حتى أهلكتهم جميعاً .

في الصباح كانوا يقولون : من أشد منا قوة؟ وفي المساء صارت حالهم تقول : من أشد منا ضعفاً وعبودية وذلاً وعذاباً ، «كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون» .

وسألت نفسي ترى ما هي قوة هذه الريح كم قوتها ، ما هي سرعتها في الساعة ، وبحث فوجدت حبيينا رسول الله ﷺ قد أخبرنا عن قوتها فقال : (ما فتح الله على عاد من الريح إلا مثل موضع الخاتم) أحمد ف يالمسند (٣/ ٤٨٣) وت (٣٢٧٣-٣٢٧٤) . هـ برقم (٢٨١٦) ون باختصار (٨٦٠٧) (٥/ ١٨١) وحسن إسناده . ابن حجر في فتح الباري (٨/ ٥٧٨) (٥٧٩) .

ونجى الله تعالى قوم هود ، وقد اعتزلوا في مكان لهم ، كانت الريح حولهم شديدة عاتية ، وأما على المؤمنين فكانت كالنسيم اللذيذ ، الهادي الناعم ، وتطهرت الأرض من رجس الكافرين وعباد الأصنام ، وعاش هود ومن معه حتى لحق بربه عز وجل . ودفن في حضر موت .

أيها الإخوة الكرام :

وقيل أن أسدل الستار على هذه المشاهد أسأل سؤالاً واحداً ، هل لهذه الريح العقيم من عودة لاهلاك أحد من المجرمين ، والجواب نعم اسمع إلى حبيينا رسول الله ﷺ يقول :

(يبيت قوم من هذه الأمة على طعام وشراب ولهو فيصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير ، ويصيبهم خسف وقذف ، فيقولون : لقد خسف الليلة ببني فلان ، وليرسلن عليهم الريح العقيم التي أهلكت عاداً بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات (المغنيات) ولبسهم الحرير وقطعهم الأرحام) . (أبو نعيم والطيالسي - وهب وهو حسن بشواهدة) .
فحذار حذار معشر المسلمين ، لنبق جميعاً موحدين ، ولنبق جميعاً هنا ، وإياكم أن تكونوا هناك على موائد الخمر والفجور ، لنبق معاً هنا . وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله رب العالمين .

لا إله إلا الله

* * *



- ٢٥ -

الحمد لله الذي تواضع كل شيء لعظمته . والحمد لله الذي ذل كل شيء لعزته ، والحمد لله الذي خضع كل شيء للكوته ، والحمد لله الذي استسلم كل شيء لقدرته .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا راد لحكمه وإرادته .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله سيد السادات الذي أكرمنا الله تعالى بمحبته .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وأزواجه وعترته ، وسلم تسليماً .
أما بعد :

فيقول الله تعالى في كتابه العزيز :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿ كذبت ثمود بالنذر . فقالوا أبشراً منا واحداً نتبعه إنا إذا لفي ضلال وسعر . أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشر . سيعلمون غداً من الكذاب الأشر . إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب محتضر . فنادوا أصحابهم فتعاطى فعفر فكيف كان عذابنا ونذر . إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر . ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر ﴾ / القمر : ٢٣ - ٣٢ .

كان هذا أيها الإخوة - موجز الأنباء الإلهية ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الحلقة الخامسة والعشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية .

وفي بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد : لا إله إلا الله . وقد تقدم معنا خمسة من أنبياء الله ورسله الكرام . ممن ذكرهم مولانا في كتابه ووردت الآثار بهم : سيدنا آدم - شيث - إدريس - نوح - هود . ونحن اليوم مع النبي السادس في الترتيب الزمني ، إنه سيدنا صالح هو الحفيد السابع لسيدنا نوح ، وهو من قبيلة ثمود .

وكثيرا ما يتعرض مولانا في كتابه لذكر عاد مشمولة مع ثمود ، كما في سورة براءة وإبراهيم والفرقان والنجم والفجر وهاتان الأمتان من العرب بنت بيوتها في الجبال ، وقد سكن قوم ثمود الحجر وهي منطقة بين المدينة المنورة وتبوك ، نحتوا الجبال لهم بيوتا وقالوا من أشد منا قوة ، وعتوا عن أمر ربهم فعبدوا الأصنام ، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم ، وقابلوا نعمة الله كفرا ، فأرسل الله إليهم رجلا منهم يدعوهم إلى عبادة الواحد الديان بلطف ولين ، واسمعوا معي إلى هذا الأسلوب الناعم اللطيف بلسان سيدنا صالح على الموجة الإيمانية من سورة الشعراء :

﴿ كذبت ثمود المرسلين . إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين . أتركون في ما ههنا آمنين . في جنات وعيون . وزروع ونخل طلعها هضيم . وتنحتون من الجبال بيوتا فارهين . فاتقوا الله وأطيعون . ولا تطيعوا أمر المسرفين . الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ / الشعراء : ١٤١ - ١٥٢ .

هل سمعتم مثل هذه العبارات ولين الجانب لقومه ، وحسن دعوته لهم إلى الخير ، فهو يقول لهم :

ما ظنكم إن كان الأمر كما أقول لكم وأدعوكم إليه ، ماذا يكون عذركم

عند الله ، وما يخلصكم من بين يديه وأنتم تطلبون مني أن أترك دعاءكم إلى طاعته ، وأنا لا يمكنني هذا لأنه واجب علي ، فأنا لا أزال أدعوكم إلى الله وحده لا شريك له حتى يحكم بيني وبينكم وهو خير الحاكمين .

هذا هو أسلوب الدعوة من نبي الله صلى الله عليه وسلم لقومه العتاة ، فماذا فعل قومه به ، وبماذا اتهموه ، وكيف جابهوا دعوة الحق بباطلهم ، لقد اتهموه بأنه من المسحورين قالوا له : ﴿ إنما أنت من المسحورين ﴾ / : .

لا تدري ما تقول في دعائك إيانا إلى أفراد العبادة لله وحده ، وخلع ما سواه من الأنداد والأصنام ﴿ ما أنت إلا بشر مثنا فأت بأية إن كنت من الصادقين ﴾ / : .

اثنتا بمعجزة ، بأمر خارق للعادة يدل على صدق ما أتيتنا به ، قال لهم : وماذا تريدون ؟ !

وكان بجوارهم صخرة كبيرة ، قالوا : أخرج لنا من هذه الصخرة ناقة عشراء ، وعلى أن تلد فصيلها (ابنها) بعد خروجها مباشرة .

ناقة ، تخرج من صخرة ، من صخرة صماء ، لا ، وليست ناقة عادية ، بل ناقة عشراء ، ومن الذي لقّحها حتى حملت ، أي فحل في داخل الصخرة الصماء ، لا ، وليس هذا فقط بل ومضى عليها أشهر الحمل حتى إذا خرجت وضعت فصيلها مباشرة ، إن هذا فعلاً أمر خارق للعادة ، ولا يقدر عليه إلا واحد ، هو الله ، والله وحده .

أيها الإخوة الكرام :

الخطب إذا جلل ، والأمر بلغ عقدة هامة ، فقد وضع سيدنا صالح في موقف عظيم ليحضر الدليل على أنه رسول من عند الله تعالى .

فاسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى عهد قديم قبل عهد سيدنا إبراهيم ، فإن قوم ثمود ظنوا أنهم قد أحاطوا بنبي الله ورسوله ، لكنهم حبسوا أنفاسهم وشدوا أعصابهم حين قال لهم :

- أرايتم إن أجبتكم إلى ما سألتكم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما

جئتكم به ، وتصدقونني فيما أرسلت به ، فقالوا جميعاً وهم على يقين أنه لن يستطيع فعل ذلك ، قالوا : نعم . وأعطوه العهود والمواثيق أن يسلموا ويتركوا عبادة الأصنام إن هو نفذ طلبهم .

إذاً الأمر جدي ، وليس كلاماً ، كيف سيحدث هذا الحدث الهائل ، وما هو السبب الموصل إليه؟

ونظر القوم إلى سيدنا صالح : رأوه يقوم إلى مصلاه ، ويقبل على الله تعالى بكلية وقد أهمه أمر أمته ، وكان على إيمانهم حريصاً ، وراح يدعو الإله القادر المقتدر ، الإله الواحد الأحد الذي يستطيع بأقل من لمح البصر أن يفعل ذلك ﴿ وما أمرنا إلا كواحدة كلمح بالبصر ﴾ .

رأوا بأمر أعينهم سيدنا صالحاً يدعو ، يدعو الله تعالى باسمه الأعظم ، وما هو إلا أن نزل الأمين جبريل يطوي بأجنحته السبع الطباق يحمل رسالة من رب العالمين أسمعوا نص الرسالة كما نزلت :

﴿إنا مرسلو الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر﴾ الله أكبر .

وفجأة انشقت الصخرة عن ناقة عظيمة عشاء على الوجه المطلوب تماماً ، بل وما إن انشقت عنها الصخرة حتى وضعت ابنها بإذن الله تعالى ، فيا سعد من آمن وأيقن ووحد الله تعالى .

قدرة باهرة ، وعظمة قادرة ، دليل ساطع ، وبرهان قاطع ، وراح القوم ينظرون وعيونهم مفتوحة ، وعقولهم لا تصدق ، وهنا كتب الله الإيمان على الذين آمنوا فأمنوا لساعتهم ، وأما الذين حجب الله عنهم الإيمان فقد استمروا على كفرهم وعنادهم وضلالهم ، فقال سيدنا صالح :

﴿هذه ناقة الله لكم آية﴾ / الأعراف : ٧٣ ، ألم تكن تريدون آية؟! ألم تعطوا العهود والمواثيق على أن تؤمنوا إن أنا نفذت طلبكم ، هذه هي الآية ، ودارت رحى المناقشات الحامية ، بل راح فريق الإيمان يحتاج فريق الكفر ، فقامت معركة كلامية سجل بعضها مولانا في كتابه :

﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن

منهم أتعلمون أن صالحاً مرسل من ربه ، قالوا : إنا بما أرسل به مؤمنون .
قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون ﴿ /الأعراف : ٧٦ / .

لكن سيدنا صالحاً حسم الموقف وأعطى أوامره الصارمة ، فقال :
﴿ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا
تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ﴾ /هود : ٦٤ / .

وأمره مولانا فقال : ﴿ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شرب مُحْتَضَر﴾ .
فقال لهم : ﴿هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم﴾ /القمر ٢٨ / .
وهكذا تم الاتفاق على أن تبقى هذه الناقة وفصيلها بين أظهرهم ترعى
حيث شاءت من أرضهم وترد الماء يوماً واحداً كل يومين ، وكانت إذا وردت
تشرّب ماء البئر يومها ذلك .

هذه الحوادث الإيمانية - أيها السادة - أنقلها لكم عمن يعلم السر
وأخفى ، هي حوادث حقيقية واقعية فقولوا : آمنا وصدقنا .

فهل هدا أعداء الإسلام؟ هل سكتوا وقمعوا وانقلبوا هنالك صاغرين؟
إن أعداء الإسلام قعدوا في ليلة ظلماء حالكة يأتمرون ضد شريعة الله
وكانت لهم زعامة في قومهم ، فوجدوا أن سيدنا صالحاً سوف يقضي على
زعامتهم للقبيلة ويتولى هو الأمر والنهي ، فالمسألة مسألة كرسي وزعامة وكله
في سبيل الكرسي يهون ، ولو كان فيه قتل الأنبياء والقضاء على الشريعة
الإلهية فقرروا جميعاً قرارين : القرار الأول : قتل الناقة وفصيلها .

القرار الثاني : قتل سيدنا صالح وأهل بيته ثم نكران فعلهم هذا أمام قبيلتهم .
ولكن الله من ورائهم محيط ، إن الذي يريد أن يقضي على الإسلام
الله خاذله ، واسمع معي إلى القرار الذي اتخذته مولانا ، وليسمع الذين
يكيدون للإسلام ، ليسمع كل معاد للإسلام ، إن رب العزة اتخذ قراره النافذ :
﴿ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون﴾ /النمل : ٥٠ / . ﴿والله خير
الماكرين﴾ /آل عمران : ٥٤ / .

انطلق هؤلاء التسعة لينفذوا أطراف مؤامرتهم .

وكان الناس يرفعون حاجتهم من الماء عن يمين ، ويشربون لبنها وحليبها يوماً ، لكن هذا لم يعجب المجرمين والعتاة ، الذين يغدرون في الليالي الخالكة ، ويخافون من نور الإيمان والحق أن يذهب بضلالتهم ، فبدؤوا بعقد خيوط مؤامرة لقتل الناقة ، الناقة التي تحدت ظلام كفرهم وخطيئتهم وشركهم بالله تعالى .

كيف بدأت شبكة العنكبوت نسج خيوطها الدنيئة ؟!
معشر السادة الموحدين :

دعوني أنقل لكم على الموجات العاملة من سورة النمل ، وقائع المؤامرة التي تم نسجها ضد الدعوة إلى الله تعالى ، يقول تعالى :

﴿وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون . قالوا تقاسموا بالله لنبيته وأهله ثم لنقولن لوليها ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ، ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون﴾ / النمل : ٥٠ /
وكان على رأس هؤلاء الرهط ابن زانية يدعى قدار بن سالف ، أزرق أحمر أصهب ، انطلقوا يرصدون الناقة ، فلما صدرت من وردها وشربها كمن لها هؤلاء التسعة وضربوها بالسهم ، ثم شد عليها قدار بالسيف فخرت ساقطة على الأرض ترغو وهي تحذر ولدها الذي انطلق فصعد جبلاً وراح ينادي مولانا عز وجل ويستجير به ، فإذا بصخرة تنشق خلفه في الجبل فيدخل فيها ويغيب عنهم وينجيه الله منهم .

﴿ففقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم﴾ / الأعراف : ٧٧ /

ونزل الوحي فأخبر سيدنا صالحاً بقتل الناقة ، وأخبره أن يعلم قومه بعذاب شديد سوف يحل بهم بعد ثلاثة أيام ، فلم يصدقوه ، بل هموا بقتله في داره مع أهله سرًا :

﴿ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون . فانظر كيف كان عاقبة مكرهم إنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ / النمل : ٥١ / . ﴿ففقروها

فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ذلك وعد غير مكذوب ﴿ هود : ٦٥ / .
أيها الإخوة الكرام :

كان الانتقام شديداً عظيماً بهؤلاء الرهط التسعة الذين قعدوا في
سرهم واتفقوا على قتل سيدنا صالح مع أهله ، وما أن اقتربوا من أهله حتى
أرسل الله عليهم حجارة أهلكتهم عن آخرهم :

﴿ فلما جاء أمرنا نجينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منا ومن
خزي يومئذ إن ربك هو القوي العزيز ﴾ هود : ٦٦ / .

وهنا بعث إنذاراً لقومه بالهلاك الأكيد ، وأن علامة إهلاكهم أن
يصبحوا في اليوم الأول ووجوههم مصفرة ، وفي الثاني محمرة ، وفي الثالث
وجوههم مسودة .

وحين حل بهم العذاب في اليوم الأول عرفوا صدق سيدنا صالح
وقعدوا ينتظرون العذاب الأليم .

فلما أشرقت الشمس جاءتهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة
من أسفل منهم ، ففاضت أرواحهم وزهقت ﴿ وخشعت الأصوات
للرحمن ﴾ طه : ١٠٨ / ، وحقت الحقائق وأخذ الذين ظلموا الصيحة
فأصبحوا في دارهم جاثمين إلا رجلاً واحداً منهم كان في حرم الله ، وهو
أبورغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه ، وقد مر سيدنا رسول الله
بهذه البقعة حيث خرج إلى الطائف ومعه صحابته الكرام ، فقال لهم :
أتدرون ما هذا : قالوا : الله ورسوله أعلم .

فقال : هذا قبر أبورغال ، رجل من ثمود كان في حرم الله فمنعه حرم
الله عذاب الله فلما خرج أصابه ما أصاب قومه فدفن ههنا ، وآية ذلك أنه
دفن معه غصن من ذهب ، إن أنتم نبشتم عنه أصبتموه معه ، فابتدأ الناس
يحفرون فاستخرجوا منه الغصن ، فيا سعد من صلى على رسول الله .

أيها الإخوة الكرام :

وفي أثناء غزوة تبوك ، آخر غزوة غزاها الحبيب الأعظم ، مرّ في طريقه على بيوت ثمود ، فاسمعوا ماذا فعل المشرع النبوي الكريم ، هذا هو درس العقيدة اليوم ، وأريدكم أن تنتبهوا للدرس جميعاً ، فإن قوم ثمود قد مضى عليهم رداً طويلاً من الزمن ، وقروناً متطاولة حتى جاء عهد سيدنا رسول الله ﷺ ، فرأى مساكنهم ، فنادى على الجيش الذي كان يقوده قائلاً :

« لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين ، إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ، إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم ، ولا تشربوا من مياههم ، ثم تقنع وأسرع وسار مع جيشه حتى بلغ بئر الناقة التي كانت تشرب منها فأمرهم بالشرب من هذه البئر .

فإذا بيعض أفراد الجيش يستقي من آبار ثمود ، فعجنوا ونصبوا القدور ، فنادى رسول الله ﷺ (الصلاة جامعة) جمع المسلمين وخطبهم وقال : ما تدخلون على قوم غضب الله عليهم : فأمرهم أن يهرقوا القدور وأن يطعموا العجين الإبل . عن ابن عمر في الصحيحين .

هذا هو الحدث المخرج في البخاري ومسلم ، وانتبهوا :
إن سيدنا رسول الله ﷺ

١ - نهاهم أن يدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم .

٢ - وأن يدخلوا باكين أو متباكين .

٣ - وأسرع مع صحبه بالسير بجوارها .

٤ - ونهاهم عن الشرب من مياههم لأن الله غضب عليهم .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن أماكن المعاصي ومقر غضب الرب جل جلاله يحرم دخولها ، ولو تقادمت الجهود على هذه الأماكن ، كل مكان تقام فيه المعاصي وتراق فيه الخمور وتنتهك فيه الأعراض يحرم دخوله ، وكل شخص يدعو للدخول إلى هذه الأماكن يجب ألا يطاع ، وقد دعاني أحدهم إلى فندق ضخم فخم ، فندق فيه صالة أقام

فيها حفلة مولد لعقد ولده ، صالة فوقها تراق الخمر ، وتحتها تنتهك الأعراض وفيها النساء المومسات ، وأنا أسأل نفسي ، إذا كان رسول الله قد نهانا عن الدخول إلى ديار نزل عليها غضب الرب جل جلاله ، لماذا استبدلنا المساجد واتخذنا فنادقاً حولها أقوام يعصون الله تعالى ، قاعات زينت جدرانها بأصناف الحجارة الكريمة يمينه ويسرة ، وحينما تنتهي حفلة المولد يقيمون حفلة في الليل للمغنيات والفاسقات . أهذا هو الدين ، لا ، لا يستبدل بيت الله الذي قال عنه ﷺ : « أعلنوا هذا النكاح وفي رواية الترمذي (ض) واجعلوه في المساجد » (حسن) (حب ١٢٨٥ - طب ٦٤ / ١ - طس ١ / ١٦٧ / ٢) ، في المساجد ، لا يستبدل بيت الله بقاعات الدنيا ولو فرش أرضها بالأزهار ، ويجب على كل إنسان من يدعي أنه متدين ألا يدخلها .

وقديماً أحب أبرهة الحبشي أن يبني كعبة في بلاده ليصرف وجوه الناس إليه ، ولكن العرب (أقول العرب) ، العربي لا المسلم ، العرب لم يستبدلوا ببيتهم الحرام كعبة أبرهة ، ونحن لانستبدل بمسجدنا قاعة من قاعات الفنادق الضخمة التي يدار فيها جميع أنواع المعاصي ، وكلكم يعلم أن رجلاً بال فيها وقامت حرب الفيل على أثرها ونصر الله دينه وأعز كعبته ، إنني أدعو المسلمين جميعاً أن يردوا على السفهاء فيجعلوا قاعات الفسق مكاناً لقضاء الحاجة كما فعل العربي بكعبة أبرهة .

ونحن معشر المسلمين — علينا أن ننزه ذكر رسول الله في أماكن المعصية لأن ذكر رسول الله طاهر مطهر ، فلا ينبغي أن يسمو ذكره في هذه الأماكن المشبوهة ، علينا أن نفعل كما فعلت السيدة أم حبيبة أم المؤمنين حين دخل عليها أبوها أبو سفيان وكان مشركاً فأراد أن يجلس على فراش رسول الله فنزعه من تحته وقالت : إنك رجل مشرك نجس فليس لك أن تجلس على فراش رسول الله .

هل يعرف هؤلاء الذين يدعون الناس إلى أمثال هذه الفنادق أين يذهب ما يدفعونه لقاء فعلتهم ، إنه يذهب في شراء الخمر ، في الاستعانة على المعاصي . كفى بهذا إثماً ومعصية
أيها الإخوة الكرام :

إن قوم ثمود كلفهم قتل الناقة دمارهم وهلاكهم ، ناقة واحدة قتلوها انتقم الله منهم أشد الانتقام ، فما بالك بالذين يقتلون المسلمين كل يوم ، في فلسطين ، في البوسنة والهرسك ، والشيشان ، فما بالك فيمن يحارب الإسلام والمسلمين ، إن انتقام مولانا قادم اليوم أو غداً فليحذر أعداء الإسلام ، ليحذروا انتقام مولانا ، فانتظروا إني معكم من المنتظرين .
هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

* * *

سَيِّدُنَا اِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلَ

- ٢٦ -

الحمد لله الذي قرب إلى جنبه من أحب واختار ، وصيره من
أحبابه السادة الأبرار ، وطرد عن بابه كل شقي وجبار ، وحرمه جزيل ثوابه
فالحكم لله الواحد القهار .
أحمده سبحانه وتعالى وأشكره أبدع الخلائق بقدرته ، وقدر أرزاقهم
وآجالهم بحكمته وفضل بعضهم على بعض في الشرف والنسب فانتخب
منهم الأنبياء والرسل الأخيار .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة أدخرها ليوم
تشخص فيه القلوب والأبصار ، وتحيط به الأوزار ويغضب الملك الجبار .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله اصطفاه الله من بين الأنام فهو
خيار من خيار من خيار .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد ورضي الله عن أصحابه
الأخيار ، من المهاجرين والأنصار ما تعاقبت الشهور والسنون بأدوار ، عدد ما
ناح طائر وترغم في الأسحار ، وسلم تسليمًا .
أما بعد :
فنقف اليوم بإجلال واحترام أمام شخصية عظيمة ، ملك تصغر ملوك
الدنيا أمامه ، ملك لو لم يكن بشراً لقلت إنه ملك ، وكريم لا يجاريه
الكرماء ، إننا أمام نبي ورسول حاز من الفضائل البشرية ما لا يحصى .

هو أول من استاك ، وأول من استنجى بالماء ، وأول من قص شاربه ،
وأول من قاتل بالسيف ، وأول من أقام المناسك ، وأول من أحيا الله به الموتى ،
وأول من اتخذ الضيافة فسمي أبا الضيفان ، (/ ٣٣٥٦ /) صحيح البخاري عن
أبي هريرة : « اختتن إبراهيم عليه السلام وهو ابن ثمانين سنة بالقدوم » . وأما
ما ورد في الموطأ وهو ابن مئة وعشرين فمؤول أو مردود ، وأول من قص أظفاره
، وأول من تنف الإبط ، وأول من هاجر لله ، وأول من رأى الشيب في رأسه
فهاله فقال : يارب ما هذا؟ قال الوقار : فقال : يارب زدني وقاراً .

وهو أول من اتخذ السراويل فقد أوحى الله إليه : إنك لأكرم أهل
الأرض علي ، فإذا سجدت فلا تر الأرض عورتك فاتخذ السراويل ، وهو
أول من ضحى ، وأول من بنى البيت العتيق بيقين ، وأول من يكتسى يوم
القيامة إنه سيدنا إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام الذي
شهد فيه مولانا شهادات اختصه الله بها ، فقال عنه :

﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ / النجم : ٣٧ .

« إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يكن من المشركين » .

﴿ وتلك حجتنا (الحججة في التوحيد) آتيناه إبراهيم على قومه ﴾ /

الأنعام : ٨٣ .

أيها الإخوة الكرام :

استعدوا اليوم فنحن على موعد لزيارة أبي الأنبياء لنشهد الأيام
الأولى من حياته ، ومع الحلقة السادسة والعشرين من القضايا الإيمانية من
جامع الدرويشية أستعرض على حضراتكم أحداث حياته الكريمة .

فقد كانت ولادته معجزة ، وكانت بعثته معجزة ، وكانت حجته على
قومه معجزة ، وكانت معجزته أمراً خارقاً لم يحدث لغيره من الأنبياء مثلها .
ولد في زمن الملك الكافر الجبار مدعي الألوهية النمرود الذي كان من
سلالة حام بن نوح ، ولد في منطقة بابل في العراق على رأس ألفي سنة من
وفاة سيدنا آدم . ولد في سنة كان النمرود يقتل فيها كل من يولد ، لأنه رأى
في منامه كأن كوكباً طلع فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففزع من ذلك فزعاً

شديداً ودعا السحرة والمغبرين فقالوا له : يولد مولود في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه . فأمر بعزل الرجال عن النساء ، وجعل على كل عشرة رقيباً ، فإذا حاضت المرأة خلى بينها وبين زوجها ، فإذا ظهرت عزل الرجل عنها ، وأمر بذبح كل غلام يولد تلك السنة ، ثم غادر مدينته وأمر عليها صانع الأصنام آزر ، وأوصاه وشدد عليه الأوامر الصارمة ، فنفذ كل ما أوصاه به إلا شيئاً واحداً ، فقد دخل آزر على زوجته فواقعها فحملت بزينة العالمين تلك الليلة ، وأخفى عن النمرود ذلك ، فلما بان حملها خرج بها إلى مغارة ظاهر المدينة فوضعتها هناك وسماه إبراهيم .

ودخلت أمه عليه ذات يوم فوجدته يمص من أصبع له لبناً ، ومن أصبع عسلاً ، ومن أصبع سمناً ، وكان يشب في اليوم كشهر ، وفي الشهر كسنة ، حتى أصبح ابن ثلاث سنين ، فنجاه الله من الذبح ، وعاد به أبوه إلى مدينته .

وبدأ سيدنا إبراهيم يسأل عن خالقه وربّه أمّه وأباه ، قال لأبيه مرة :

- يا أبتاه من ربي ؟ قال : أمك

قال فمن رب أمي ؟ قال : أنا

قال فمن ربكما : قال : نمرود

قال من رب نمرود : وهنا لطمه أبوه لكمة أسكتته .

نشأ سيدنا إبراهيم موحداً راشداً ، كان أبوه آزر يعطيه الأصنام التي ينحتها من الحجارة فيبيعها للناس ليعبدوها ، فكان سيدنا إبراهيم يشدها بالحبل من رجلها ، ويجرها خلفه على الأرض وينادي عليها ويقول :

من يشتري من يضره ولا ينفعه ، من يشتري هذه الحجارة التي لا تسمع ولا تبصر ولا تغني شيئاً .

إنه كما قال عنه مولانا عز وجل تماماً : ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنابه عالين ﴾ .

هذا هو موقف سيدنا إبراهيم ، لما رأى أباه ينحت الأصنام بإزميله ، يعمل من الحجر صورة فيتخذها هو وقومه آلهة ، حجر تصنعه يد الإنسان ثم

تقدسه وتعبد ، إله أخلقه وأطلب منه أن يخلق لي ما أريد ، هذا أمر لا يقبله العقل ، فأين هو الإله الحق إذن .

وذهب يبحث ويفكر ، وأدركه الليل ، وطلع عليه النجم براقاً لامعاً عالياً ، لم يخرج من الأرض كما الصخرة التي تصنع منها التماثيل ، لم يعمل الإنسان بيده ثم يعبد ، وظن أنه وجد الإله الذي يبحث عنه ، وإذا بالقمر يطلع فيختفي النجم ، ويرى القمر أكبر في النظر وأضوأ ، فيؤمن بأن القمر هو الإله ، ويرقبه الليل كله ، فإذا بالشمس تطلع فتطفئ شعلة القمر وتفيض النور على الأرض ، فيقول هذا هو الإله ، ولكن الشمس تأفل وتذهب لتدع الأرض في الظلام ، ما هذا الإله الذي يمضي ويتخلى عن ملكه ، كلا ليست الشمس إلهاً خلقتني ولا هذه الموجودات آلهة ولا أنا الإله ، أنا ما خلقت نفسي ، ولا خلقت من غير شيء ، فلم يبق إلا شيء واحد صحيح هو الحق وما عداه باطل : هو أن وراء هذه الجمادات كلها إلهاً قادراً عظيماً هو الذي أوجدها وأوجدني وأوجد كل شيء .

أيها الإخوة الكرام :

وكان إكرام الله تعالى لسيدنا إبراهيم عظيماً فقد اصطفاه مولانا واجتباة لنفسه وابتعته نبياً ورسولاً ، ونزل عليه الملك وبشّره بأنه خليل نبي الله ورسوله فحمد الله تعالى وشكره وطلب من الملك علامة على ذلك . فقال له الملك : علامة ذلك أن يجيب الله دعاءك ويحيي الموتى بسؤالك . فقال سيدنا إبراهيم : رب أرني كيف تحيي الموتى ؟

قال : أولم تؤمن ؟ . قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبي بأنك اتخذتني نبياً ورسولاً وتحييني إذا دعوتك ، وتعطيني إذا سألتك . قال : فخذ أربعة من الطير . فأخذ طاووساً وديكاً وحماسة وغراباً ، ثم قاله له :

فصرهن إليك (قربهن إليك وقطعن) ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً . فذبح تلك الطيور ونتف ريشها وخلط لحمها ودمها وريشها بعضه

ببعض ، وقسم كل طائر فجعل على رأس كل جبل منهن جزءاً ، وأمسك رؤوسهن بيده ثم دعاهن فقال : تعالين يا ذن الله تعالى .
 فجعلت كل قطرة من دم طائر تطير إلى القطرة الأخرى ، وكل ريشة تطير إلى الريشة الأخرى ، وكل عظم يطير إلى العظم الآخر ، وكل بضعة تطير إلى البضعة الأخرى ، وسيدنا إبراهيم ينظر ، حتى اجتمعت الأجسام بعضها ببعض في السماء بغير رؤوس ، ثم أقبلن سعيّاً إلى رؤوسهن حتى جاء كل طائر إلى رأسه ثم قامت الطيور حية يا ذن الله تعالى ونظر الخليل إلى عظمة الله في إحياء الموتى وراح يقول : أعلم أن الله عزيز حكيم .
 وهنا انطلق واليقين يملأ قلبه وجوانحه ، وأقبل على أهله وقومه يدعوهم إلى الله تعالى على بصيرة ، فكانت أول دعوته لأبيه بائع الأصنام ، لأنه أحق الناس بإخلاص النصيحة له ، فراح يدعوهم بألفاظ عبارات وأحسن إشارة ، لم يغلظ له القول ولم يخفّه ، بل بين له بطلان ما هو عليه من عبادة الأوثان وأعلمه أن الله أعطاه من الهدى والعلم النافع ما ليس عنده أحد في عصره ، واسمعوا هذه المحاورة التي سطرها مولانا في كتابه على الموجات الإيمانية من سورة السيدة مريم رضي الله عنها .
 ﴿واذكر في الكتاب إبراهيم . إنه كان صديقاً نبياً ، إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ، يا أبت إنني قد جاءني العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً ، يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصياً . يا أبت إنني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان ولياً ﴾ / مريم : ٤١ - ٤٥ .
 أسمعتم مثل هذا الكلام الذي يفيض حناناً وعطفاً على أبيه ، وانظروا إلى جواب أبيه ، كان جوابه عنيفاً ، لم يقبل النصيحة ولا أخذها عنه بل تهدده بقسوة وتوعده وقال له :

﴿أرأغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم ، لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني ملياً﴾ /مريم : ٤٦ .

فشقق عليه سيدنا إبراهيم الشفقة العظمى وقال :

﴿سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفياً﴾ /مريم : ٤٧ .
﴿فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم﴾ .

ولما لم تجد المحاولات الكثيرة لهداية والده ، توجه إلى قومه بالدعوة إلى دين الله تعالى بكليته .

معشر السادة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى هناك لأنقل لكم هذه المحاورات بين فريق الإيمان الذي يرأسه سيدنا إبراهيم الخليل وفريق الكفر الذي يرأسه عبادة الأصنام ، أنقل لكم هذه الأنباء على الموجه الإيمانية من سورة الشعراء :

﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناماً فنظّل لها عاكفين قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرايتم ما كنتم تعبدون أنتم وأبائكم الأقدمون . فإنهم عدو لي إلا رب العالمين . الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين . وإذا مرضت فهو يشفين . والذي يميّتي ثم يحييني والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين﴾ /الشعراء : ٦٩ - ٨٣ .
أيها الإخوة الكرام :

وجد سيدنا إبراهيم أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم يجد باللسان والمقال ، فأراد أن يري قومه ضعف الأوثان التي يعبدونها وعجزها إلزاماً للحجة عليهم ، فجعل ينتهز لذلك الفرص إلى أن حضرهم عيد ، فدعوه للخروج فقال لهم : إني سقيم ، أي سقيم النفس من عبادتكم لغير الله ، ثم تولوا عنه ، فسمعه بعضهم يقول :

﴿وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين﴾ /الأنبياء : ٥٧ /

، ثم أخذ فأسه وذهب إلى معبدهم فرأى أمام الأصنام أصناف الأطعمة فقال لهم : ﴿ألا تأكلون؟ ... ما لكم لا تنطقون ... فراغ عليهم ضرباً باليمين (يكسرهن) فجعلهم جذاً إذاً إلا كبيراً لهم﴾ .
وأقبل الناس من عيدهم فشاهدوا هذا المشهد ، آلهة مكسرة لا حول لها ولا قوة .

أيها السادة :

أنقل لكم هذه الأنباء على الموجات الإيمانية من سورة الأنبياء .
﴿قالوا من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين . قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم . قالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون﴾
وكان هذا منية سيدنا إبراهيم وطلبه أن يفضحهم على الملاء من الناس ، فجاؤوا به وسألوه :

﴿قالوا : أنت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم . قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون . فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون . ثم نكسوا على رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون﴾ /
الأنبياء : ٦٥ . وهنا سيدنا إبراهيم رماهم بشهب الإيمان وأقام عليهم الحجة والبرهان قال لهم : ﴿أتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم﴾ / الأنبياء : ٦٦ . وعلى الموجات الإيمانية من سورة العنكبوت :
﴿إنما تعبدون من دون الله آوثاناً وتخلقون إفكاً . إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون رزقاً فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون . وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ . وعلى موجة سورة الصافات : ﴿أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون﴾ / العنكبوت : ٩٦ .

ثم هاجمهم وهاجم أصنامهم فقال لهم : ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون﴾ / الأنبياء : ٦٧ .
فلما غلبهم بالحجة القاطعة لم تبق لهم حجة ولا شبهة إلا استعمال

قوتهم وسلطانهم كما يفعل الجبارة المتألهون على الأرض لينصروا ما هم عليه من سفهم وطغيانهم ﴿ فأقبلوا إليه يزفون ﴾ (يسرعون) . قالوا ﴿ حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين ﴾ / الأنبياء : ٢٩ . ﴿ قالوا ابنوا له بنياناً فألقوه في الجحيم ﴾ / الصافات : ٩٧ .

وراح النمرود يأمر الناس ، أن تجمع الحطب من جميع الأماكن لحرق الخليل إبراهيم ، ومكثوا مدة في جمعة حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطباً لحرق إبراهيم . حتى جمعوا حطباً كثيراً في ساحة المدينة وأحاطوها بالحجارة والتراب وأوقدوا فيها النار فاضطربت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر عظيم .
أيها السادة الكرام :

إننا في أوج الحدث الإيماني فقد جاؤوا بال خليل وأوثقوه واتخذوا منجنيقاً ووضعوه فيه مقيداً مغلولاً ، فضجت السموات والأرض والجبال ضجة واحدة ، وطلبوا من الله أن ينصروه ، فأذن لهم ، فجاءه ملك المياه فقال إن أردت أخمدت النار ، وأتاه خازن الريح فقال إن شئت طيرت النار في الهواء . وكل ذلك وسيدنا إبراهيم ثابت الجنان قوي اليقين واثق بهولاء الرحمن ، وما هي إلا لحظات حتى رمي بالمنجنيق . وفي الهواء جاءه سيدنا جبريل فقال له :

« يا ابراهيم ألك حاجة . قال أما إليك فلا ، وأما إلى الله فحسبي الله ونعم الوكيل » . (خ ٤٥٦٤) . وهنا جاء الأمر الإلهي .

﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾ / الأنبياء : ٦٩ .
فحملت الملائكة الخليل إبراهيم إلى أن أوصلته إلى وسط النار فإذا بروضة على الأرض وعين ماء وفواكه بانتظار خليل الرحمن ضيافة من قبل الواحد الديان .

أيها السادة : إن النار لا تحرق بطبعها ، ولا بقوة أودعها الله فيها ، إنما تحرق بإذن الله ، إن الله يوجد - إن شاء - الحرق عند وجود النار ، وإذا شاء

منعها من الحرق والدلیل ﴿قلنا یا نار کونی برداً وسلاماً علی إبراهیم .
فأرادوا به کیداً فجعلناهم الأخسرین﴾ / الأنبياء : ۷۰ .
وتمضي الأيام والخليل وسط النار في جنات وروضات حسان ، يؤنسه
ملكُ الظل ، وراح الناس ينظرون إلى الخليل وهو يأكل الفاكهة وهو بآتم صحة
وعافية ، ونظر إليه أبوه أزر ثم أعلنها عالية مدوية :

نعم الرب ربك يا إبراهیم .
يقول سيدنا إبراهیم : ما كنت أياماً وليالي أطيب عيشاً إذ كنت فيها
وودت أن أعيش حياتي كلها مثل إذ كنت فيها (صلوا عليه) .
فأرادوا أن ينتصروا فخذلوا ، وأرادوا أن يرتفعوا فاتضعوا ، وأرادوا أن
يغلبوا فغلبوا ، وصدق الله العظيم ﴿وأرادوا به كيداً فجعلناهم الأخسرین﴾
/ الأنبياء : ۷۰ ، ﴿فجعلناهم الأسفلين﴾ / الصافات : ۹۸ ، ولن يغلب الله
غالب ﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز﴾ .
فماذا كان رد فعل الناس على هذا الحدث العظيم؟ كيف جابه النمرود
الجبار هذا الحدث الإيماني؟ وإلى أين هاجر الخليل إبراهیم؟ أعلق هذه
الأسئلة لأجيب عنها بمشيئة الله تعالى يوم الجمعة القادمة ، وأعود بكم من
هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن
يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

* * *

تذكر عزيزي الموحّد أن:

١- ترتيب الرسل : سيدنا آدم - سيدنا إدريس - سيدنا نوح - سيدنا

هود - سيدنا صالح - سيدنا إبراهيم .

٢- سيدنا نوح هو أول الرسل إلى الأرض بعد سيدنا آدم . عاش

١٧٨٠ سنة .

٣- أولاد سيدنا نوح أربعة : سام - حام - يافث - يام .

سام : أبوالعرب وفارس الروم .

حام : أبو القبط ، والسودان والبربر .

يافث : أبو الترك ، والصقالبة ويأجوج ومأجوج .

والثلاثة هم أولاده المؤمنون به .

٤- أرسل سيدنا هود إلى قوم عاد وهم عاد الأولى .

٥- أرسل سيدنا صالح إلى قوم ثمود .

٦- أرسل سيدنا إبراهيم إلى بلاد الشام والعراق وأوتي من الفضائل

الشيء الكثير .

سیدنا ابراهیم

فی بلاد الشام ومصر

- ۲۷ -

الحمد لله مخرج الحی من المیت ، ومخرج المیت من الحی ، العلیم
بما تخفیة الصدور وتبذیه من کل شی .
أحمدہ سبحانہ وتعالی وأشکره علی نعمه ، وأعوذ به فی أداء
شکرها من المطل واللی .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شریک له الذی هدانا إلى الرشد
علی رغم أنف أهل الغی .
وأشهد أن سیدنا محمداً عبده ورسوله الذی أباح له الفیء ، وأظل
أمتہ من ظلل هدیہ بأوسع فیء .
اللهم صل وسلم وبارک علی سیدنا محمد وعلی آله وأصحابه وتابعیه
من کل قبيلة وحی ، وسلم تسلیما .
أما بعد .

فما زلت معکم الیوم فی الحدیث عن نبی عظیم من أولی العزم من
الرسل ، رسول اجتمع فیہ من خلال الخیر وأنواع الفضل ما یجمع فی أمة ،
وهو أول من سماه الله حنیفاً مسلماً ، وبرأه من دعاوی اليهود والنصارى ،
وشهد له بالإسلام والإخلاص ، وهو الذی یکسى حلة بیضاء یوم القيامة .
ویوضع له منبر عن یسار عرش الرحمن ، وهو أول من استنشق ، وأول من

هاجر ، سماه الله حليماً أوهاً ، كان إذا سافر واشتاق إلى أهله كشف الله له الحجاب بينه وبينهم حتى يراهم وهو بعيد عنهم .

إننا باختصار أمام قمة شامخة من قمم التاريخ الإسلامي ، قمة لم يرتق إليها نبي ولا رسول إلا سيدنا محمد ، وكنت قد علقت معكم الإجابة عن بعض الأسئلة ، ماذا كان موقف النمرود من الحدث الإيماني الذي جرى للخليل إبراهيم ، وأنا اليوم أستمد العون من مولانا عز وجل في الإجابة عن هذا السؤال مع الحلقة السابعة والعشرين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية . وفي بداية هذه الحلقة أرفع معكم شعار التوحيد .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

أيها الإخوة :

كان أثر هذا الحدث الإيماني قوياً على أصحاب النفوس الصافية ، فدخلوا في الإسلام بمجرد خروج الخليل من بين أطباق النار ، فخاف النمرود أن يفسد عليه الناس ، فبدأ محاوره عقيمة انتهت بفشله الذريع ، فقد نسي النمرود أنه عبد لله ، رفض أن يكون عبداً لله بالاختيار ، فأذاقه الله تعالى عبوديته بالاضطرار ، فكيف حدث هذا ؟

معشر الإخوة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بكم إلى مسرح العمليات الإيمانية لأنقل لكم نهاية أحد الجبابرة المتألهين على الأرض ، الزمان عصر الخليل إبراهيم ، المكان العراق ، الشخصيات : سيدنا إبراهيم والجبار النمرود ، وأصغر جرثومة خلقها الله قاذفة مقاتلة من النوع الممتاز .

إننا في ساحة المعركة وها هو الخليل يخرج من بين أطباق النار فيتلقاه النمرود يسأله : ما دليل إلهك يا إبراهيم ؟

قال إبراهيم : ربي الذي يحيي ويميت .

قال النمرود : أنا أحيي وأميت ، فأتى بسجينين حكم عليهما

بالإعدام ، فقتل واحداً وعفا عن الآخر . وقال : أرأيت كيف أحييت وأمت .
فأعرض الخليل عن هذه المغالطة التي وقع فيها هذا المتأله وصفعه
صفعة توحيدية أردته قتيلاً على أرض العبودية ، قال له : إن ربي يأتي
بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب .

الله أكبر ، أأست ملكاً ، أأست قادراً ، أأست ترى أنك فوق العبودية
لله ، إن ربي يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر .
ولكن النمرود ما استسلم لهذه الحقيقة وهي أنه عبد ، فأراد الله
تعالى أن يجعله عبداً بالاضطرار أراد الله أن يذله فأرسل بعوضة طراز ب ع :
قاذفة مقاتلة إذا سلطها الله على إنسان تبقيه يقظاً طوال الليل ، كتب على
جناحها (صنع الله القادر المقتدر) ، هذه البعوضة بالنسبة للبشر ، من كل
مليار من البشر واحد تدخل في الأنف أو في الأذن ، لأن مولانا وضع لكل
واحد منا حماية صبغية في الأذن ، مادة مرة تقتل الحشرات ، وفي الأنف
شعيرات ومنخاط تمنع دخولها أيضاً .

أما النمرود المتأله فقد أسقط الله عنه الأسلحة الدفاعية ، وسمح
للبعوضة أن تدخل الأنف حتى وصلت إلى مراكز الدماغ ، آه ، يا من أردت
أن تكون رباً ، إن لم تكن عبداً بالاختيار جعلتك عبداً بالقهر والاضطرار ،
فكانت هذه البعوضة تريد الخروج فتطن في دماغ النمرود ، فيرى أن دماغه
تكاد تتمزق فيضرب رأسه بيده ، كفاً ، فتطن فيضرب باليد الأخرى . حتى
كلت يدها وتعبتا من كثرة ما ضرب نفسه ، رب يضرب نفسه ، فليسمع من
يدعي الألوهية من البشر ، ولكن عذاباً أشد كان ينتظر النمرود ، فقد كان
يطلب من عبده أن يأتوا بجلد النعال ويضربوه على رأسه حتى تهدأ البعوضة
ويستطيع النوم بعد أن احمرت صلعته وتقيحت من شدة الضرب .

أروني قوتكم أيها المتألهون على الأرض ، وكل من لا يريد أن يكون
عبداً بالاختيار حاربه مولانا فجعله عبداً بالقهر والاضطرار .

الجمال والكمال في أن العبد بالاختيار يملك الدنيا والآخرة ، وأما العبد بالقسر والإجبار فيملك أول الدنيا ويدله اللَّهُ في آخرها فيخسر الدنيا والآخرة كما حدث للنمرود تماماً ، مات من شدة الضرب إلى حيث أُلقت رجليها أم قشعم .

أيها الإخوة الكرام :

هاجر الخليل إلى اللَّهُ تعالى وهاجر معه ابن أخيه لوط وابنة عمه سارة التي تزوجها سيدنا ابراهيم ، وهاجر هذا الركب الثلاثي وتركوا بلادهم وأقرباءهم وفروا بدينهم إلى أرض مباركة طيبة ، قال عنها مولانا في كتابه : ﴿ ونجيناها ولوطاً إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين ﴾ أتدرون أين تقع هذه الأرض المباركة أيها الإخوة - إنها هنا أرض الشام ، أرضنا هذه ، الشام التي قال فيها الحبيب المصطفى : « إِنَّ اللَّهَ قَسَمَ الْخَيْرَ ، فَجَعَلَ تِسْعَةَ أَعْشَارِهِ فِي الشَّامِ ، وَبَقِيَّتَهُ فِي سَائِرِ الْأَرْضِ » (ض) .

الشام التي قال عنها الحبيب الأعظم بأن فيها :

(أربعون رجلاً قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن) (ض) وهم بالشام .

ومن الشام دمشق التي قال عنها سيد الوجود :

«دمشق أكثر المدن أبدالاً وزهاداً وأكثرها مساجد وهي لأهلها معقلٌ وأكثر المدن أهلاً ومالاً ورجالاً» الإمام أحمد (ض) .

الشام التي قال عنها من تحبون أن تصلوا عليه : «عليكم بالشام فإنها صفوة بلاد اللَّهُ يسكنها خيرته من عباده» (حسن) ثم قال : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَكْفَلَ بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ ، طَوْبَى لِلشَّامِ لِأَنَّ مَلَائِكَةَ الرَّحْمَنِ بِاسْتِظَّةِ أَجْنَحَتِهَا عَلَيْهَا» . (ت حسن غريب- حا : صحيح- أحمد) .

الشام التي قال عليه الصلاة والسلام مشيداً بأهلها : «أهل الشام سوط اللَّهُ في أرضه ، ينتقم بهم من يشاء من عباده ، وحرام على

منافقيهم أن يظهروا على مؤمنينهم ، وأن يموتوا إلا همأً وغيظاً وغماً وحزنأً»
صحيح : موقوف ، (ض مرفوع) طب وأحمد .
وهكذا معشر السادة الكرام :

هاجر الخليل إلى هذه الأرض المباركة الطيبة ، واجتازها حتى استقر
في القدس الشريف ، لكن المنطقة كانت تعاني من قحط وجذب وشدة
وعلاء فارتحلوا إلى مصر بحثاً عن الميرة والطعام ، فإذا بها فرعون من الفراعنة
الأول ، استعبد شعبها وراح يستولى على كل فتاة أو امرأة جميلة وكانت
السيدة سارة من أحسن النساء وأجملهن ، فأتى هذا الجبار رجل وأخبره أن
ههنا رجلاً ومعه امرأة ، ووصف له من حسننها وجمالها ، فأرسل الجبار إلى
الخليل إبراهيم فجاءه فسأله : ما هذه المرأة منك . ففطن إبراهيم إلى مأربه
وعرف مقصده فقال : هي أختي (أي في الدين) . فأمره أن يرسلها إليه
ليتزوجها فرجع سيدنا الخليل إلى زوجته وأخبرها الخبر ، وقال لها : إنه
ليس على هذه الأرض مسلم غيري وغيرك ، فقلت له : إنك إختي . فأنا
أسلمك إلى الله ليحرسك ويحفظك (خ ٣٣٤٩) .

وذهبت السيدة سارة فأدخلت إلى غرفة الجبار ، فقامت فتوضأت ثم
وقفت تصلي بين يدي مولانا وراحت تقول : اللهم إن كنت لتعلم أنني أمنت
بك وبرسولك وأحصنت فرجي إلا على زوجي فلا تسلط علي هذا الكافر .
وأما سيدنا إبراهيم فقد قام هو الآخر يصلي ويناجي مولانا عز وجل
ويتوجه إليه بالدعاء ، فإذا بالحجب تنكشف عن السيدة سارة ، إننا الآن
نرى الخليل وهو قائم يدعو يرى كل ما حدث مع زوجته السيدة سارة ، رأى
الفرعون الجبار يدخل على زوجته ، وراها ترفع يدها إلى الله وتقول يا رب ،
فإذا بالجبار يقع على الأرض مغشياً عليه .

ف قالت السيدة سارة : اللهم إن يمت يقولوا هي قتلته ، فقام من
غشيته ، ثم تقدم إليها ، فوقع مغشياً عليه ، وكلما قام وقع مغشياً عليه ، ثم

قام ينادي خدمه وعبيده : ما أرسلتم لي إلا شيطاناً أرجعوها إلى إبراهيم وهبوا لها الجارية هاجر .

أيها السادة الكرام :

وعادت السيدة سارة ، ومعها جارتها القبطية هاجر ، فدخلت على الخليل وهو قائم يصلي شاكراً لله تعالى وراحت تقول : كفى الله كيد الفاجر ، وأخذمني هاجر : ثم عَقَبْتُ على قولها فقالت لزوجها :

يا إبراهيم لقد مضى على زواجنا عشرون سنة ، والرب قد حرمني الولد ، فادخل على أمتي هذه لعل الله يرزقك منها ولداً .

وبقي الخليل في مصر آمناً مطمئناً وعمل فيها حتى كثر ماله ونما .

لكن الخليل لم تعجبه الإقامة بمصر ، وأثر العودة إلى بيت المقدس ومعه أنعام وعبيد ومال جزيل ، وخرج معه لوط الذي أعطاه الخليل قسماً من أمواله وعبيده فسكن أرض الغور من الأردن ، بمدينة بجوار البحر الميت اليوم تسمى (مدينة سدوم) وحولها قرى صغيرة ، وكان أهلها أشراً كفاراً فجاراً .

وأوحى الله تعالى إلى سيدنا إبراهيم الخليل وقال له : سأجعل لك بلاد الشام ولأولادك من بعدك ، وسأكثر ذريتك حتى يصيروا بعدد تراب الأرض .

وبدأت تتحقق البشارة بولادة أول ولد لسيدنا إبراهيم من السيدة هاجر وهو جدي سيدنا إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، ولدت له وكان عمر سيدنا إبراهيم ٨٦ سنة وأوحى له مولانا :

- قد استجبت لك في إسماعيل ، وبازكت عليه وكثرت ونميته كثيراً ، ويولد له اثنا عشر عظيماً ، وأجعله رئيساً لشعب عظيم .

وهؤلاء الاثنا عشر عظيماً هم الخلفاء الراشدون الاثنا عشر الذين بشروا بهم سيدنا رسول الله حين قال : لا يزال هذا الأمر قائماً أو عزيزاً حتى يكون اثنا عشر أميراً كلهم من قريش ، فهؤلاء منهم الصديق والفاروق وذو النورين وعلي وعمر بن عبد العزيز وبعض بني العباس . (موقوف على ابن عمرو صحيح) (وانظر : خ ٧٢٢٣) .

وهذه البشارة التي نالتها هذه الأمة كلها لشرف سيدنا محمد ﷺ الذي سادت به العرب وملكت جميع البلاد شرقاً وغرباً ، فاللهم صل على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين وعامة المسلمين .

أيها الإخوة :

أقام سيدنا إبراهيم ببلده وكان مشتهراً بالكرم والجود مضيافاً ، بل كان عليه الصلاة والسلام لا يأكل طعاماً بمفرده ، بل يبحث عن ضيف أو أضياف ليأكل معهم ، ويفعل ذلك شكراً لله على ما أكرمه ووسع عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم ، حتى شق عليه في يوم من الأيام وهو يبحث عن الضيف ، فإذا برجال من بعيد لم ير مثل حسنهم وجمالهم فقال : لا يضيف هؤلاء أحد غيري ، فاستضافهم وأسرع فأتى بعجل شواه ثم قربه إليهم .

فامتنعوا عن الأكل منه ، فلما رأى الخليل ذلك ظنهم أعداء له وأوجس منهم خيفة ، وهنا قال أحدهم : يا إبراهيم لا نأكل طعاماً إلا بئمن . فقال الخليل : إن لهذا ثمناً : قالوا وما ثمنه ؟ قال : تذكرن اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره ، فالتفت أحدهم إلى الآخر وقال : يحق لهذا أن يتخذ ربه خليلاً .

وقال له أحدهما : إنا أرسلنا إلى قوم لوط . هذا هو ميكائيل وأنا جبرائيل وجئنا لنبشرك ببشارة عظيمة ، نبشرك أن زوجتك سارة سوف تنجب لك ولداً ، وكانت السيدة سارة تقف خلف الباب وكان عمرها تسعين سنة فقال لسيدنا جبريل : ما آية ذلك ، فأخذ سيدنا جبريل بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتز العود أخضر بإذن الله تعالى ، وما إن اهتز أخضر بإذن الله تعالى حتى رأت السيدة سارة حيضتها ، وقد جاءتها مباشرة كبنت بلغت سن الحيض واسمعوا هذه البشارة على الموجة الإيمانية من سورة سيدنا هود .

﴿ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى ، قالوا : سلاما ، قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حинد . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم﴾

وأوجس منهم خيفة . قالوا : لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط ، وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب ، قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إن هذا لشيء عجيب ، قالوا : أتعجبين من أمر الله ، رحمت الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد ﴿ هود : ٦٩ - ٧٣ 》 .

وحملت السيدة سارة بإسحق ثم وضعته باذن الله تعالى ، وراح الخليل يستمتع برؤيته ولديه يشبان أمام عينيه ويلعبان وراح يعلمهما الرماية وركوب الخيل ، وهما بعد لم يشبا عن الطوق ، حتى تسابقا مرة أمامه فسبق الأكبر منهما وهو سيدنا إسماعيل ، فوضعه الخليل في حجره وراح يقبله ، فنظرت إليه السيدة سارة وقد وقعت الغيرة في قلبها فغضبت وقالت : عمدت إلى ابن الأمة فأجلسته في حرك ، وعمدت إلى ابني فأجلسته إلى جنبك ، حلفت لا تساكني هذه الأمة في أرض واحدة .
أيها الإخوة الكرام :

فما هو أثر هذه الغيرة التي وقعت في قلب السيدة سارة؟ ما هو الخير الذي أجراه مولانا على يدي سيدنا إسماعيل ؟ إلى أين هاجر مع والدته السيدة هاجر؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

* * *

السلام على النبي في الترتيب

سيدنا إسماعيل الذبيح

- ٢٨ -

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنَّة ، بما دفع عنهم كيد الشيطان
وفنه ، ورد أمله وخيب ظنه .

أحمدده سبحانه وتعالى وأشكره إذ جعل الإيمان حصناً لأوليائه
وُجَّنه ، وفتح لهم به أبواب الجنة .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إله عرف عباده أن وسيلة
الشيطان إلى نفوسهم الشهوات المستكنة ، وأن بقمعها تصبح النفس مطمئنة .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله قائد الخلائق ومهد السنة

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
ذوي الأبصار الثاقبة والعقول والنفوس المطمئنة ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

فما زلنا معاً ننزل ضيوفاً على سيد الفتيان و خليل الرحمن ، الذي
جعله مولانا إماماً وجعل مقامه مصلحاً للناس وأوحى الله إليه فقال : يا
إبراهيم إنك لما سلمت مالك إلى الضيفان وابنك إلى القربان ونفسك إلى
النيران وقلبك إلى الرحمن اتخذناك خليلاً وأنزل الله عليه المواعظ :

«أيها الملك المبتلى المسلط المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها

العالية التي ترك بجوارها أهله وراح يدعو بالدعوات الإيمانية ، اسمعوها على الموجة الإيمانية من سورة سيدنا إبراهيم : عن ابن عباس البخاري (٣٣٦٤) .
﴿ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ﴾ / إبراهيم : ٣٧ .

وتمضي الليلة الأولى فالثانية وهي تأكل من التمر وتشرب وتستقي من السقاء ، حتى نفدا ، ثم عطشت وعطش ولدها ، وبدا يرن في أصداء الوادي بكاء الولد ، والولد يتلوى ، وارتفع التوتر العصبي عند الأم وراحت تستقبل المرتفعات والأرض بعينيها وتنظر هل من أحد ، فلم تر أحداً ، وكلها ثقة بالله أنه لن يضيعها ، وراحت تسعى بين جبلي الصفا والمروة اليوم ، فما إن أشرفت على المروة السابعة حتى رأت ملكاً من ملائكة الرحمن يضرب الأرض بريشة من جناحه عند أسفل قدمي الغلام ، فنبع الماء زلالاً بإذن الله تعالى ، وراحت الأم تركض إلى الماء لتجمعه خوفاً من أن ينفد ، وتقول له : زم زم ، وهنا سقت ولدها وشربت حتى ارتوت هي وولدها .

ثم سمعت الملك يقول لها : لا تخافي الضيعة فإن ههنا بيتاً لله بينه هذا الغلام هو وأبوه .

وعمر الأيام والخليل يتعاهد أهل بيته بالرعاية يأتي على البراق من بيت المقدس إلى البيت الحرام فيطمئن عليهم ويعود ، وبدأت الأرض الطيبة ينبت فيها الكأأ وصدق الله العظيم ﴿وجعلنا من الماء كل شيء حي﴾ .
أيها السادة :

وقبض الله لهذه الأسرة الصغيرة قوماً من قبيلة جرهم العربية ، فنزلوا بعيداً فرأوا طيوراً في السماء ، فقالوا : إن هذه الطيور لتدور على ماء ، لعهدنا بهذا الوادي وما فيه ماء ، فأرسلوا واردهم الذي أسرع يبشرهم بالماء ، فقدم القوم عن آخرهم فشربوا واستقوا ، وعجبوا من الأم وولدها فاستأذنوها بالنزول في هذه الدوحة الصغيرة ، فأذنت لهم بشرط أن يكون الماء من حقها

الجسد : فتقليم الأظافر وحلق العانة والختان ونتف الإبط وبالاستنجا
والاستبراء بالماء .

فقام بها حق القيام لا يشغله شيء عنها وقد اختتن الخليل وكان عمره
مئة وعشرين سنة . في صحيح البخاري ثمانين سنة .

أيها السادة :

تركنا الخليل يطوي الأراضي والسحاب وهو يسير مع زوجته السيدة
هاجر ومعهما ولد هما سيدنا إسماعيل بأمر الواحد الديان إلى أكمة مرتفعة
في واد غير ذي زرع ، وحوله الجبال العالية التي احترقت أحجارها من شدة
حر الصحراء .

وحقيقة القول أن مولانا أراد أن يكافئ السيدة هاجر ، وأن يطيب خاطر
سيدنا إبراهيم بامتثاله الأمر الإلهي الصادر عن مولانا عز وجل ، فإن الأمر
عصيب : شيخ كبير قد بلغ المئة والعشرين خريفاً يأتي بولده الأول الذي
جاءه على كبر ، والذي أنس به ورأى فيه الأمل في ذرية طيبة ، يأتي به إلى
مكان قفر لا ماء ولا زرع ولا نبات ولا حيوان .

معشر السادة الكرام :

هذا هو الموقف اليوم فدعوني أنتقل بحضراتكم إلى هناك ، إلى البيت
الحرام لأبحث معكم اليوم قضايا إيمانية عدة مع الحلقة الثامنة والعشرين من
سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية .

ها هو أبو الأنبياء سلم سقاء فيه ماء وجراباً فيه تمر إلى زوجته السيدة
هاجر ، وولى قفاه راجعاً ، فتنادي عليه السيدة هاجر : يا إبراهيم ! أين
تذهب وتركننا بهذا الوادي الذي ليس به أنيس ولا شيء ؟ فلم يرد عليها
شيئاً وهو لا يلتفت إليها : فقالت له :

أله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . فقالت : إذن لا يضيعنا .

وانطلق الخليل حتى إذا غاب عن ناظري زوجته استقبل الأكمة

على بعض ولكنني بعثتك لتردّ عني دعوة المظلوم ، فإني لا أردّها ولو كانت من كافر .

«على العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له أربع ساعات : ساعة يناجي بها ربه ، وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى ، وساعة يحاسب فيها نفسه على ما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما .»

«على العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه ومن علم أن كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه ، والله عن كل محذور يغنيه .»

معشر السادة الكرام .

هذه الكلمات النورانية انتقيتها لكم من الصحف التي أنزلت على أبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، فقد أنزل عليه مولانا عشر صحائف كلها أمثال إيمانية ، وقد شهد منه مولانا شهادات عظيمة في كتابه الكريم فقال عز وجل : ﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم ﴾ / الممتحنة : ٤ / ، بل أمر سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم ومن خلفه أمته خير الأمم باتباع ملته فقال تعالى : ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾ .

﴿إبراهيم الذي وفى ﴾ / النجم : ٣٧ / ، فيما ذوّق ، اسمعوا تفصيل الأنبياء الإيمانية أذيعها على الموجة الإيمانية من سورة البقرة :

﴿وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن ، قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي ؟ قال لا ينال عهدي الظالمين ﴾ / البقرة : ١٢٤ / .

ابتلاه مولانا وامتحنه واختبره بكلمات وخصال من الإيمان وشعبه ، ابتلاه الله بالطهارة ، خمس في الرأس وخمس في الجسد وأما في الرأس فقص الشارب والمضمضة والسواك والاستنشاق وفرق الرأس . وأما في

وحق ولدها .

وهكذا - معشر السادة - استجاب الله دعوة الخليل فجعل أفئدة من هذه القبيلة تميل إلى الأم وولدها لينشأ هذا الغلام بين حنايا هؤلاء العرب ويكون سيدنا إسماعيل أباً للعرب المستعربة ، وليكون من نسله النبي الأمي العربي سيدنا ومولانا محمد ﷺ .

وشب جدي سيدنا إسماعيل حتى بلغ سن التمييز أو العاشرة وإذا بالخليل إبراهيم يأتي أهله زائراً ، ولكنه وفي هذه المرة وعند العودة أخذ بيد إسماعيل وقال لزوجته : سوف أذهب مع ولدي إسماعيل لنقرب قرباناً إلى الله تعالى وسار الوالد وولده الحبيب حتى إذا بلغ منطقة منى اليوم ، أسرع إبليس إلى السيدة هاجر بهيئة إنسان فسألها عن زوجها إبراهيم فقالت له : ذهب ليقرب إلى الله قرباناً ، فقال لها : والله ما ذهب بإسماعيل إلا ليذبحه . قالت : كلا هو أرحم به مني ، وأشد حباً له من ذلك ، فقال لها إنه يزعم أن الله أمره بذلك ، فقالت له : إن كان أمره بذلك فقد أحسن في امتثال طاعة ربه عز وجل ، فخرج إبليس من عندها يائساً حتى أدرك إسماعيل وهو يمشي على إثر أبيه فقال له : يا غلام هل تدري أين يذهب أبوك بك ؟ قال : نقرب إلى الله قرباناً في هذا الشعب ، قال لا والله ما يريد إلا ذبحك ، قال : ولم ؟ قال يزعم أن الله أمره بذلك ، فقال له : فليفعل ما أمره الله به فسمعاً وطاعة لأمر الله تعالى ، فلما امتنع منه الغلام أقبل إبليس على الخليل ، وعرض له عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه إبراهيم ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فقال له : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي . فقال : والله إنني أرى الشيطان قد جاءك في منامك يأمرك بذبح ابنك هذا ، فعرفه إبراهيم فقال له إليك عني يا ملعون إنني ممتثل لأمر ربي ، ورماه بسبع حصيات ، حتى ذهب ثم عرض له ثانية عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات ، ثم عرض له عند الجمرة

الصغرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب إبليس لعنه الله بغيبه لم يصب من الخليل وأهله شيئاً مما أراد ، ومنعهم الله منه وأيدهم بحفظه وكنفه . وصارح الخليل ولده بسرّ عجيب وأمر غريب لم يحدث من قبل ولن يحدث من بعد إلا مرة واحدة ، فما هو هذا السر ؟

﴿وقال : إني ذاهب إلى ربي سيهدين رب هب لي من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ / الصافات : ١٠٢ .

إن هذا المشهد اليوم ليدل دلالة عظيمة على بر سيدنا إسماعيل لأبيه هذا البر العجيب ، فقد سمعنا كثيراً عن قصص البر بالوالدين ، سمعنا عن رجل حمل أمه على رقبته حاجاً بها من اليمن فرآه ابن عمر فقال له : يا ابن عمر هذه أمي حججت بها من اليمن ، أترى أني جزيتها ؟ فقال ابن عمر : لا ، ولا بطلقة واحدة ، ولكنك أحسنت والله يشيك على القليل الكثير .

وسمعنا عن رجل طلق زوجته براً بأبيه وأمّه وطاعة لهما ، وسمعنا عن رجل لم يأكل لَبّة بطيخ في حياة والدته ، بل كان كلما قسم واحدة قدم لُبّتها لوالدته لأنها تحبها ، وسمعنا عن رجل كان لا يخرج من بيته حتى يقبل قدمي والديه ، ومرة وجد أمه نائمة في غرفتها وقد أقفلت باب غرفتها فقبل عتبة باب أمه حتى لا يوقظها .

أما هذه القضية العجيبة فلم نسمعها إلا مرة واحدة في القرآن الكريم ، فقد أراد الخليل إبراهيم أن يجعل لولده فضيلة وأجرأً في استشارته بتنفيذ أمر الرب تبارك وتعالى .

قال له : إني أرى في المنام إني أذبحك ، والعقيدة تقول : إن رؤيا الأنبياء حق وصدق من الله تعالى لأن الشيطان لا يتسلط عليهم ، ثم قال له : فانظر ماذا ترى ؟ ماذا أرى ؟ وهل لي رأي في تنفيذ أمر الإله قال الغلام

مباشرة . ﴿يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين﴾ /
الصفات : ١٠٢ .

ليسمع الأولاد ، اليوم - هذا الدرس في بر الوالدين ، ليسمع العاقون
لوالديهم كيف يكون البر بالوالدين ، وأن عليهم ألف مرة أن يفكروا قبل
أن تطرف أعينهم أو يفكروا لمحة في عقوق الوالدين ، أو تسديد النظر
إليهم بالغضب :

لما ربط الخليل ولده لينفذ أمر الله بولده قال الغلام لأبيه :

يا أبت اشدد رباطي حتى لا أضطرب ، واكفف ثيابك حتى لا
ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أُمي فتحزن ، وغط رأسي
حتى لا تأخذك شفقة الوالد على ولده ، واشحذ شفرتك وأسرع والسكين
على حلقي ليكون أهون علي فإن الموت شديد ، وإذا أتيت أُمي فأقرئها مني
السلام ومرها فلتصبر ولتحتسب ، وأعطها قميصي كي يكون لها عزاء .

ففعل ذلك الخليل ثم أقبل على ولده يقبله وقد ربطه وهو يبكي
وراحت الدموع تسيل على خدي الوالد الشيخ وتقاطرت الدموع على ولده
إسماعيل وهو يربطه فبكى الولد على بكاء أبيه ، ثم وضع السكين على
حلق ولده فلم تذبح السكين ، فراح ولده يقول : يا أبت اذبح ولا تعص لله
أمرأ ، فيمر الخليل بالسكين ثانية على رقبة ولده ، مرة بعد مرة ، والسكين
لا تذبح ، وعند ذلك قال الابن لأبيه : يا أبت كبني على وجهي فإنك إن
نظرت إلى وجهي رحمتني وأدركتك علي رقعة تحول بينك وبين أمر الله ،
ففعل الخليل ذلك ، فلما أسلما وتله للجبين ، ووضع السكين على قفاه
فانقلبت وماقطعت ، وكان رقبة الفتى قد أصبحت من نحاس ، لا والله بل
إن السكين أمرها مولانا أن لا تذبح الفتى والسكين نفذت الأمر الإلهي فلم
تذبح ، لأنها لا تذبح بطبعها ولا بقوة أودعها الله فيها ، أوتعرفون لماذا معشر
السادة ؟

لأن كل ذرة في هذا الوجود إنما تأتمر بأمر واحد فقط هو أمر الله رب العالمين . ونودي الخليل من السماء ﴿ أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين وفديناه بذبح عظيم ﴾ / الصافات : ١٠٧ . نزل الكباش من الجنة وأمسك الخليل السكين ووضعها على عنق الكباش وأجراها عليه فذبحت بإذن الله تعالى ، وكبر جبريل وكبر الخليل وكبر إسماعيل وكبرت الملائكة ونحن جميعاً ننادي من قلوبنا الله أكبر - الله أجل وأعظم .

وهكذا - معشر السادة - استعرضت على حضراتكم هذه القضية الإيمانية ، عليكم أن تحفظوا دروسكم : إن السكين لا تذبح بطبعها ، ولا بقوة أودعها الله تعالى فيها ، وإنما تذبح بإذن من ؟ بإذن الله .

هذه عقيدتنا ، وليضرب المعتزلة رؤوسهم بحيطان المسجد فإن الفاعل الحقيقي في الوجود هو الله ، أسمعوني من هو الفاعل الحقيقي في الوجود ؟ هو الله تعالى .

أيها السادة :

ماذا تتوقعون أن تكون المكافأة من مولانا عز وجل لل خليل وولده إسماعيل ؟ أدعكم في شوق لمعرفة هذه النعمة العظيمة التي منها الله عليهما ، لاستسلامهما المطلق لمولانا عز وجل ، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى

لا إله إلا الله

* * *

سيدنا إبراهيم وأسماء عيل بناء الكعبة المشرفة والوفاة

- ٢٩ -

الحمد لله الذي جعل البيت الحرام مثابة للناس وأمنا ، وكتب حجه على من استطاع إليه سبيلا . ليجزي الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى .

أحمده سبحانه وتعالى وأشكره وأثني عليه الخير كله ولن نحصي ثناء عليه فهو كما حمد نفسه وأثنى .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الصفات العلى والأسماء الحسنى .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده وسوله أكمل البرية خلقاً وأجملها حسناً ، نبي دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لأهل الأرض أمنا ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

فإنني وقبل أن أبدأ المقال أرفع تحية إكبار وافتخار وتحية تقدير وتبجيل إلى القائد الأعلى للأمة العربية والإسلامية سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والتسليم ، ثم أدعو نفسي وأدعوكم اليوم لحضور عقد قران سيدنا إسماعيل ، وقبل أن أنقل لكم هذا التقرير أذيع على حضراتكم موجز الأنباء .

أيها السادة :

وقفت معكم في الجمعة الماضية وقفة حول المواقف الامتحانية التي وقع فيها جدي سيدنا ابراهيم وولده سيدنا اسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وكان النجاح الذي حققه هذان الرسولان عظيماً ومتعددًا ، لذلك بدأت المنح الإلهية الربانية تتوالى على الخليل وولده اسماعيل ، وإليكم معشر السادة الكرام بعض العطايا الإلهية التي استحقتها سيدنا ابراهيم على تنفيذ أوامر الرب تبارك وتعالى ، أذيعها على حضراتكم على الموجات الإيمانية من سورة النحل ثم من سورة البقرة .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم .

﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين ، شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم وآتيناه في هذه الدنيا حسنة وإنه في الآخرة لمن الصالحين﴾ .

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ، ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين﴾ /البقرة : ١٣١/ .

وأما المكافأة الثالثة فقد روى ابن ابي حاتم عن عبيد بن عمير قال : كان إبراهيم عليه السلام يضيف الناس فخرج يوماً يلتمس إنساناً يضيفه فلم يجد أحداً ، فرجع إلى داره فوجد فيها رجلاً قائماً . فقال : يا عبد الله ، ما أدخلك داري بغير إذني . قال دخلتها بإذن ربها . قال : ومن أنت؟ قال : أنا ملك الموت - أرسلني ربي إلى عبد من عباده أبشره بأن الله قد اتخذه خليلاً . قال من هو؟ فوالله إن أخبرتنى به وكان بأقصى البلاد لأتيته ثم لا أبرح له جاراً حتى يفرق بيننا الموت . قال : ذلك العبد أنت . قال : أنا . قال نعم : قال : فيم اتخذني ربي خليلاً : قال : بأنك تعطي الناس ولا تسألهم .

أيها السادة :

يكفي الخليل فخراً أن مولانا ذكره في كتابه الكريم في أكثر من خمسة وثلاثين موضعاً .

كانت هذه - معشر السادة - بعض المكافآت التقديرية التي منّها الله تعالى على خليله ، وكانت المكافأة العظمى التي شرفه الله بها مع ولده إسماعيل بناؤهما للكعبة المشرفة .

فقد عانى الخليل من حرب الأصنام وهدم المعابد التي نصبت فيها ، فبعثه الله بتكسيدها والقضاء على معالمها ، ثم أمره مولانا أن يشيد فوق الأرض شعار التوحيد لعبادة الله وحده ، ويبقى أبد الدهر تعبيراً للعالم عن المعنى الصحيح للدين والعبادة ، وعن بطلان كل من الشرك وعبادة الأصنام . فالبشرية قضت رديماً من الزمن تدين بالعبادة للحجارة والأصنام للطواغيت والمتألهين ، وتنشئ لها المعابد ، وقد أن لها أن تدرك بطلان كل ذلك ورفضه ، وأن لها أن تستعيض عن تلك المعابد هذا الرمز الجديد هذا الحرم الذي أقيم لعبادة الله وحده ، يدخله الإنسان ليقف عزيزاً لا ينضع ولا يذل إلا للخالق خالق الكون كله .

وإذا كان لابد للمؤمنين بوحداية الله والداخلين في دينه من رابطة يتعارفون بها ومثابة يؤوبون إليها ، ووجهة يتوجهون إليها مهما تفرقت بلدانهم وتباعدت ديارهم ، واختلفت أجناسهم ولغاتهم ، إذا كان لابد من ذلك فليس أجدر من هذا البيت الذي أقيم زمراً لتوحيد الله ، وتعبيراً عن العبادة له وحده ، مهما أقيم من آلهة زائفة ، وانتصب من متألهين باطلين على مر الأزمنة والعصور .

كان هذا معشر السادة الكرام هو معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنَا ﴾ / البقرة : ١٢٥ .

وهذا هو المعنى الذي يجب أن يلحظه الطائف بالبيت الحرام بعد أن يملأ قلبه من معنى العبودية لتحقيق أوامره جل جلاله .

ومن هنا : جاءت قداسة البيت وعظم مكانته عند الله تعالى ، وكانت ضرورة الحج إليه والطواف من حوله .

كان هذا هو موجز الأنباء أذعته على حضراتكم مع الحلقة التاسعة والعشرين من النفحات المنبرية في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية .

معشر السادة الكرام :

شَبَّ جدي سيدنا إسماعيل بين حنايا قبيلة جرهم ، وتعلَّم منهم العربية وبدا واضحاً ذكاؤه النبوي وأخلاقه المعصومة عن الزلل — كما هي حياة الأنبياء — فأعجبت القبيلة به أيما إعجاب ، فلما أدرك مبلغ الرجال زوجته امرأة منهم ، وكانت والدته قد توفيت ، وكان جدي سيدنا إبراهيم الخليل لا ينقطع عن زيارته ، فقدم مرة فلم يجد ولده ، فشكت إليه زوجته حالهما وقالت : نحن بشرٌ حال ، نحن في ضيق وشدة ، فقال لها : إذا جاءك زوجك فاقري عليه مني السلام وقولي له : يغير عتبة بابه .

فلما جاء جدي إسماعيل شم رائحة والده الخليل ، فقال هل جاءكم من أحد . فقالت : نعم جاء شيخ كبير ، فسألني عنك وعن حالتنا فأخبرته أننا في جهد وشدة . قال : هل أمرك بشيء؟ قالت نعم أمرني أن أقرأ عليك السلام ويقول لك : غير عتبة بابك . فقال جدي إسماعيل : ذاك أبي ، وقد أمرني أن أفارقك فالحقي بأهلك .

ولبت سيدنا إسماعيل ملياً ثم تزوج منهم ثانية ، ولبت عنهم والده ماشاء الله ثم أتاهم ، فلم يجده فسأل على امرأته وسألها عن حالهم ، فقالت نحن بخير واسع وأنت على الله عز وجل فقال : وما طعامكم؟ قالت اللحم . قال : ما شربكم؟ قالت : الماء . فقال : اللهم بارك لهم في اللحم والماء ، أخبري زوجك مني السلام ومريه أن يثبت عتبة بابه .

وقدم جدي سيدنا إسماعيل فأحس بقدوم والده ، فسأل زوجته فحدثته بأن شيخاً حسن المظهر حسن الهندام . . . وأتت عليه وقالت

يقرئك السلام ويأمرك أن تثبت عتبة بابك قال : ذاك أبي وأمرني أن لا أفارقك أبداً ، ثم قدم الخليل إليه ثلاثة فوجد ولده يهيئ نفسه للصيد فلما رآه قام إليه فصنع كما يصنع الولد بالوالد ثم قال : يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر . قال : فاصنع ما أمرك به ربك قال : وتعنيني ؟ . قال وأعنيك . قال : فإن الله أمرني أن أبني له بيتاً هنا وأشار إلى الأكمة المرتفعة . (خ ٣٣٦٤) .

معشر السادة :

وبعث الله رجلاً أظهرت للخليل الأساس الصخري للبيت ، وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ وبدأ الخليل مع ولده إسماعيل بينان البيت من الحجارة من الجبال السبعة التي حول البيت ، وحين رفع البناء وجاءه إسماعيل بحجر ليقف عليه حتى وصل الخليل إلى ركن البيت ، فطلب من ولده أن يأتيه بحجر يضعه على زاوية البيت ، فقال : يا أبت قد تعبت . فقال الخليل : أنا أحضره . فجاءه سيدنا جبريل بالحجر الأسود وكان ياقوتة بيضاء نزلت مع سيدنا آدم من الجنة وأمره أن يضعه على زاوية البيت ، ثم قام جدي إسماعيل ليأتي للخليل بالحجر ، فنظر إليه فإذا بالحجر الأسود ، فقال : يا أبت من جاءك بهذا ؟ قال جاء به من هو أنشط منك وكان كلما ارتفع البناء ارتفع الحجر الذي يقف عليه الخليل : حتى أثرت أصابع قدميه في الحجر ، وهو الحجر نفسه الذي يسمى اليوم بمقام إبراهيم ، « يقول سيدنا أنس بن مالك : رأيت في المقام أثر أصابع إبراهيم عليه السلام وعقب أخمص قدميه ، غير أنه أذهبه مسح الناس بأيدهم » . موطأ ابن وهب (الفتح ج ٩ / ٢١) (حا ووافقه) هب في الدلائل - الفتح ٦ / ٤٠٨ صحيح .

وروي أن عبد الله بن عمر قال : « أشهد (ثلاث مرات) أنني سمعت رسول الله ﷺ يقول : الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولو لم يطمس الله نورهما لأضاءا ما بين المشرق والمغرب » . (حسن لغيره : ابن خزيمة) .

وكان هذا الحجر ملتصقاً بحائط الكعبة على ما كان عليه من قديم الزمان إلى أيام سيدنا عمر بن الخطاب ، فأخره عن البيت قليلاً لئلا يشغل المصلين عند الطواف بالبيت . عبد الرزاق في (المصنف) بسند صحيح وأخرج البيهقي بسند قوي ، فتح الباري جزء (٩/ ٢١) .

معشر السادة :

وكان الخليل وولده إسماعيل عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام وهما يرفعان قواعد البيت يرددان الدعوات الإيمانية

﴿ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا منا سكناً وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم﴾ .

فجعل الخليل طول بناء الكعبة في السماء سبعة أذرع (٥ . ٣٠م) وجعلها خمسة أضلاع وكانت بغير سقف ، وجعل لها بابين متقابلين بقيا كذلك حتى قبيل الإسلام .

معشر السادة :

ما إن انتهت عملية بناء الكعبة المشرفة حتى صدر أمر آخر من مولانا عز وجل لخليله ليزداد به شرفاً على شرف وتقديراً على تقدير ، وكان هذا الأمر هو أن ينادي بالناس ويؤذن فيهم بالحج ، فقال الخليل لمولانا :

- يارب وما يبلغ صوتي؟ فقال مولانا : عليك الأذان وعليّ البلاغ .

وهنا علا الخليل على أكمة مرتفعة وراح ينادي قبل اليمن والمشرق والمغرب والشام :

- يا عباد الله كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق ، إن ربكم قد بنى بيتاً فحجوه وأجيبوا داعي الله .

فسمعه ما بين السماء والأرض ، وما بين الأبحر ومن في أصلاب

الرجال وأرحام النساء ، فأجاب كل من آمن بالله من سبق في علم الله تعالى أن يحج إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك . (حـ ٢ / ٥٥٥ ووافقه هـ ب في الدلائل ٢ / ٥٤ - الفتح ٦ / ٤٠٦) .

وسطر ذلك مولانا في كتابه الكريم فقال :

﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ / الحج : ٢٧ .

وأرسل الله تعالى سيدنا إسماعيل نبياً ورسولاً وأثنى عليه في كتابه ووصفه بالحلم والعبادة وصدق الوعد والمحافظة على الصلاة والأمر بها لأهله ليقبهم العذاب فقال عز وجل عن الخليل ﴿فبشرناه بغلام حليم﴾ .

وقال : ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل انه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً ، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضياً﴾ / مريم : ٥٥ .

وقد ذكر علماء النسب أنه أول من ركب الخيل ، وكانت الناس قبل ذلك تركب وحوشاً فأنسها وركبها ، فقد روي عن رسول الله ﷺ اتخذوا الخيل وأعقبوها (توارثوها) فإنها ميراث أبيكم إسماعيل (ابن كثير في الأنبياء) .

وكان جدي إسماعيل أول من تكلم بالعربية الفصيحة البليغة وهو ابن أربع عشرة سنة ، وعرب الحجاز كلهم ينتسبون إلى ولديه قانت وقندار فقد ولد له من الذكور اثنا عشر ذكراً .

حتى أدركته الوفاة فدفن بالحجر إلى جوار أمه السيدة هاجر وكان عمره مئة وسبعاً وثلاثين سنة .

معشر السادة الكرام .

وأرسل مولانا سيدنا جبريل ليعلم الخليل وولده مناسك الحج كما هي اليوم تماماً .

تزوج جدي سيدنا إبراهيم بعد وفاة السيدة سارة والسيدة هاجر اثنتين وبلغ عدد أولاده ثلاثة عشر ، أنزل سيدنا إسماعيل بأرض الحجاز وسيدنا اسحق بأرض الشام ، وفرق أولاده في البلاد .

ثم مرض الخليل وتوفي عن عمر مئتي سنة ودفن في مدينة الخليل في فلسطين ، وانتقل إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .

هذا هو خليل الرحمن وولده إسماعيل وقد جلس بعض صحابة نبينا مرة يذكرون من فضله ومكانته واجتباؤه عند الله تعالى ، وراحوا يتكلمون عن صفات الرسل الكرام فقال أحدهم : إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً ، وقال آخر : إن الله كلم موسى تكليماً ، وقال آخر : فعيسى روح الله وكلمته ، وقال آخر آدم اصطفاه الله تعالى .

وفي اثناء مذكراتهم تلك خرج عليهم الهادي عليه السلام فسمعهم فسلم عليهم وقال : قد سمعت كلامكم وعجبكم ، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى كلمه وهو كذلك ، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك ، وآدم اصطفاه الله وهو كذلك : ألا وإني أول شافع وأول مشفع ولا فخر ، وأنا أول من يحرك حلقة باب الجنة فيفتحه الله فأدخلها ومعني فقراء المؤمنين ، وأنا أكرم الأولين والآخرين يوم القيامة . ت : ض - المشكاة ٥٧٦٦ .

معشر السادة الكرام :

هذا هو تاريخ بناء الكعبة المشرفة ، وإن أول من بناها بيقين سيدنا إبراهيم الخليل ولم يجيء من طريق صحيح أن الكعبة كانت مبنية قبله ، هذا الذي علينا أن نعرفه اليوم وأن يعرفه المسلمون والعرب قاطبة ، المسلمون والعرب الذي أصابهم الوهن والتفرق لا بتعادهم عن رمز التوحيد والوحدة ،

العرب الذين استبدلوا قوتهم ببيتهم الحرام فراحوا يستمدون قوتهم من البيت الأبيض والبيت الأحمر الذي احترق ، وأسأل الله للبيت الأبيض أن يذوب وما ذلك على الله بعزيز .

إن المسلمين والعرب اليوم مدعوون جميعاً ليقفوا تحت راية البيت العتيق ليكونوا من بعد كما كانوا من قبل خير أمة أخرجت للناس .

فلن يعود للمسلمين عزهم ومجدهم حتى يعودوا من جديد ليتمسكوا بالدين والإسلام ، إنني أدعو الأمة العربية اليوم في مؤتمر القمة القادم ، وأدعو جميع الملوك والرؤساء العرب والمسلمين أن يركبوا معنا في سفينة الإيمان وتحت راية القائد الأعلى للأمة .

هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

* * *

نذكر عزيزي الموحّد أن:

- ١- الخليل وولده وابن أخيه لوط هاجروا من العراق إلى بلاد الشام وجعل الله الأبدال على قلبه .
- ٢- سيدنا إسماعيل ولد لسيدنا إبراهيم من جاريته هاجر وهو الذبيح الذي أمره الله أن يذبحه وفداه بذبح عظيم .
- ٣- سيدنا إسحق الولد الثاني لإبراهيم من امرأته سارة .
- ٤- أول من بنى الكعبة المشرفة سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل .
- ٥- جاء سيدنا إبراهيم بالتوحيد وهدم الأصنام .
- ٦- سيدنا إسماعيل أبو العرب المستعربة تعلم العربية من قبيلة جرهم العربية وتزوج منهم .

الثامن في الترتيب سيدنا لوط

- ٣٠ -

الحمد لله المنتقم من خالفه ، المهلك من أغضبه وأسفه ، المتوحد في قهره ، المنفرد بعز أمره ، أحمدته حمد شاكر لما أولاه ، مستقيل بما جناه .
وأشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له ، شهادة يقين لا شك فيه وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتره .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي استأمنه على علم الغيب ، وبرأه من كل دنس وعيب .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أفضل الصلوات وأزكاها وأنزلهم من منازل الكرامة أعلاها ، وسلم تسليمًا .

أما بعد :

فنحن اليوم على موعد مع الرسول السابع من الرسل المذكورين في القرآن الكريم رسول كابد مع سيدنا إبراهيم الآلام والمواقف الإيمانية وهو ابن أخيه سيدنا لوط .

أرسله مولانا إلى غور الأردن في منطقة البحر الميت ، إلى مدن عدة كان على رأسها مدينة سدوم وكانت تلك القرى من أفجرها وأكفرها وأسوئها كفرًا ، يقطعون السبيل ويأتون في ناديهم المنكر ، وابتدعوا فاحشة لم يسبقهم إليها أحد من بني آدم .

كان هذا موجز الأنباء واليكم الأنباء بالتفصيل مع الدرس الإيماني الثلاثين في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، وخير مانستهل هذا الدرس تلاوة عطرة من كتاب الله المجيد ، على الموجات العاملة من سورة الشعراء .

﴿ كذبت قوم لوط المرسلين إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين ﴾ / الشعراء : ١٦٤ .

معشر السادة الكرام :

كنا في حديثنا عن الخليل قد ذكرنا أنه قدّم لابن أخيه لوط بعض ماله وأرسله بأمر الله رسولاً إلى قري سدوم ، ولكن لم يستطع سيدنا لوط أن يفرض هيئته على الكفرة فقاموا بسرقة ماله وغنمه واستولوا عليها فاستنجد بعمه الخليل الذي قام بقيادة جيش فاسترد ما استولى عليه هؤلاء وسلمها له ثم عاد إلى بيت المقدس .

وكانت دعوة لوط كما هي دعوة الرسل جميعاً تتخلص في الدعوة إلى دين الله والأخلاق العالية والنهي عن تفاقم الغدر والفواحش .

وقد ذكر مولانا عن هذه القرية وما حولها من المخازي والموبقات مما يندى له الجبين فقد كانوا :

١ - قطاعاً للطرق ٢ - وخونة للرفيق ٣ - ويأتون بالمنكر من الأقوال والأفعال في مجتمعاتهم .

وهنا قال سيدنا لوط :

﴿ يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم (فتزوجوهن على ما أمر الله ، وهؤلاء نساؤكم فأتوهن من حيث أمركم الله) فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي ، أليس منكم رجل رشيد ﴾ / هود : ٧٨ .

ولكن القوم جميعهم كانوا كما قال مولانا لسيدنا محمد ﷺ في سكرة : ﴿ لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون ﴾ / الحجر : ٧٢ / كانوا سفهاء فجرة ، أقوياء كفر ، أغبياء فسقة ، أتعلمون أيها الإخوة بماذا أجابوا نبينهم وبماذا ردوا عليه : لقد فعلوا كما يفعل الفسقة اللئام ، تكون عندهم المرأة الحلال فيبتغون امرأة في الحرام ، قالوا له :

﴿ لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد ﴾ / هود :

٧٩/ ، ما نريد وماذا تريدون أتريدون أن تفضحوني في ضيفي آه : ﴿لو أني لي بكم قوة أو أوي إلى ركن شديد﴾ /هود : ٨٠/ .

ودخل سيدنا لوط وأغلق الباب وراءه في وجوههم ، فجعلوا يدفعون الباب ويريدون فتحه ودخلوه ، وهو يعظهم وينهاهم من وراء الباب ، وضاق الأمر على هذا الرسول وعسر الحال وبلغ الأمر ذراه ، ورأى ضيوفه حرجه وضيقه فقالوا له : ﴿يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك﴾ .

وفوجئ سيدنا لوط بهم ، وقد سمع سيدنا جبريل يقول له : هذا ملك الموت وهذا إسرافيل وأنا جبريل ، وهنا علم لوط أنه كان يأوي إلى ركن شديد ، ومن هو أعظم من الله ؟ لا أحد .

وإذا بسيدنا جبريل يظهر على هيئته التي خلقه الله عليها فيضرب وجه الكفرة الجرمين فيطمس أعينهم فيرجعوا وكل واحد منهم يصرخ ويستغيث ويتوعد ويقولون : إذا كان الغد كان لنا ولكم شأن .

﴿ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر . ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر﴾ /القمر : ٣٧-٣٨/ .

معشر السادة الكرام :

وهنا صدر الأمر الإلهي لسيدنا لوط وابنتيه :

﴿فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يتلفت منك أحد ، إلا امرأتك إنه مصيها ما أصابهم﴾ /هو : ٨١/ ﴿وامضوا حيث تؤمرون . وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين﴾ /الحجر : ٦٥-٦٦/ . ﴿إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ /هود : ٨١/ .

أيها الإخوة :

اسمحوالي أن أنقل لكم العبرة والعظة عن هؤلاء اللوطيين الكفرة ، فإن مولانا عز وجل هدد وتوعد بكل من يعمل عملهم بالعذاب نفسه ، ليسمع الذين تسول لهم أنفسهم أن يفعلوا فعل هؤلاء ، فما إن طلعت الشمس حتى جاءهم العذاب ، فقد اقتلع سيدنا جبريل بطرف جناحه القرى السبع بمن

فيهن من الأمم وحيواناتهم ورفع الجميع حتى بلغ بهن عنان السماء فسمعت الملائكة أصوات ديكتهم ونباح كلابهم ثم أكفأها أي قلبها لذلك سميت القرى بالمؤتفكات. ﴿ والمؤتفكة أهوى ﴾ واسمع إلى مولانا عز وجل يقول : ﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴾ / هود : ٨٢ / مسومة عند ربك والتفتت امرأة لوط لترى هذا المشهد الرهيب فأخذها ما أخذهم ﴿ وماهي من الظالمين ببعيد ﴾ / هود : ٨٣ .

معشر السادة الكرام :

هذا هو الدرس الأخير من هذه النفحات الإيمانية قول مولانا ﴿ وماهي من الظالمين ببعيد ﴾ كل من يعمل بعمل قوم لوط عقابه أن يرجم بالحجارة حتى الموت ، حتى الموت ، واسمع معي إلى حبيبك سيدنا رسول الله وهو يقول : « من وجدتموه يعمل بعمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به » (د ٤٤٦٢ - ١٤٥٦ هـ - ٢٥٦٣ - أحمد ١ / ٣ - حا ٤ / ٣٥٥ - هب ٨ / ٢٣٢ صحيح) . وذهب الإمام أبو حنيفة أن اللائط يلقي من شاهق جبل ويتبع بالحجارة كما فعل الله بقوم لوط تماماً .

ولهذا يقول ﷺ :

« أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في غضب الله تعالى ، قيل من هم يا رسول الله ؟ قال :

« المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الذكر » (مجمع الزوائد - طس : ض) . (يعني اللواط) ثم لعن رسول الله ﷺ من عمل عمل قوم لوط ثلاثاً .

ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنه : إن اللوطي إذا مات من غير توبة فإنه يمسح في قبره خنزيراً .

فلنعد من هناك معاً سريعاً إلى هنا ، إلى بيت الله مقر رحمة الله وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد ، الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

سيدنا إسحق وولده يعقوب

وحكم رواية الإسرائيليات

- ٣١ -

الحمد لله الذي به بداية الخلق ونهايته ، ومنه هدايته واجتباؤه ومنه سيره وثباته وصيانيته ، وبه سبب نيله للعلى ومكانته . أحمدته سبحانه وتعالى فيجب أن تشكر نعمته .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جامع من افترق ، ورازق من توكل عليه وبه توثق ، معين من تكسب بالشرعة وتحقق .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أفضل من أنيلت هدايته ، والذي به أبصر من أعمته عمايته ، وبه أهدي من أضلته غوايته .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه خير القرون من تأخر أو سبق ، وسلم تسليمًا :

أما بعد :

فقد كنت طوال حديثي معكم عن الأنبياء والرسل الكرام أحاول ما أمكنني أن أبتعد عن الأخذ عن المصادر التاريخية لليهود والنصارى ، وهو ما يسمى عند علماء الشريعة (بالإسرائيليات) ، ولكنني اليوم معكم أبحث هذه القضية الهامة ، ويعود السبب في أهميتها لشيئين :

الأول : أننا بصدد الحديث اليوم عن رسولين ذكرهما الله تعالى في كتابه هما سيدنا يعقوب ووالده سيدنا إسحق .

السبب الثاني : الأخذ عن الإسرائيليات لأنه لا يوجد مصدر تاريخي إسلامي يحدثنا عن هذين الرسولين إلا القليل النادر .

ولذلك سألت نفسي سؤالاً وأجبت معكم أن أجيب عن هذا السؤال قبل الخوض في حياة هذين الرسولين ، والسؤال هو : هل يجوز اعتماد الروايات التاريخية الموجودة عند أهل الكتاب والمسماة بالإسرائيليات ؟

أو أقول : متى يجوز أن نستند إلى الإسرائيليات ونركن لها ؟
معشر السادة الكرام :

هذه هي القضية الإيمانية اليوم التي أعرضها على حضراتكم مع الدرس الواحد والثلاثين من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية بدمشق المحروسة .
والإسرائيليات قصص أو حوادث تروى عن مصدر إسرائيلي ، والنسبة فيها إلى إسرائيل وهو سيدنا يعقوب بن إسحق بن سيدنا إبراهيم الخليل أبو الأسباط الاثني عشر ، وإليه ينسب اليهود فيقال : بنو إسرائيل ، ونحن نرى الحديث عنهم كثيراً في كتاب مولانا عز وجل مثل قوله تعالى : ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾
وفي إجابتنا عن السؤال الذي طرحته عليكم ، نجد أن الإسرائيليات ثلاثة أقسام :

- ١- قسم موافق لشريعتنا الغراء .
 - ٢- وقسم مخالف لها .
 - ٣- وقسم مسكوت عنه ليس في شرعنا ما يؤيده ولا ما يرفضه .
- واسمحوا لي لمزيد من التوضيح أن أطرح عليكم الأمثلة البينانية على ذلك ، فمثال القسم الموافق لشريعتنا الغراء ، ما ذكره ابن كثير الدمشقي في تفسيره ، عن عطاء بن يسار قال :
- لقيت عبد الله بن عمرو فقلت : أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة : قال : أجل ، والله إنه لموصوف في التوراة كصفته في القرآن :

﴿أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ، وحرزاً للأمين ، أنت عبدي ورسولي ، اسمك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقول لا إله إلا الله ، ويفتح الله به قلوباً غلفاً وأذاناً صماً وأعيناً عمياً﴾ . (خ- أحمد) .

قال عطاء : ثم لقيت كعب الأخبار فسألته عن ذلك فما اختلف حرفاً .

ومثال القسم الثاني المخالف لشريعتنا ما نقل عن الإسرائيليات أن مولانا خلق السموات والأرضين وغيرهما في ستة أيام ، ثم فرغ في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمله واستراح في اليوم السابع .

فهذا مخالف تماماً لعقيدتنا لأن الإله لا يتعب حتى يستريح ، ولهذا رد عليهم مولانا في كتابه فقال : ﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ /ق : ٣٨ .

وأما القسم الثالث وهو ما سكت عنه شرعنا المطهر ، وليس فيه ما يؤيده أو يفنده ، فهو ما سألناه لكم اليوم عن قصة هذين الرسولين الكريمين .

أيها الإخوة :

بناءً على هذه التقسيمات الثلاثة فقد انقسم العلماء إلى قسمين أمام الإسرائيليات ، منهم من منع روايتها ومنهم من سمح بروايتها .

ونحن إذا نظرنا نظرة التأمل الفاحص المتدبر لكتاب مولانا عز وجل نجد الآيات الكثيرة الدالة على أن اليهود والنصارى بدلوا كتبهم وحرفوها وأخفوا الكثير منها ، مما أذهب الثقة فيها وفيما يحدثون به منها ، ومن البديهي أن مالا يوثق به لا تجوز روايته ، وغالب رواياتهم خرافات وأباطيل لأن أهل الكتاب ومنهم اليهود قوم غدر ﴿ولتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾ /المائدة : ٨٢ .

وقوله : ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم

كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴿ البقرة : ١٠٩ / .
هذا هو الحق لا مرية فيه ، ولذلك حاولوا على مدى العصور أن
يشوهوا تعاليم الإسلام بمكرهم وحيلهم ، وكان على أسفلهم عبد الله بن سبأ
اليهودي رأس الفتنة والضلال ، وجميع أعوانه ينشرون الفساد في العقيدة
والمقدسات الإسلامية .

لذلك اسمعوا معي إلى الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وهو
يقول في صحيح البخاري عن أبي هريرة :

كان أهل الكتاب يقرؤون في التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية
لأهل الإسلام فقال رسول الله : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم
وقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا » . عن أبي هريرة البخاري (٧٣٦١) .

ومعنى هذا الكلام عدم الثقة بما يحدث به أهل الكتاب عن التوراة .
وإليكم يا معشر الإخوة هذا الحديث الإيماني الهام الذي قرر فيه سيدنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم منع المسلمين من مطالعة كتب اليهود والنصارى ، والكتب
الضالة المضلة المضللة لمن يطالعها ، فقد روى الإمام أحمد وابن أبي شيبة
والبخاري من حديث جابر بن عبد الله أن سيدنا عمر بن الخطاب أتى النبي
بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب فقراءه عليه ، وهنا غضب رسول الله
وقال : « أمتهم كؤن فيها يا بن الخطاب (أشاكين في شريعتنا) والذي نفسي
بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق
فتكذبوا به ، أو يباطل فتصدقوا به ، والذي نفسي بيده لو أن موسى كان
حيّاً ماوسعه إلا أن يتبعني » . (حسن : ابن أبي شيبة) .

وإليكم هذه الرسالة الموجهة من حبيبنا سيدنا محمد ﷺ .

(يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب وكتابكم الذي
أنزل على نبيه من أحدث الأخبار بالله تقرؤونه لم يشب . وقد حدثكم

اللَّهُ أن أهل الكتاب بدلوا كتب اللَّهِ وغيروا بأيديهم الكتب (فقالوا : هذا من عند اللَّهِ ليشتروا به ثمناً قليلاً) أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ؟ ولا والله ما رأينا منهم رجلاً قط يسألكم عن الذي أنزل عليكم) . خ على ابن عباس ٢٦٨٥ - ٧٣٦٣ .

أيها الإخوة :

وهكذا تحدث إليكم القائد الأعلى للأمة الإسلامية محذراً وناهياً ومانعاً عن مطالعة كتب أهل الكتاب وغيرها من كتب الضلالات التي تفسد العقيدة ، وكل كتاب يصدر فيه أمثال هذه الضلالات يحرم على المسلمين شراؤه أو مطالعته استناداً للقرار الصادر عن القائد الأعلى سيدنا محمد ﷺ ، قراراً وجاهياً لا يستثنى منه إلا العلماء الذين يعرفون الصحيح من الضعيف والحق من الباطل ، ولهذا اسمع إلى قول مولانا لنبه يقول له : ﴿فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فأسال الذين يقرؤون الكتاب من قبلك﴾ (يونس)

فالأنبياء مستثنون من هذا القرار ، والدليل : كلمة ﴿فأسأل﴾ ، والعلماء ورثتهم ، وفي موقف آخر مماثل يقول مولانا :

﴿قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين﴾ / آل عمران : ٩٣ . وهذا صريح في جواز الرجوع إلى التوراة والاحتكام إليها .

ولهذا كان جمع من الصحابة والتابعين الكرام سادات الأمة يرجعون إليها ، أذكر لكم بعضهم على سبيل المثال لا الحصر : سيدنا أبو هريرة ، سيدنا عبد اللَّهِ بن عباس ، سيدنا تميم الداري ، وعبد اللَّهِ بن سلام ، سيدنا عبد اللَّهِ بن عمرو بن العاص .

ومن التابعين الكرام : وهب بن منبه وكعب الأحبار ، وكل هؤلاء من الثقات المنزهين عن الكذب ، ولكن خلف من بعدهم خلف كذبوا ووضعوا

الروايات الإسرائيلية ونسبوها لهؤلاء المتقدمين منهم محمد بن السائب الكلبي ومحمد بن مروان السدي ومقاتل بن سليمان وغيرهم .

ولست هنا في معرض ذكر الأسماء بل لأبين أن بعض العلماء في الأمة الإسلامية يرجعون إلى الإسرائيليات ليبينوا زيفها وكذبها ويميزوا الصحيح منها ، نعم منها صحيح لا شك فيه ، فقد ثبت أن رسول الله ﷺ استمع لبعض اليهود وهم يتلون التوراة ، فيما يرويه الإمام أحمد عن ابن مسعود قال :

«إن الله عز وجل ابتعث نبيه لإدخال رجل الجنة» كان هذا موجز الأنباء وإليكم تفاصيلها على لسان ابن مسعود : قال :

فدخل الكنيسة (من ؟ سيدنا محمد) فإذا يهودي يقرأ على اليهود التوراة ، فلما أتوا على صفة نبينا أمسكوا ، قال : وفي ناحيتها رجل مريض . فقال النبي مالكم أمسكتم ؟!

فقال المريض : إنهم أتوا على صفة نبي فأمسكوا ، ثم جاء المريض يحبو حتى أخذ التوراة فقرأ حتى أتى على صفة سيدنا محمد ﷺ فقال هذه صفتك يا أبا القاسم وصفة أمتك أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله . (الإمام أحمد) . وهكذا دخل هذا الرجل الجنة .

معشر السادة :

وبناء على هذه المواقف الإيمانية المدعومة بالآيات القرآنية أذن العلماء للطبقة العليا من الناس بالرد على أهل الكتاب وتبيين التحريف والتبديل في أخبارهم ، وعلى هذا نقول :

كل ماجاء موافقاً لما في شرعنا المطهر تجوز روايته عن أهل الكتاب ، والدليل عليه قوله في الصحيح «حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج» خ (٣٤٠٦) والمعنى حدثوا عنهم بما تعلمون صدقه .

وأما ما جاء مخالفاً في شرعنا أو كان لا يصدقه العقل فلا تجوز روايته

لأن إباحة الرجوع إلى أهل الكتاب وإباحة الرسول للحديث عنهم لا تتناول ما كان كذباً ، أو لا يعقل أن يبيع الله ولا رسوله رواية المكذوب أبداً .
وأما ما سكت عنه شرعنا المطهر ولم يكن فيه ما يشهد لصدقه ولا لكذبه وكان محتملاً فحكمه أن نتوقف في قبوله فلا نصدقه ولا نكذبه ، وعلى هذا يحمل قول نبينا الأعظم : « لاتصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم » خ (٤٤٨٥) . وأما روايته فجائزة على أنها مجرد حكاية لما عندهم .
معشر السادة الكرام :

إذا علمنا ذلك جاز لنا اليوم أن ننزل ضيوفاً على سيدنا إسحق وولده سيدنا يعقوب (أو إسرائيل الله) وعلى أولاد ذريته من منطلق القسمين الأول والأخير وهما ما جاء موافقاً لشرعنا وما سكت عنه شرعنا المطهر .
إننا في الصفحة الأولى من هذا الدرس ، واسمحوالي أن أقرأ عليكم الآيات ومع الدرس الواحد والثلاثين على الموجات العاملة من سورتي الحديد والأنعام :
﴿ ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب ﴾ .
﴿ ووهبنا له إسحق ويعقوب وكلاً هدينا ، ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون ، وكذلك نجزي المحسنين ، وذكرى ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين ﴾ / الأنعام : ٨٥ .

فكل هؤلاء الأنبياء من ذرية سيدنا إبراهيم وهذه خلعه سنية لاتضاهى ومرتبة عليا لاتباهى ، ولهذا لقب بأبى الأنبياء قولوا صلوات الله وسلامه عليه وعلى نبينا .

وقد مر معنا أنه ولد له لصلبه ذكران عظيمان هما جدي سيدنا إسماعيل الذبيح من السيدة هاجر ، وسيدنا إسحق من السيدة سارة . وكان بينهما سنوات ، وسيدنا إسحق ولد لأبيه وله مئة سنة ، وكان عمر السيدة سارة حين بشرت به تسعين سنة يقول عز وجل : ﴿ وبشرناه بإسحق نبياً ﴾ . وباركنا عليه وعلى إسحق ومن ذريتهما محسن وظالم

لنفسه مبين ﴿ /الصفات : ١١٣ / .

فلما بلغ الأربعين زوجه والده سيدنا إبراهيم من امرأة فوجدها عاقراً ،
فدعا الله لها فحملت فولدت له غلامين توأمين : العيص وهو والد الروم ،
وآخر خرج وهو أخذ بعقب أخيه فسموه يعقوب .
وغما الغلامان وشباً وبدأ يتسابقان على برّ والديهما فحاز قصب السبق
في البر سيدنا يعقوب .

فدعا له سيدنا إسحق أن يجعل الله في ذريته الأنبياء والملوك ، ثم
دعا للعيص أن يجعل ذريته بعدد التراب لا يملكهم أحد غيرهم .
وبدأت نار الغيرة والحسد تشتد في نفس العيص فحسد أخاه على
حب أبيه وأمه له ، فإذا به يجد نفسه مرة يتوعده بالقتل ، وهنا قدم يعقوب
على والده ، وراح يشكو له أخاه وما يتهدده به ويتوعده .
معشر السادة :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى بيت المقدس لنسمع النصيحة
الغالية التي نصحتها إسحق لابنه يعقوب قال له :

يا بني أترى هذه اللحية البيضاء والجبين المتغضن والظهر المتقوس وقد
أصبحت شيخاً متهدماً خذلتني قوتي ، ووقفت على ثنية الوداع ، ويوشك
أن يدانيني الأجل ، ولا آمن عليك بعدي أن يباديك أخوك بالعداوة ويحسر
لك اللثام عن بطش وكيد ، وهو في منعة من شدة أسرته ، وقوة من خلقه ،
وحرز من أصهاره وذوي قرباه ، وما أرى لك إلا أن ترحل إلى فدّان آرام من
أرض العراق حيث خالك لا بان بن بتويل ، فابن على إحدى بناته ، فإنك
تنال العز والشرف والمجد والمنعة ، ثم عد بعدها إلى هذه الأرض وإنني
لأرجولك عيشاً أخفض من عيش أخيك ، ونسلاً طاهراً خيراً من نسله
وولده ، والله يكلؤك بعينه ويحفظك برعايته .

أيها الإخوة الكرام :

نفذ الابن البار نصيحة أبيه من ليلته وودع أمه وأباه وأخذ زاده وراحلته وراح ينتقل ويسري بالليل وينام في حر النهار ، ولهذا سماه الإله إسرائيل ، وهو أول من سرى بالليل ، لكن عندما خرج من مدينته نظر إليها بحنين وشوق ومحبة وجلس على أطرافها يرتاح من عنت الطريق ومشقة السفر فأخذته سنة من النوم فإذا به يرى فيما يرى النائم أن :

سليماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه والملائكة تنزل منه وتعرج فيه وأوحى الله إليه : «إني أنا الله لا إله إلا أنا إلهك وإله آبائك وقد ورثتك هذه الأرض المقدسة وذريتك من بعدك ، وباركت فيك وفيهم وجعلت فيهم الكتاب والحكمة والنبوة ، ثم أنا معك أحفظك حتى أردك إلى هذا المكان وأجعله بيتاً تعبدني فيه وذريتك فهو بيت المقدس» .

وهنا استيقظ الفتى مسروراً مغتبطاً عازماً على إتمام سفره ، لكنه وقبل أن يغادر مكانه وضع علامة على صخره عظيمة هناك ليبنى فيها بيت الله .



تذكر عزيزي الموحّد أن:

سيدنا لوط ابن أخ سيدنا إبراهيم الخليل ، وقد أرسل إلى قرى البحر الميت .

- سمي الأقوام الذين فعلوا الفاحشة بالذكور لوطيين .
- الإسرائيليات : قصص تروى عن أهل الكتاب
- إسرائيل هو اسم سيدنا يعقوب بن سيدنا إسحق .
- السبب في تحريم رواية الإسرائيليات تحريف كتبهم .
- والعلماء في رواية الإسرائيليات قسمان : المسموح لهم بالاطلاع على كتب أهل الكتاب هم العلماء فقط .
- لقب سيدنا إبراهيم بأبي الأنبياء لأنه ولد له ذرية وأحفاد كلهم أنبياء ومنهم الرسل وعلى رأسهم سيدنا محمد رسول الله ﷺ .

سيدنا يعقوب عليه الصلاة والسلام

وولده سيدنا يوسف

- ٣٢ -

الحمد لله الذي أحاط بحوادث الدنيا والآخرة خيراً ، وجعل لكل شيء قدراً ، فأسبل على الخلائق رعاية ستر ، أحمدته سبحانه تعالى على نعمائه شكراً ، وأسلم لقضائه وقدره صبراً .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة أعدها ليوم القيامة ذخراً ، وأستمدها على الأعداء نصراً .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله الى البرية عذراً ونذراً ، فدعا إلى الله سرّاً وجهراً ، ونشر رحمته على العالمين نشرّاً .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد صلاة وسلاماً تعلو في سماء الخافقين ذكراً ، وسلم تسليمًا

أما بعد : فياحمداً الاسلام وحراس العقيدة :

نحن اليوم مع علم من أعلام النبوة ، مع رسول ونبي جعله مولانا درساً للشباب عامة ، وللشباب الأغنياء خاصة ، إنه شاب آتاه الله تعالى كل شيء ، الجمال والكمال والغنى ، ثم امتحنه مولانا بكل شيء ، أتته الدنيا بين يديه لتكون له بالحرام فأبأها أيما إباء وأراها أيما شمم ، وامتحنه بإخوته الذين خذلوه وحاولوا قتله ، فلما أقدره الله عليهم كان رحيماً بهم وحليماً ، فكانت مكافأة الله تعالى له أن آتاه ملك مصر وما حولها ، وجعله علماً من أعلام الأنبياء ، والرسول الكرام لتكون عبرة للشباب المؤمنين . وسمى سورة من طوال السور باسمه وذكر حياته الإيمانية بالتفصيل .

إننا باختصار مع رسول قال عنه نبينا ﷺ : «إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم» خ (٣٣٩٠) قولوا عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

كان هذا -معشر السادة الكرام- موجزُ الأنباء ، وإليكم الأنباء بالتفصيل مع الدرس الثاني والثلاثين من القضايا الإيمانية في جامع الدرويشية ، بعد أن ترفعوا أصواتكم بشعار التوحيد . «لا إله الا الله» .

فقد تركنا في الجمعة الماضية سيدنا يعقوب وهو متجه إلى العراق ليلتقي بخاله لابان ، الذي رحب به أيما ترحيب وضمه لأسرته واعتنى به وصار يرعى أغنامه . وفي هذا يقول نبينا الأعظم ﷺ : «ما من نبي إلا رعى الغنم» خ (٢٢٦٢) .

وكان من وصية والده سيدنا إسحق أن يتزوج ابنة خاله لابان ، فانتقى فتاة من بناته اسمها راحيل ، وهي صغرى بناته ، فخطبها من خاله فقبل على أن يكون مهرها أن يرعى له الغنم سبع سنين فوافق عن طيب خاطر فلما أتم سبعاً تدخلت العادات القبلية في هذا الزواج ، فقد اقتضت هذه العادات ألا تتزوج البنت الصغرى حتى تتزوج الكبرى ، فزوجه خاله من ابنته الكبرى وقال له : إن أردت أن تتزوج معها أختها الصغرى - وكان هذا جائزاً في شريعتهم - فعليك أن تخدمني سبع سنين أخرى .

وهكذا معشر السادة - قام سيدنا يعقوب بخدمة خاله سبع سنين أخرى ، حتى تمت فتزوج السيدة راحيل التي أعقبت له غلاماً عظيماً شريفاً حسناً جميلاً سمّاه يوسف . كما أعقب من امرأته الأولى ستة أولاد وبنتاً . وكان لكلل من الزوجتين جارية ، فوهبت كل واحدة منها جاريتهما لسيدنا يعقوب فولدتا له أربعة أولاد .

معشر السادة الكرام :

بعد هذه السنين الطويلة أمر مولانا سيدنا يعقوب بالعودة إلى بيت

المقدس ، فطلب من خاله أن يسرجه للعودة إلى والده ، فقال له لابان : يا بني قد بورك لي بسببك فسلني من مالي ما شئت . فقال : تعطيني كل حمل يولد من غنمك ما كان لونه كذا هذه السنة وذكر ألوانها . فوافق لابان ، وحدثت المعجزة العظيمة فولدت الغنم كلها الألوان التي طلبها يعقوب فوهبها له خاله كلها ، فصار له أغنام كثيرة ودواب وعبيد .

فودع خاله وأقرباءه وساق ماله كله وعبيده باتجاه وطنه ، وتفتقت قريحة سيدنا يعقوب النبوية عن عمل عظيم ليتألف به أخاه العيص ، إذ أنه جمع عبيده وأعطى كل واحد منهم نوعاً من أنواع الدواب النفيسة وأمره أن يكون بين كل قطيع وقطيع مسافة ، ثم تأخر هو وأزواجه وإماؤه وأمواله ليلتين .

وسار هذا الركب ، وثار الغبار بمسيره فخرج العيص مع بعض قومه ليرى ما الأمر ، وما هذه الدواب ، فصار يلقي كل عبد مع دوابه فيسأله لمن هذا القطيع؟ فيقول العبد هذه هدية سيدي يعقوب لأخيه العيص .

وكلما قدم عبد مع نوع من الدواب بهديته زاد السرور في قلب العيص وزال حسده عن أخيه ، حتى مضت الليلتان فإذا بالعيص يخرج إلى أخيه يعقوب إلى ظاهر المدينة في أربعمئة راجل ليستقبل أخاه الغائب الذي ما إن رأى أخاه العيص حتى سجد له - وكانت هذه تحيتهم في ذلك الزمان - وأمر زوجتيه وإماءه وعبيده أن يسجدوا له .

وهنا احتضن العيص أخاه وقبله وراح يبيكي ، ثم سار به إلى أبيه إسحق الذي فرح فرحاً شديداً بولده . وكان أول عمل قام به سيدنا يعقوب أن وفى بوعدته لمولانا عزوجل ، حيث بنى مذبحاً لله تعالى سماه إيل ، أي إله إسرائيل ، وهو اليوم بيت المقدس ، وهو ثاني مسجد وضع لله تعالى على الأرض ، «وقد سأل مرة سيدنا أبو ذر سيدنا رسول الله ﷺ فقال : أي

مسجد وضع أول . قال : المسجد الحرام . قلت ثم أي . قال : المسجد الأقصى قلت كم بينهما . قال أربعون سنة « خ (٣٣٦٦) عن أبي ذر .

أيها السادة : ما إن مضى وقت يسير على السيدة راحيل وهي في بيت المقدس حتى وضعت ولدها الثاني بنيامين ، الأخ الشقيق لسيدنا يوسف ، لكنها قضت نحبها عقب الولادة ، فخص يعقوب بالحلب الولدين وعوض عليهما بالحنان ، وخاصة أن سيدنا يوسف أتى إليه ليحدثه عن رؤيا غير عادية تدل على أنه النبي بعد أبيه ، وقد سطر مولانا هذه الرؤيا في كتابه الكريم فقال عز وجل : ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ قَالَ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَخُوكَ وَأَبْنَاؤُكَ وَخَوَاتِمُكِ لِي خَوَاتِمُكَ إِنَّكَ أَكْبَرُكُمْ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ أَهْلُ الْقُرْآنِ فَاتَّقِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۝٤٠﴾ .

وانظروا - معشر السادة - إلى قوله ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ فإنه أمره بكتمان رؤياه فإذا كتمها فإن ربه يجتبيه ويخصه بأنواع اللطف والرحمة ويعلمه من تأويل الأحاديث وتفسير المنامات ثم قال له :

﴿وَيَتِم نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾ : أي بالوحي إليك والنبوة كما أعطها أباك يعقوب وجدك إسحق ووالد جدك إبراهيم .

معشر السادة

وراح سيدنا يعقوب يغمر ولده يوسف بالحلب والعطف والحنان ، ويعتني به ويهيئه لهذا المنصب الرفيع الذي سيتولاه .

لكن هذا العطف فسره إخوته تفسيراً عكسياً ، فصاروا يحسدون أخاهم على ذلك ، بل إنهم اجتمعوا ليدرسوا هذا الحب الغامر الذي يحظى به

أخوهم يوسف وراحوا يحيكون خطوط مكيدة ليوقعوا بأخيهم أو يتخلصوا منه لينالوا حظاً من عطف أبيهم ووجه .

معشر السادة الكرام :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى الاجتماع السري الذي عقده إخوة يوسف بعيداً عن أبيهم وأخيهم بنيامين ، وقد حدثنا مولانا عن هذه المكيدة فاستمعوا وأنصتوا لعلكم ترحمون . ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين ، إذ قالوا ليوسف وأخوه أحبُّ إلى أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفي ضلال مبين . اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضاً يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين . قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾ / يوسف : / . وهكذا - معشر السادة - أجمعوا على الرأي الأخير فعند ذلك أتوا

إلى أبيهم وراودوه عن يوسف وأظهروا له أنهم يريدون أن يرعى معهم وأن يلعب وينبسط ، وقد أضمرُوا في صدورهم ما الله به عليم .

﴿قالوا يا أبانا ما لك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون . أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون . قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنا إذا لخاسرون﴾ .

فما زالوا به حتى بعثه معهم ، فما إن غابوا عن عينيه حتى جعلوا يشتمونه ويهينونه ، ثم ألقوه في غياهب الجب أي في قعره على صخرة وسط البئر ، فلما ألقوه فيه أوحى الله إليه : لا بد لك من فرج ومخرج من هذه الشدة التي أنت فيها ، ولتُخبرن إخوتك بصنيعهم هذا في حال أنت فيهم عزيز وهم محتاجون إليك خائفون منك وهم لا يشعرون .

وكان يوسف ابن ست سنين وبعث إليه ملكاً يؤنسه وهو في البئر وأتاه

بفاكهة من الجنة ، فلما أمسى يوسف استأذن الملك بالذهاب . فقال يوسف : إذا أنت ذهبت استوحشت ، فقال الملك : بل أعلمك دعاءً لا تستوحش معه ، فقل : «يا صريخ المستصرخين ، يا غياث المستغيثين ، يا مفرج كرب المكروبين ، قد ترى مكاني وتعلم حالي ولا يخفى عليك شيء من أمري»
فصار سيدنا يوسف يرددّها ، فأذهب الله عنه الوحشة .

ثم قام الإخوة الأصدقاء بحيلة أخرى لتبرير غياب أخيهم ، إذ إنهم ذبحوا نعجة ولطخوا قميص أخيهم بدمها ، ورجعوا إلى أبيهم عشاء ييكون على أخيهم ، ولهذا قال بعض السلف : «لا يغرنك بكاء المتظلم قرب ظالم وهو باك» ، واسمعوا البيان الإلهي في هذه القضية الجنائية :

﴿وجاؤوا أباهم عشاء ييكون (جاؤوه في ظلمة الليل ليكون أمشي لغدرهم لا لغدرهم) : قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاؤوا على قميصه بدم كذب .﴾ / يوسف : ١٦ - ١٨ .

ونظر المكلم إلى أولاده فرأى قميص يوسف وهو غير مخرق ولا ممزق فبكى بكاءً شديداً وقال :

تالله ما رأيت كالיום ولا ذنباً أحلم من هذا أكل ابني ولم يشق له جيباً ولا مزق له شقا . وصاح صيحة وخر مغشياً عليه .

وحين أفاق طلب سيدنا يعقوب من أولاده أن يحضروا إليه الذئب الذي أكل ولده إن كانوا صادقين . فعمد الأولاد إلى حبالهم وعصيهم ومضوا إلى الصحراء فاصطادوا ذئباً وشدوه وأوثقوه ثم حملوه إلى يعقوب ، وأوقفوه بين يديه . وهنا وجه سيدنا يعقوب الكلام إلى الذئب فقال : أيها الذئب أكلت ولدي وقرّة عيني وحبيب قلبي وثمرّة فؤادي لقد أورتنتني حزناً

طويلاً وألماً عظيماً .

وهنا أنطق الله الذئب فإذا به يقول : لا وحق شيتك يا نبي الله ما أكلت لك ولداً ، وإن لحومكم ودماءكم معشر الأنبياء محرمة علينا ، وإني لمظلوم مكذوب علي ، وإني لذئب غريب في بلاد مصر جئت أزور الذئاب .

وعند ذلك قال يعقوب لأولاده :

﴿بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون﴾ / يوسف : ١٨ .

معشر السادة الكرام .

مكث سيدنا يوسف في البئر ثلاثة أيام ، وكان يدعو بالأدعية المختارة ويلتجئ إلى الله تعالى الذي لا يخيب أحداً ، فلما كان اليوم الرابع مرت قافلة نزلت قريباً من الجب ، في ذلك يقول مولانا عزوجل :

﴿وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه (فتمسك به يوسف) قال : يا بشرى هذا غلام وأسروه بضاعة والله عليم بما يعملون﴾ ، سارت القافلة فمرت في طريقها على قبر راحيل والدة سيدنا يوسف ، فلم يتمالك الطفل إلا أن رمى بنفسه عن الناقة إلى القبر وراح يناجيه ويقول : يا أماه حلي عنك عقدة الردى ، وارفعي رأسك من الثرى ، وانظري إلى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلايا ، يا أماه لو رأيت ضعفي لرحمتني ، يا أماه لو رأيتني وقد نزعوا قميصي وشدوني ، وفي الجب ألقوني ، وعلى حر وجهي لطموني ، وبالحجارة رجموني ولم يرحموني ، وكابتياح العبيد باعوني ، وكما يحمل الأسير حملوني .

وراح الطفل يبكي بكاءً مرّاً ، وإذا بصوت يُسمعُ يناديه من خلفه يقول «اصبر وما صبرك إلا بالله» .

وفي هذا يقول مولانا عزوجل : ﴿وشروه بثمن بخس دراهم معدودة

وكانوا فيه من الزاهدين . وقال الذي اشتراه من مصر لامراته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً .

وكان الذي اشتراه من أهل مصر عزيزها وهو وزير المالية الذي كانت الخزائن مسلمة إليه ، (وكان ملك مصر في زمنه رجل من العماليق) اشتراه بدراهم معدودة ورباه وأمر زوجته بحسن تربيته ، حتى بلغ أشده وهو أربعين سنة ، وقيل عشرين سنة ، وقيل ثلاث وثلاثون سنة ، وظهر جماله وحسنه وعلمه مولانا عز وجل من لدنه علماً ، وهذا معنى قوله تعالى :

﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ، ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين﴾ / يوسف : ٢٢ / .

أيها الإخوة :

كانت منةُ اللَّهِ تعالى على يوسف بالجمال الرائع مكمناً لمحتته ، ومحنته مكمناً للمحنة العظيمة عليه وعلى آله وعلى أهل مصر وجميع القرى من حول مصر . ورحم اللَّهُ ابن عطاء اللَّهِ السكندري عندما قال : «ربما كَمُنْتُ المنن في المحن» وكانت من تلك المحن أن امرأة العزيز نظرت إلى يوسف وما هو عليه من الخلق السوي والجمال المفرط فاشعل ذلك في نفسها جذوة الحب . وصار ذلك يزداد بتكرار رؤيتها له ، إلى أن غلبها الحب على حيائها فأخذت تداعب يوسف ، وهو يُعرض عنها لعاملين يكفي كل واحد منهما لعزوفه عما تريد :

الأول : إيمانه بالله تعالى وامتناله وأوامره وعصمته من الأرجاس الخُلُقية ، تلك الطهارة التي وجد عليها أباه وجدّه وجد أبيه .

والثاني : أن بعلمها (سيده) الذي حذب عليه وأكرم مثواه ومكن له في بيته ، فلا ينبغي أن يقابل نعمته بالكفران .

كان ذلك دأب يوسف معها ، إلى أن هاج بها هائج الغرام واعتزمت

على شفاء ما في نفسها من الصبابة ، فصارحته القول ودعته إلى نفسها
دعوة لا هوادة فيها . وانصاعت للأمر وأخذت عدتها له .
هذا الموقف هو درس للشباب اليوم يفرطون في النعم التي آتاهم
الله إياها .

معشر السادة الكرام :

اسمحو لي أن أذيع على حضراتكم وقائع المحاولة الفاشلة التي قامت
بها امرأة العزيز على الموجات العاملة من سورة سيدنا يوسف :
﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت :
هيت لك . قال : معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون .
ولقد هممت به ، وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه
السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين ، واستبقا الباب وقدت قميصه
من دبر وألفيا سيدها لدى الباب . قالت : ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً
إلا أن يسجن أو عذاب أليم . قال : هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد
من أهلها إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين . وإن
كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصه قد
من دبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم﴾ / يوسف : ٢٨ .

معشر الإخوة : هذا هو الدرس الإيماني اليوم الذي قدمه لنا سيدنا
يوسف الصديق في هذا البيان الإلهي البديع ، ولينظر الشباب ماذا يجب
عليهم أن يفعلوه تجاه عروض الإغراء والفساد المتفشي الذي ينتشر في
مجتمعاتنا ، لينظروا إلى هذا الجواب البديع الشريف الذي رد به سيدنا
يوسف عرض الإغراء لقد قال : ﴿معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي﴾ وربى
هنا أي رب المنزل وصاحبه ، أحسن إلي وأكرم مقامى عنده ، لكنها مع كونها

امرأة وزير غلبتها شهوتها فهمت به ، وهنا يجب علينا أن نقف عند قراءتنا لهذه الآية الكريمة ، ولقد علمتنا اللغة أن نفهم ما نقرأ ، فإن الآية واضحة الدلالة اللغوية ، ﴿وهمَّ بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ /يوسف : ٢٤/ أو نقول نحن : لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها .

لولا المطر لهلك الزرع : لولا وجود المطر لهلك الزرع ، فنقول :

البرهان وهو لولا أن رأى برهان ربه لهمَّ بها : لولا وجود العصمة لهمَّ بها ، أي أنه امتنع لهمَّ لوجود العصمة ، فلا يوجد همُّ منه أبداً . إن مولانا يحلف بعظمته فيقول ﴿ولقد همت به﴾ فاللام رابطة لجواب القسم ، وأيده بقدر التي هي للتحقيق ، ولا تقف في قراءتنا للآية عند قوله تعالى ﴿وهمَّ بها﴾ ، لأنها مخالفة للعقيدة ، لأن الذي يجب أن يعتقده المسلم أن الله تعالى عصمه وبرَّاه ونزَّهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها ، والدليل على ذلك تنمة الآية الكريمة في قوله تعالى : ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ ، هذه شهادة عظيمة وقوله أيضاً ﴿وإنه من عبادنا المخلصين﴾ /يوسف : ٢٤/ وهذه شهادة أعظم من الأولى .

وإليكُم الآية القرآنية الأخرى على براءة سيدنا يوسف وعصمته ، فإن امرأة العزيز لما أراد سيدنا يوسف أن يسرع إلى الباب ليتخلص من هذا الموقف الذي وقع فيه ، إذ بها تسرع هي إليه وتشده من قميصه ، فإذا بالمفاجأة الكبرى تقع ، إذ إن زوجها فتح الباب ودخل فإذا بها تسارع إليه وتقول متهمّة سيدنا يوسف : ﴿ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم﴾ /يوسف : ٢٥/ (ضربني وبكى وسبقني واشتكى) اتهمته وهي المذنبه ، وبرأت عرضها ونزَّهت ساحتها ، فرد سيدنا يوسف على الاتهام بالحقيقة فقال : ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ /يوسف : ٢٦/ .

وهنا حدثت معجزة عظيمة لسيدنا يوسف لم تخطر على بال امرأة

العزیز التي كذبت وشهدت زوراً وبهتاناً ، فقد - كان طفل في المهد لم يبلغ السنتين من عمره - على ما نقلته كتب السير - هذا الطفل أنطقه الله تعالى ليكون حكماً فصلاً في هذه القضية ، قال الطفل بلسان فصيح ﴿إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين﴾ /يوسف : ٢٦/ لأنه يكون قد راودها فدافعت حتى قدت قميصه من قدام ﴿وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ /يوسف : ٢٧/ ، لأنه يكون قد هرب منها فاتبعته وتعلقت به فانشق قميصه من الخلف .

وهنا نظر الوزير فلما رأى قميصه قد قد من دبر توجه إلى زوجه باللوم والعتاب وقال : إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم .

ثم توجه بالرجاء والاعتذار لسيدنا يوسف فقال ﴿يوسف أعرض عن هذا﴾ ولا تذكره لأحد ، لأن كتمان مثل هذه الأمور هو الأليق والأحسن ، ثم أمرها بالاستغفار والتوبة إلى ربه عز وجل ، وأهل مصر وإن كانوا يعبدون الأصنام إلا أنهم يعلمون أن الذي يغفر الذنوب ويؤاخذ بها هو الله وحده لا شريك له .

ولهذا يقولون في الأمثال أفرس الناس ثلاثة : «العزیز حين قال لا امرأته أكرمي مثواه ، والمرأة التي أتت إلى أبيها وقالت عن سيدنا موسى يا أبت استأجره ، وسيدنا أبو بكر الصديق حين استخلف سيدنا عمر من بعده» ، وما إن مضت هذه السنوات عليه حتى أصبح أثيراً لدى الوزير فجعله صاحب أمره ونهيه والرئيس على خدمه والمتصرف في بيته ، بحيث لم يكن لأحد في الدار كلمة أعلى من كلمة يوسف سوى كلمة سيده وسيدته . وقد تولاه مولانا بالهداية والتربية والتوفيق ، وعلمه من لدنه علماً ، وهذا هو معنى قول مولانا ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره . ولكن أكثر الناس لا يعلمون . ولما بلغ أشده آتينا

حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين ﴿ / يوسف : ٢٢ / .
معشر السادة الكرام :

فما هي المكيدة الثانية التي كادتها امرأة العزيز لتوقع بسيدنا يوسف الصديق ، أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



- ٣٣ -

الحمد لله الذي انفرد بالبقاء . وكتب على غيره الزوال ، وجعل الدنيا متنقلة لا تدوم على حال ، وقضى على أهلها بالإدبار والإقبال ، فكم ممن يؤمل الآمال فتحرمه دونها الآجال ، وكم ممن يفجؤه النوال ولم ينخطر له على بال . أحمده سبحانه وتعالى على عطاءه وأشكره على جميل بلائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتعالي عن الأشياء والمثال ، المتصرف في عباده باختلاف الأحوال .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله هادياً من الضلال . وداعياً إلى شرف الخلال ، ومرشداً لصالح الأعمال ومحذراً من الجحيم والنكال ومبشراً بالنعيم والظلال .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وسائر النبيين والصحابه والأولياء المتقين نعم الأصحاب وحبذا الآل ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

فما زلنا ننزل ضيوفاً على الكريم ابن الكريم ابن الكريم سيدنا يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم لنأخذ الدروس العملية الإيمانية من خلال سيرة حياته ، ومع الدرس الثالث والثلاثين من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية أنتقل بحضراتكم إلى قصر عزيز مصر ووزير ماليتها ، لنسمع معاً ونشاهد هذا اللغظ والكلام المبهم الذي يدور بين خبايا القصر ، وبين أفراد طبقة الأمراء والأميرات وزوجات الوزراء ، فما هو هذا الخبر المتداول الذي أثار هذه

الزوجة الكلامية في الخفاء؟ اسمعوا وأنصتوا العلكم ترحمون .

﴿وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حباً إنا لنراها في ضلال مبين﴾ /يوسف : ٣٠/. وثار تائرتها وأرادت أن تنتقم لنفسها لهذه الكلمات التي وصلتها منهن ، فأجمعت كيدها وأرسلت إليهن تدعوهن إلى قصرها ، وأعدت لكل واحدة منهن ضيافة مما يقطع بالسكاكين ، وما إن أخذت كل واحدة منهن مكانها وتناولت سكينها وفاكهتها لتقطعها ، حتى أمرت امرأة العزيز سيدنا يوسف وقد ألبسته أحسن الثياب ، أن يخرج عليهن وهو أجمل من البدر لا محالة ﴿فلما رأيته أكبره وقطعن أيديهن وقلن حاشا لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم﴾ /يوسف : ٣١/ .

وبهرهن حسنه حتى اشتغلن عن أنفسهن وجعلن يجرحن أيديهن بتلك السكاكين وهن لا يشعرن بألم من شدة افتتانهن بجماله ، وهنا ردت امرأة العزيز الصفعة بمثلها ، ورأت أنها قد انتصرت على طبقتها فقالت : ﴿فذلكن الذي لمتني فيه﴾ في حبه وشغفي به ، لقد رأيتنه عفواً ، وشاهدته لحماً ، فما بالكن تلمنني فيه وقد ترعرع في داري ، وبلغ أشده واستوى بين سمعي وبصري ، فأنا أشاهده في قعوده وقيامه ، ويقظته ومنامه ، وطعامه وشرابه ، وحرته وسكونه ، وأخلو به في ليلي ونهاري ، وأترأى له في زينتي ، وأعرض على نظره محاسني ، فيعرض عني استعصاماً ، ولا يرفع إلي طرفاً ، ولا يميل نحوي عطفاً ، فمثلي سيدة مالكة ، تأمره أو تشير فتطاع ، وتريد إظهار سلطانها عليه فتعجز .

ثم أظهرت امرأة العزيز ما أبدت له من ميل وقالت ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ /يوسف : ٣٢/ أي امتنع وأبى ، فقالت النسوة ليوسف : أطع مولاتك . فلم يسمع لهن ، بل أبى أشد الإباء ، ونأى لأنه من سلسلة الأنبياء . لكنه ترك مجلسهن فسمع أواخر كلمات امرأة العزيز وهي تقول لهن : ﴿ولئن لم يفعل ما أمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾ /يوسف :

٣٢ / . فقال سيدنا يوسف يخاطب مولانا عزوجل ويناجيه : ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم ﴾ .
وهكذا - معشر السادة الكرام - اجتاز سيدنا يوسف المحنة الثانية بلطف الله ورعايته ، لكن امرأة العزيز لم تتوقف عن كيدها ومعها سلاح الحكم المطلق ، ورغم كل تلك الآيات الدالة على براءة سيدنا يوسف أرادت وقد يئست من محاولاتها أن تحفظ سمعتها ، ولو كان بسجن فتى بريء ، كل جريمته أنه لم يستجب .

فقد رأى العزيز ومشيره أنه لا يخلصهم من العار ويكف ألسنة الناس عنه وعن زوجته إلا زجه في السجن ، لينخلوا إلى الناس أنه مازج في السجن إلا لأنه آثم كاذب في ادعاء البراءة ، وأن زوجة العزيز بريئة مما قذفت به ، قال مولانا عزوجل : ﴿ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين﴾ / يوسف : ٣٥ / .

وكان يمكن للعزيز أن يوقع بزوجه العقاب على ما اجترحته ، ويمكن سيدنا يوسف ويظهر للناس براءته بمعنى ما ذكر مولانا في كتابه : ﴿ليجزى الذين أسأؤوا بما عملوا ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى﴾ / النجم : ٣١ / ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، بل شكّل محكمة عرفية وحكم علي سيدنا يوسف بالسجن وهو قضاء خير منه الاستبداد ، لأن الاستبداد يجوز فاعله على أن عمله جور وظلم ، ولكن القضاء الذي يجور ويظلم ويلبس ثوب العدل هو شر أنواع القضاء ، وهذا ما حدث بالضبط لسيدنا يوسف . وهذا هو جو الحكم المطلق وجو القصور وجو الأوساط الارستقراطية وجو الجاهلية ، فسجنوه ظلماً وعدواناً وكان هذا من قدر الله له ، ومن جملة ما عصمه به ، ليعده عن معاشرتهم ومخالطتهم .

وهنا معشر السادة - بدأت المحنة الثالثة التي اجتازها سيدنا يوسف

أيضاً بنجاح باهر وصبر عليها مدة طويلة ولم يتركها هباءً ، بل عمل فيها بالدعوة إلى الله تعالى والإحسان إلى المساجين ، فكان أحدهم إذا مرض قام على تمريضه ومداواته حتى يشفى ، وخاصة أنه شاهد قوماً قد انقطع رجاؤهم ، واشتد بلاؤهم وطال حزنهم ، فجعل يقول لهم : أبشروا واصبروا تؤجروا إن في هذا الصبر ثواباً عظيماً .

ففرح أهل السجن به وخاصة فتیان منهم أحدهما رئيس الطهارة ، والثاني رئيس السقاة ، اتهما بمحاولة سم الملك في طعامه وشرابه ، فأمر بهما إلى السجن ، أصبح كل منهما صاحباً لسيدنا يوسف ، فابتدأ معهما في هدايتهما إلى مولانا عز وجل وكانا عابدي وثن ، واسمع معي إلى البيان الإلهي : ﴿ودخل معه السجن فتیان قال أحدهما إنني أراني أعصر خمراً ، وقال الآخر إنني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين . قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي ، إنني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون ﴾ / يوسف : ٣٧ .

فقد انتهز يوسف هذه الفرصة ليثبت بين السجناء عقيدته الصحيحة ، فكونه سجيناً لا يعفيه من تصحيح العقائد الفاسدة القائمة على إعطاء حق الربوبية للحكام الأرضيين وجعلهم بالخضوع لهم أرباباً يزاولون خصائص الألوهية على الأرض .

بدأ بطمئنة زميليه في السجن إلى أنه سيؤول لهما الرؤى ، لأن ربه علمه علماً لدنياً خاصاً جزاءً على تجرده لعبادته وحده ، وتخلصه من عبادة الشركاء هو وأقرباؤه ، من قبله .

وبذلك كسب الثقة منهما منذ اللحظة الأولى بقدرته على تأويل رؤياهما ، ثم دخل عليهما بلطف وكياسة ورقة على عادة الدعاة إلى الله تعالى فقال لهما : ﴿إنني تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم

كافرون ﴿ ويتصد بهم القوم الذين ربي فيهم ، أعني بيت العزيز وحاشية الملك ومن تبعهم ، ولكنه لم يصرح بذكر أسمائهم كي لا يجرهما ولا ينفرهما ، وهي كياسة وحكمة ولطافة حس وحسن مدخل ، ثم بين ما هي الملة الحقّة ، إنها التي اتبعها هو وأبأؤه ، وهي ملة التوحيد الخالص الذي جاء بها الأنبياء والرسل الكرام : ﴿ واتبعت ملة آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون ﴾ / يوسف : ٣٨ .

وسار معهما خطوة فخطوة في حذر ولين ، ثم أخذ يتوغل في قلوبهما أكثر وأكثر ، ويفصح عن عقيدته ودعوته إفصاحاً كاملاً ، ويكشف عن فساد اعتقادهما واعتقاد قومهما في عبادة الأصنام ، فقال :

﴿ يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها أنتم وآبأؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ / يوسف : ٤٠ .

معشر السادة الكرام :

بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة رسم يوسف كل معالم هذا الدين ، وكل مقومات العقيدة ، كما هز كل قوائم الشرك والطاغوت والجاهلية هزاً عنيفاً شديداً ، فكيف حدث ذلك ؟

بدأ أولاً بمؤانسة رفيقيه بقوله : يا صاحبي السجن . فهو يتخذ منهما صاحبين ويتحجب إليهما ليدخل إلى ما يريد ، وهو لا يدعوهم مباشرة ، بل يعرضها قضية موضوعية ويسألهم :

﴿ أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ﴾ / يوسف : ٣٩ .

لأن الفطرة لا تعرف لها إلا إلهاً واحداً ، فقيم إذن تعدد الأرباب ، إن الذي يستحق أن يكون رباً يعبد ، ويطاع أمره ، ويتبع شرعه هو الله الواحد

القهار ، ولا يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد ثم يدينون لغيره ويتخضعون لأمره ، فالله الواحد القهار خير أن يدين العباد لربوبيته من أن يدينوا للأرباب والمتألّهين على الأرض ، وما شقيت البشرية قط بمثل شقائها بتعدد الأرباب ، والأرباب الأرضيون الذين يغتصبون سلطان الله وربوبيته ، وخاصة عندما تنشأ طبقة من الناس تمجدهم وتسخر الطبل والزمر والنفخ فيهم .

ثم خطا سيدنا يوسف خطوة أخرى ليثبت أن هذه الأرباب من صنع الجاهليين من البشر ، قال : ﴿ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتوها أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان ﴾

أه ، فنحن الذين ألّهناهم علينا ، نحن البشر ، الذين أعطيناهم صفات الخلود والألوهية ، عندما مجّدناهم وأعطيناهم فوق ما يستحقون تمجيداً ما أنزل الله به من سلطان .

ثم ضرب يوسف ضربته الأخيرة الحاسمة ، فبينَ لهما لمن يكون السلطان والحكم المطلق ، ولمن ينبغي أن تكون الطاعة والعبادة ، قال لهما : ﴿ إن الحكم إلا لله ، أمر ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم ﴾ / يوسف : ٤٠ .

الحكم والطاعة والعبادة لا تكون إلا لله ، فهو مقصور عليه سبحانه بحكم ألوهيته ، وهذا الكلام يجب على الملّحين والكفرة أن يسمعه ، إن الحاكمية من خصائص الألوهية ، ومن ادعى أن الحكم المطلق له فيه الحق فقد نازع الله تعالى في خصائص ألوهيته ، سواء ادعى هذا الحق فرد ، أم طبقة أو هيئة أو أمة ، أو الناس جميعاً في صورة منظمة عالمية ، من ادعى أنه يشرع مع تشريع الله أو ضد تشريع الله فقد كفر بالله كفرًا صريحاً .

وليس من الضروري أن يقول العبد : ما علمت لكم من إله غيري ، أو يقول أنا ربكم الأعلى ، كما فعل فرعون ، لا ، ولكنه بمجرد أن ينحّي شريعة الله عن الحكم بها على الأرض ، ويستمد القوانين من مصدر آخر ، وبمجرد أن يقرر أن الجهة التي تملك الحكم المطلق هي جهة أخرى غير مولانا عز وجل

فهذا كافر كافر كافر ، لماذا؟ اسمعوا جواب سيدنا يوسف : ﴿إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه﴾ / يوسف : ٤٠ .

فالله هو الحاكم المطلق ، وما الحكام وما الوزراء وما الأمراء إلا أداة تنفيذية لشرع الله سبحانه على الأرض ، وهذه النتيجة تماماً هي التي أراد أن يصل إليها سيدنا يوسف ، إن الحكم إلا لله ، وما دام الله هو الحاكم فالله هو المعبود ، ذلك : الدين القيم .

لذلك قلت لكم : لقد رسم يوسف بهذه الكلمات كل معاني الدين ، وبلغ أقصى الغاية من الدرس الذي ألقاه على صاحبيه ، ثم راح يؤول لهما رؤياهما ليزيدهما ثقة في قوله وتعلقاً به :

﴿يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمرًا ، وأما الآخر فيُصلَّب فتأكل الطير من رأسه ، قضى الأمر الذي فيه تستفتيان﴾ / يوسف : ٤١ .

وانتهى الأمر كما أوله لهما ، وهكذا كل رؤيا تعبر تمضي كما عبرها المعبرون ، لذلك اسمع إلى حبيبك سيدنا محمد ﷺ يقول فيما روي عنه : إن الرؤيا على جناح طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت ، وقال : الرؤيا الصالحة جزء من ست وأربعين جزءاً من النبوة ، والرؤيا لأول معبر فلا تقصها إلا على ذي رأي وعقل . (أو كما قال) .

معشر الاخوة الكرام .

وأما القضية الإيمانية التي نستفيدها اليوم فهي جواز السعي في الأسباب ، ولا ينافي ذلك التوكل على رب الأرباب واسمعوا الدرس التالي في البيان القرآني : ﴿وقال للذي ظن أنه ناج منهما اذكرني عند ربك ، فأنساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين﴾ هذا الدرس (اتخاذ الأسباب مع التوكل على الله) خاص بنا ، أما بالنسبة للرسول والأنبياء فهو درس آخر فقد سألتني أحد طلبتي الأذكاء فقال : لماذا سيدنا يوسف لبث في السجن بضع سنين ، لماذا نسي الساقى أن يذكر سيدنا يوسف للملك ، فقلت

هذا موقف خاص بالأنبياء ، فقد شاء مولانا عز وجل أن يعلم سيدنا يوسف كيف يقطع الأسباب كلها ويتمسك بسببه هو وحده ، لم يرد أن يجعل قضاء حاجته على يد عبد ولا سبب يرتبط بالعبد ، وهذا كان من اصطفاؤه وإكرامه ، لأن عباد الله المخلصين يدعون قيادهم لله وحده ، وحين يعجزون بضعفهم البشري يتفضل الله سبحانه فيقهرهم عليه حتى يعرفوه ويتذكروه ويلزموه بعد ذلك طاعة ورضى وحباً وشوقاً ، ولهذا كان شيخنا الدروبي رحمه الله تعالى خطيب هذا المنبر قبلي يقول : «والحق أن تمكث حيث أنزلك حتى يكون الله منه نقلك» ، واسمع معي إلى ابن عطاء الله السكندري يقول «لا تطلب منه أن يخرجك من حالة ليستعملك في أخرى فلو أرادك لاستعملك من غير إخراج» :

ولهذا لما استغاث يوسف بالساقى دخل عليه سيدنا جبريل بهيئة إنسان ، فلما رآه سيدنا يوسف عرفه وقال :

يا أخا المنذرين مالي أراك بين المخطئين ، فقال له سيدنا جبريل : يا طاهر الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك : أما استحييت مني أن استشفعت بالآدميين ، فوعزتي لألبثنك في السجن بضع سنين ، قال يوسف : يا أخي يا جبريل وهو في ذلك راضٍ عني ، قال نعم . قال إذاً لا أبالي .

معشر الإخوة الكرام :

وتمضي السنوات السبع وسيدنا يوسف يعمل بالدعوة إلى الله حتى أحبه السجناء والسجانون ، فإذا بيوم من الأيام يرى الملك رؤيا أفزعته ، وطلب من المعبرين والكهنة أن يؤلواها له ، وهم يقولون : أضغاث أحلام (أباطيل) لا تعبير لها ، فما هي هذه الرؤيا اسمعوها :

«وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات ، يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون . قالوا أضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين» يوسف : ٤٤ / .

وهنا تذكر الساقى سيدنا يوسف فطلب الإذن من الملك ليأتيه بتعبير

رؤياه ، ويمضي إلى السجن فيلتقي بصاحبه القديم ويعتذر له عن نسيانه هذه المدة ، ثم يقول : ﴿يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ، قال : تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون . ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلاً مما تحصنون . ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغيث الناس وفيه يعصرون﴾ /يوسف : ٤٩/ .

هذا كله كان من جملة أسباب خروج سيدنا يوسف من السجن على وجه البر والإكرام ، وهذا التعبير للرؤيا عظيم فقد أخبرهم بما يفعلونه من تخزين الحبوب في سني الخصب السبع الأولى في سنبله ، إلا ما يرصد بسبب الأكل ، ثم بتقليل البذر في سني الجذب السبع الثانية ، إذ الغالب على الظن أنه لا ينبت من الحقل ، وهذا يدل على كمال العلم وكمال الرأي والفهم .

وقدّم الساقى على الملك (وهو الريان بن الوليد من سلالة سام بن نوح) فأخبره بتعبيرها فأعجبه كثيراً ، وطلب أن يحضروا له الذي عبرها ليقربه إليه ، ﴿وقال الملك إئتوني به﴾ لكن سيدنا يوسف رفض أن يخرج من السجن وعليه سمة المجرمين الخائنين ليقف أمام الملك ، أراد ألا يخرج من السجن إلا وهو ثابت البراءة مرفوع الرأس أبيض الصحيفة ، فأمر رسول الملك أن يعود إلى الملك فيسأل عن امرأة العزيز والنسوة اللاتي قطعن أيديهن : ﴿فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم﴾ /يوسف : ٥٠/ .

وأحضرهن الملك وراح يسألهن ، قال :

﴿ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه؟! قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء . قالت امرأة العزيز الآن حصص الحق (بان وظهر) أنا

راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين . ذلك ليعلم (أي عزيز مصر) أنني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين . وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم ﴿ / يوسف : ٥٣ .

﴿وقال الملك ائتوني به أستخلصه لنفسي﴾ وعاد رسول الملك بخبر براءته وبطلب الملك له ليكون مقرباً عزيزاً لديه ، ونظر يوسف إلى رفاقه في السجن وقد تفرق الدمع في عيونهم لمفارقتهم ، فطيب خاطرهم ودعا لهم وقال : اللهم عطف عليهم قلوب الأخيار ولا تُعم عنهم الأخبار . ثم توجه إلى باب السجن وكتب عليه :

«هذا قبر الأحياء وبيت الأحزان وتجربة الأصدقاء وشماتة الأعداء» .

ثم اغتسل وتنظف ولبس ثياباً جديداً وقصد إلى الملك وما إن دخل باب قصره حتى قال :

حسبي ربي من دنيائي وحسبي ربي من خلقه ، عز جاره وجل ثناؤه ولا إله غيره .

معشر الإخوة الكرام

فماذا كانت مكافأة سيدنا يوسف على صبره وتحمل بلاء السجن ، ماذا جرى بينه وبين الملك ، ماهي القضية الإيمانية التالية؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله وأعود بكم من هناك من قاعة الملك إلى هنا ، إلى قاعة العبودية لله تعالى ، وما أدراك ما هنا ، هنا من مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله



- ٣٤ -

الحمد لله الذي شرح صدور أحبابه بنور اليقين ، وأذاقهم لذة القرب
منه فشغلهم عن الخلق أجمعين ، أحمدده سبحانه وتعالى حمد المطيعين
المحسنين ، وأشكره شكر المعتمدين عليه والمنيين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدنا وحبينا
وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق
الأمين المبلغ عن ربه ما أمر بتبليغه عن رب العالمين .

اللهم صل وسلم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم
سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين صلاة وسلاماً
متلازمين إلى يوم الدين وسلم تسليمًا كثيراً .

أما بعد :

فنقف اليوم معاً بإجلال أمام شخصية عظيمة قلّ نظيرها في التاريخ
البشري ، شخصية نبي من الأنبياء أعطى التاريخ العالمي مثلاً في العفة
والفضيلة إنه شاب في ريعان شبابه قد حُفّ بالمغريات وموجبات الصبوة ،
طلبتته سيدته وربة نعمته إلى الحرام ، ومع ما هي عليه من جمال ، ورفعة
ورغبة فيه وهو شاب ماطر شاربه في إبان فيضه الحيوي وأوان التهاب جذوة
الشهوة واحتشاد الدواعي الطبيعية وانتظار الآمال والأمانى الجسام ، إذا هو
يأبى ، فأعطى للشباب المؤمن درساً خرج منه متوجاً بتاج العفة والصبر عن

الشهوات ، لم يكثر بذلك كله ، واستمسك بعقيدته ، ولا قى الصعاب والأهوال في سبيل استمساكه بالفضيلة ، فلم يغير مبدأه السجن والإذلال مع أنه لو استجاب للدواعي الشهوة لكان منعماً ومرفهاً ولكن منظوراً إليه بعين الإكبار في الدنيا ، ولكنه استمسك بالدين ، الدين الذي هو أصل كل فضيلة ومنبع كل جميلة ، إنه سيدنا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن سيدنا إبراهيم قولوا : عليهم الصلاة والسلام ، غذي بدر النبوة ، ونشأ أبوه على التقوى ورشحه بالصلاح ، وتعهده بالأخلاق النبوية الكريمة فنشأ أصلح نشأة وأحسن من صغره بمجد آبائه وأجداده قال له والده حين قص عليه رؤياه : ﴿ وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ﴾ والأصول كما يقولون : عليها ينبت الشجر .

وفعال من تلد الكرام كريمة وفعال من تلد الأعاجم أعجم
عشق دينه فلم يترك فرصة تمر دون أن يدعو فيها إلى دين الله ، هذا الدين الذي تغلغل في أعماق نفسه حتى وهو في السجن ، وصبر ، والصبر من أعظم الفضائل وأجلها قدراً حتى لما جاءه الأمر بالإفراج عنه والخروج من السجن صبر لأن عنده خلق الإباء والشمم ، شرف نفسه وطهارتها عنده جعله يرفض الخروج من السجن ، لم يشأ أن يقال عنه مجرم سر منه الملك فعفا عن جريمته ، فأبى أن يفرج عنه إلا بعد أن تثبت براءته .

أيها الإخوة الكرام : إن سيدنا يوسف شهد ببراءته كل أطراف القضية شهد له مولانا بالبراءة حينما قال ﴿ إنه من عبادنا المخلصين ﴾ ، وشهد له الشيطان بالبراءة عندما قال لمولانا ﴿ فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين ﴾ ، وشهد ببراءته الشاهد من أهل العزيز إذ قال ﴿ إن كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين ، وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين ، فلما رأى قميصه قد من دبر قال إنه من كيد كن

إن كيد كن عظيم ﴿﴾، وشهد ببراءته النسوة اللاتي قطعن أيدهن بقولهن ﴿﴾ ما علمنا عليه من سوء ﴿﴾ وشهد ببراءته امرأة العزيز بقولها ﴿﴾ الآن حصحص الحق أنا روادته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴿﴾ فالذي يريد أن يتهم سيدنا يوسف باللهم فعليه أن يختار أن يكون من حزب الله أو من حزب الشيطان ، وكلاهما شهد ببراءة يوسف فلا مفر بالإقرار بالحق على أية حال ، وهو البراءة الناصعة لسيدنا يوسف ، وأنتم أيضاً قولوا معي ونحن نشهد أيضاً ببراءته .

معشر الإخوة الكرام : إننا ما زلنا مع ملف النفحات المنبرية من القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع الحلقة الرابعة والثلاثين أنتقل بكم إلى هناك إلى مصر حيث سيدنا يوسف يدخل الآن على ملك مصر بعد أن سمع منه تأويل الرؤيا سماعاً ، فلما رآه قام إليه وأجلسه بجواره وكلمه قال له : ما ترى في رؤياي أيها الصديق فقال : سيدنا يوسف :

إني أرى أيها الملك أن تجمع الطعام ، وتزرع زرعاً كثيراً في هذه السنين المنحصبة وتبني الأهرام والخزائن ، وتجعل الطعام في قصبه وسنبله ليكون أبقى له ، ويكون قصبه وسنبله علفاً للدواب ، وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس ، فيكفيك الطعام الذي جمعته لأهل مصر ومن حولها ، ثم تأتيك الخلائق من جميع القرى فيمتارون منك فيجتمع عندك من الكنوز ما لا يجتمع لأحد من قبلك .

فقال الملك : من لي بهذا ومن يجمعه لي ويكفيني الشغل فيه؟

قال له سيدنا يوسف :

﴿اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ أي إني كاتب حاسب ، حفيظ لما استودعني عليهم سني المجاعة ، وبلغه من يأتيني . فقال له الملك ومن أحق به منك . فولاه ذلك كله ، ثم قال له : أريد أن تخالطني في كل شيء غير أنني أنف أن تأكل معي .

فقال سيدنا يوسف : أنا أحق أن آنف بذلك منك لأنني أنا ابن يعقوب إسرائيل الله ابن إسحاق نبي الله ابن إبراهيم خليل الله فقال الملك : إذن فكل معي . ثم توجه إلى سيدنا يوسف وتوجه بتاجه وقلّده سيفه وحلاه بنخاته ، وأمر له بسرير من ذهب مكلل بالدر والياقوت ، [اسمعوا أيها الشباب عندما تتركون لذة في مُحَرَّم كيف يبدلك الله خيراً منها كما فعل بسيدنا يوسف] ، وضرب عليه بقبة من إستبرق ، وأمره أن يخرج متوجهاً فخرج سيدنا يوسف ولونه كالثلج ووجهه كالقمر ، فلما رآته امرأة العزيز قالت : الحمد لله الذي جعل العبيد ملوكاً بطاعته وجعل الملوك عبيداً بمعصيته .

ثم عزل الملك زوجها قطفير وجعل يوسف مكانه وأصبح سيدنا يوسف الجناح الأيمن للملك ففوض إليه أمر مصر كلها ، ثم توفي قطفير فتزوج سيدنا يوسف امرأته ، فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيراً مما كنت تريدين ، فلما بنى بها وجدها عذراء ، فأصاب منها فولدت له بإذن الله تعالى .

واستوثق له ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه القاصي والداني ، وذلك قوله عز وجل ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء﴾ وحتى مضت سبع سنوات مخصبة ، ثم دخلت السبع المجذبة ، فعانى الناس من القحط والجذب ما لم يعهدوه في السنين الماضية ، حيث هلك فيها كل شيء ، فاجتمع أهل مصر يبتاعون من سيدنا يوسف الطعام .

١- فباعهم في سنة بالنقود وبالذهب والفضة حتى لم يبق في مصر درهما ولا ديناراً إلا قبضه .

٢- وباعهم في السنة الثانية بالحلي والحلل والجواهر حتى لم يبق في أيدي الناس منها شيء .

- ٣- وباعهم في السنة الثالثة بالمواشي والدواب حتى احتوى عليها أجمع .
- ٤- وباعهم في السنة الرابعة بالعبيد والإماء حتى لم يبق عبد ولا أمة إلا أخذه .
- ٥- وباعهم في السنة الخامسة بالضيايع والعقار والدور .
- ٦- وفي السنة السادسة باعهم بأولادهم ، فإن الرجل كان يشتري بولده الحنطة والشعير من شدة القحط فلم يبق لأحد ذكر ولا أنثى إلا بمالك له .
- ٧- وباعهم في السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حرّاً ولا عبد ولا أمة إلا صار ملكاً له .
- وعجبت الناس من أمر سيدنا يوسف فقالوا : تالله ما رأينا ملكاً أجلاً من هذا وأعظم ، ثم قدم سيدنا يوسف على ملك مصر وقال له : كيف رأيت صنع ربي فيما ولاني فقال له الملك : الرأي رأيك وإنما نحن لك تبع .
- فقال سيدنا يوسف : فإنني أشهد الله وأشهدك أنني أعتقت أهل مصر جميعاً ، ورددت عليهم أموالهم وعقارهم وعبيدهم وأولادهم .
- وقصد الناس - أيها السادة - مصر من كل ناحية يمتارون ، يطلبون الميرة والطعام ، وجعل سيدنا يوسف لا يمكّن أحداً منهم (ولو كان عظيماً) لا يمكّنه أكثر من حمل بعير ، عدلاً بين الناس وتوسيعاً عليهم ، فتزاحمت عليه الخلائق ونزل بسيدنا يعقوب ما نزل بالناس فأرسل بنيه إلى مصر لطلب الميرة ، فأمسك عنده بنيامين أخا يوسف لأمه وبعث إخوة يوسف العشرة من أرض فلسطين إلى مصر ، فدخلوا عليه قال تعالى : ﴿ فعرفهم وهم له منكرون ﴾ وكان حين تركوه صغيراً ، فلما قدموا عليه وكلمهم بالعبرانية وأنه من أهل الشام واتهمهم جميعاً بأنهم عيونٌ عليه . فأنكروا ذلك وقالوا : إنما نحن إخوة من أب نبي من أنبياء الله اسمه يعقوب ، قال : فكم أنتم؟ قالوا : كنا اثني عشر فذهب أخ لنا إلى البرية وكان أحب إلى أبينا منا فهلك ، فقال : وكم أنتم

هناك؟ قالوا : عشر . قال : وأين الآخر؟ قالوا : إن أبانا يتسلى به قال : فمن يعلم أن الذي تقولون حق؟ فقالوا : أيها الملك إنا في بلاد لا نعرف فيها . فقال سيدنا يوسف : ﴿قال ائتوني بأخ لكم من أبيكم ألا ترون أني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين﴾ /يوسف : ٥٩/ .

قالوا ﴿سنراود عنه أباه وإنا لفاعلون . وقال لفتياناه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون . فلما رجعوا إلى أباهم قالوا يا أبانا منع منا الكيل ، فأرسل معنا أخانا نكتل وإنا له لحافظون . قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين . ولما فتحو متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم ، قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا وغير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير﴾ /يوسف : ٦٥/ .

أي إذا ذهب معنا بنيامين يأخذ حصته - كيل بعير - قال سيدنا يعقوب ﴿لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقاً من الله لتأتني به إلا أن يحاط بكم﴾ /يوسف : ٦٦/ . يعني يهلكوا - يقول ابن عباس رضي الله عنه : أتعرفون ما هذا العهد الذي أخذه عليهم في الموثق؟ قال لهم :

العهد الذي أطلبه منكم أن تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيكم ، ففعلوا ذلك ﴿فلما أتوه موثقهم قال (لهم سيدنا يعقوب) الله على ما نقول وكيل﴾ ، ثم أوصاهم أمراً لهم منعاً من الحسد ﴿يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وما أغني عنكم من الله من شيء إن الحكم إلا لله عليه توكلت وعليه فليتك كل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من الله من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها - وهي ألا تصيبهم العين - وإنه ل ذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف أوى إليه أخاه (وأخبره إنك أنت أخي) فلا تبتئس بما كانوا يعملون فلما جهزهم

بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه (بالاتفاق معه ليبقى بنيامين عنده) ثم أذن مؤذن (نادى منادي) أيتها العير إنكم لسارقون قالوا وأقبلوا عليه ماذا تفقدون قالوا نفقد صواع الملك ولن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم - يعني أنا الذي أتكفل وأعطيه هذا الحمل - قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه - أي يسرق من قبل المسروق منه - كذلك نجزي الظالمين فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان أن يأخذ أخاه في دين الملك إلا أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم ﴿يوسف : ٧٦﴾ .

وهذا الذي فعله بأمر من الله لأنه يترتب عليه مصلحة عظيمة بعد ذلك ، من قدوم أبيه وقومه عليه ، ثم استخرج الصاع من وعاء أخيه بنيامين . ﴿قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل (سيدنا يوسف لما كان صغيراً قالوا إنه في العراق أخذ الصنم الذهبي الذي عند خاله وكسره) قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال : بل أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون﴾ ثم راحوا يتلطفون له ويرجونهُ ﴿قالوا ياأيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً فخذ أحدنا مكانه إنا نراك من المحسنين ، قال معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده إنا إذاً لظالمون - بإطلاقنا المتهم وأخذنا البريء - فلما استئسوا منه خلصوا نجياً قال كبيرهم ألم تعلموا أن أباكم أخذ عليكم موثقاً من الله ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي وهو خير الحاكمين . ارجعوا إلى أبيكم فقولوا ياأبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون﴾ .

وهكذا بقي عند يوسف بنيامين وأخوه الأكبر وكان وقع الخبر على الوالد عظيماً وخاصة اتهام ولده بالسرقة لأنه ليس له سمة ولا من خلقه ذلك ، لذلك قال : ﴿ بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتأ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً أو تكون من الهالكين قال إنما اشكو بثي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون ﴾ - أعلم أن رؤى يوسف حقاً وسأسعد له أنا وأنتم بما رأى ، لأن رؤيا الأنبياء حق على المعتمد .

أيها السادة : حين شكنا حزنه إلى الله نزل إليه ملك الموت زائراً وكان سيدنا يعقوب قد أغلق على نفسه الباب وراح يبكي ، فإذا بملك الموت أمامه فسلم عليه قائلاً : السلام عليك أيها الكظيم ، فاقشعر جلده وارتعدت فرائضه ، ورد عليه السلام ثم قال : من أنت ومن أين دخلت؟ فقال : أنا ميتم الأولاد ومرمل الأزواج ومفرق الجماعات قال : أنت ملك الموت؟ قال : نعم قال سيدنا يعقوب : أنشدك الله تعالى ياملك الموت إلا أخبرتني هل قبضت روح ابني يوسف؟ قال : لا . قال : هل جئتني زائراً أم داعياً؟ قال : يانبي الله ما جئتك إلا مسلماً إن الله تعالى لا يميئك حتى يجمع بينك وبين يوسف وما أذن الله لي بزيارتك إلا لأبشرك وأجيبك عما تسألني وإن شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك . فقال له : فأعلمني قال : يا إسرائيل الله هل تذكرت الجارية التي اشتريتها عام كذا وكذا ثم فرقت بينها وبين أبويها؟ قال : نعم . قال : فلاجل ذلك ابتليت بفقد ولدك ، وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر؟ قال : لا قال : أمرت بذبح جذعة يوم كذا وكذا فذبحتها وشويتها في يوم كذا وكذا فمر تميم العابد وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتتم قنار الشواء فلم تطعمه شيئاً . هذا هو السبب إذأ - والله أعلم - .

وهنا أعتق سيدنا يعقوب من كان بحضرته وأمامه من الإماء وأمر بذبح غنمة كل يوم وتفريق لحمها على الفقراء ، ثم أمر أولاده أن يذهبوا للبحث عن يوسف وأخيه بنيامين ، وهنا عادوا إلى مصر فدخلوا على عزيزها سيدنا يوسف وشكوا إليه حالهم وحال أبيهم ، فقال لهم مصارحاً : ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه إذ أنتم جاهلون﴾ وهنا تعرفوا عليه فقالوا ﴿أئنك لأنت يوسف؟ قال : أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ، إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين قالوا تالله لقد أثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم - لن أعاتبكم بعد اليوم- يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيراً وأتوني بأهلكم أجمعين﴾ . وما إن اقتربت العير من ديار فلسطين حتى قال لهم أبوهم : ﴿إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون قالوا تالله إنك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير - يعني بالقميص - ألقاه على وجهه فارتدَّ بصيراً﴾ بإذن الله عندئذ قال لأولاده ﴿إني أعلم من الله ما لا تعلمون﴾ قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي إنه هو الغفور الرحيم﴾ /يوسف : ٩٨/ وآخر الاستغفار إلى ليلة الجمعة لأن فيها ساعة مستجابة .

وساروا جميعاً إلى سيدنا يوسف فلما دخلوا عليه آوى إليه أبويه وقال : ﴿ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً﴾ وكانت تلك تحية الناس في ذلك الزمان ، وهنا توجه إلى أبيه قائلاً يا أبي ﴿هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم﴾ /يوسف : ١٠٠/ .

وعاشت الأسرة النبوية أربعة وعشرين عاماً بآتم عافية حتى حضرت يعقوب الوفاة فجمع بنيه وقال ﴿لهم ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق﴾ ثم أوصى أن يحمل جسده فيدفن إلى جوار جده إبراهيم (في الخليل اليوم) ثم مات الملك الصالح في مصر وخلف من بعد ملك كافر فتمنى يوسف الجنة والحق بأبائه وأجداده ﴿ربي قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين﴾ /يوسف : ١٠١/ ثم أوصى بالأمر من بعده لأخيه يهوذا .

ومات ودفن في نهر النيل في تابوت من رخام .

والى هنا - معشر الإخوة الكرام - تنتهي قصة هذا الرسول الكريم وقصة والده يعقوب عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام .

أستودع الله دينكم وأمانتكم وخواتيم أعمالكم ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله .

لا إله إلا الله

* * *



- ٣٥ -

الحمد لله الذي لم يزل بالنعم منعماً ، وبالمعروف معروفاً وبالإحسان محسناً وبالكرم موصوفاً .

كل «يوم هو في شأن» يكشف كرباً ويغفر ذنباً ويغيث ملهوفاً ويجبر كسيراً ويجبر خائفاً ويرسل بالآيات تخويفاً .

أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره وأستغفره وأسأله السلامة من حمل العصيان وإن كان الحمل خفيفاً

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة للذي فطر السموات والأرض خفيفاً .

وأشهد أن سيدنا وحبيبنا وعظيمنا وأميرنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله وخليفه ، خلقه الله سيدنا كريماً صادقاً أميناً شريفاً عفيفاً .

اللهم صل وسلم وعظم وبارك على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد وعلى أصحاب سيدنا محمد ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين ، وأنزلهم في مقعد صدق عندك يامليكن المقتدر ، وفي رحمتك يا أرحم الراحمين ، وعجل فرجنا بحقهم وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين . صلاة وسلاماً تزيدهم بها تصديقاً وتشريفاً ، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

سيدنا أيوب عليه الصلاة والسلام ولده ذو الكفل

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على حفيدين من أحفاد سيدنا إسحاق بن
سيدنا إبراهيم الخليل الذي قال عنه مولانا في كتابه :
أعوذ بالله من الشيطان الرجيم :

﴿ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون﴾ /
الأنعام : ٨٤ .

حفيدان نص كتاب الله على نبوتهما ورسالتهما فقال عز من قائل :
﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا
إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب﴾ /
النساء : ١٦٣ .

إنهما سيدنا أيوب وولده سيدنا ذو الكفل عليهما الصلاة والسلام
ومع هذه الحلقة الخامسة والثلاثين من سلسلة النفحات المنبرية في
القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، أذكر لكم العقيدة الحقّة في حقيقة
ابتلاء الله لنبيه أيوب عليه الصلاة والسلام .

معشر السادة الكرام : إن سيدنا أيوب كان رجلاً كثير المال من سائر
صنوفه وأنواعه . (غنم ، إبل ، مواشي ، أنعام) وكانت منطقة حوران كلها
تحت تصرفه وفي قبضة يده .

ومع هذا الغنى الكبير . نجد أن مولانا أكرمه بالنبوة والرسالة ومنعه من
عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرّة والتشاغل
واللهو عن أمر الله تبارك وتعالى ، والقضية الإيمانية تقول :
«إنه لا تسلط للشياطين على الأنبياء والرسل الكرام» .

كان هذا النبي ذاكرًا شاكراً عابداً صائماً رحيماً بالمساكين كافلاً
للأيتام مكرماً للضيّفان ، معيناً لابن السبيل ، حتى تعجبت منه الملائكة من
صلاحه وتقواه فراحت تذكره وتصلّي عليه ، وهنا أدركت إبليس الغيرة
والحسد والبغي ، ساء أن يرى عبداً صالحاً قد أشغل وقته بالله عز وجل .

وكانت الشياطين من قبل بعثة نبينا الأعظم صلى الله عليه وسلم
يَسْمَعُونَ إلى الملائكة الأعلى من الملائكة ، فلما رفع سيدنا عيسى حجب

الشياطين عن أربع سموات ، فلما بعث سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم حُجبت عن الثلاثة الباقية .

معشر السادة الكرام :

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى السماوات العلى على جناح العقيدة والإيمان ، حيث يسمع إبليس ثناء الملائكة على سيدنا أيوب ، فصعد إلى السماء فوق موقفاً كان يناجي فيه رب العزة جل وعلا .

قال : إلهي نظرت في عبدك أيوب فوجدته عبداً أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك . وما يعبدك تطوعاً من نفسه ولا نافلة من عنده ، إنما يعبدك ثمناً لما منحته من مال وبنين وما أسبغت عليه من ثروة وعقار ، طمعاً في أن تبقي له ماله ، وتحفظ له دنياه ، فهو يخاف عليها وهو يشكرك خشية أن يمسه الزوال أو يصيبها الفناء ، فعبادته مشوبة بالرحمة والرغبة مشوبة بالخوف والطمع ، لم تختبره لا بشدة ولا ببلاء ، وأنا لك زعيم لأن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك ، وهناك أراد مولانا عز وجل أن يري إبليس أنه لا تسلط له على أحد من عباده المخلصين ، قال : إذهب فقد سلطتك على ماله ، وهنا جمع إبليس جنوده وأعوانه وحزبه على وجه الأرض . قال لهم : ماذا عندكم من القوة والمعرفة فإنني قد سلطت على مال أيوب ؟

(والمال إن ذهب فمصيبته فادحة وفتنته لا تصبر عليها الرجال) .

فقال عفريت من الجن : أعطيت من القوة ما إن شئت تحولت إلى إعصار من نار فأحرقت كل شيء أتى عليه .

فقال إبليس لعنه الله : فأت الإبل فأحرقها وورعاتها .

فانطلق عفريت الجن يسوق الإبل حتى إذا أوت إلى مرابعها . فما شعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار تفسخ منه رياح السموم لا يدنو منه أحد إلا احترق ، حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل إبليس بصفة راعي ثم انطلق يؤم سيدنا أيوب حتى وجده قائماً يصلي ويسبح ، قال له : يا أيوب .

قال : لبيك . قال : هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترته وعبدته بإبلك ورعاتك؟ .

فقال أيوب : إنها ماله أعارنيها وهو أولى بها ، إن شاء تركها وإن شاء أخذها . وقد تحققت وطيبت النفس أني ومالي للفناء والزوال .
فقال إبليس : وإن ربك أنزل عليها ناراً من السماء فاحترقت كلها .
فقال سيدنا أيوب :

الحمد لله الذي أعطاني وحيث شاء نزع مني ، عرياناً خرجت من بطن أمي ، وعرياناً أعود إلى القبر ، وعرياناً أحشر إلى ربي عز وجل .
ليس ينبغي للمرء أن يفرح حين أعاره الله ، ويجزع حين يقبض عاريته فله ما أخذ ، وله ما أعطى ، فله الحمد معطياً وسالماً وساخطاً وراضياً . نافعاً وضاراً ، ثم خر أيوب ساجد لله تعالى .

فرجع إبليس لعنه الله إلى أصحابه خائباً ذليلاً فقال لهم : ماذا عندكم من القوة . إني لم أكلم قلبه؟! .
فقال عفريت من الجن : عندي من القوة ما إن شئت صرخت صوتاً لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه .

فقال له إبليس : فأت الغنم ورعاتها .
فأتاه حتى إذا توسطهم صاح صوتاً ماتت منه الغنم ورعاتها فجاء إبليس بزي راع آخر إلى سيدنا أيوب .

فقال له مثل ذلك ، فرد عليه أيوب مثل ما رد عليه ، فأرسل إلى مزارع أيوب عفريتاً ثالثاً تحول ريحاً عاصفة قضت على الزرع والثمر ، فلم يؤثر ذلك عند أيوب حتى أتى إبليس على ماله كله ولم يزحزح من قلبه ذرة من إيمان فوقف إبليس موقفه في السماوات وقال :

إلهي : إن أيوب علم أنه مهما فعلت به من ماله فأنت معطيه المال وإنه يطمع أن يشتد ظهره بأولاده فيرد عليه ما ذهب من ماله ويرجع ما فقده من ثروته ، وإنك إن سلطتني على أولاده أفعل بهم ما يكره فأنا موقن أن أيوب سيصير أشد ما يكون كفراً وجحوداً فهل أنت مسلطي على ولده؟

إنها الفتنة المضلة والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال .
فقال له مولانا :

قد سلطتك على ولده .

وانقض عدو الله حتى جاء على أولاد سيدنا أيوب وهم في قصرهم
فزلزل قواعد القصر ثم رفعه إلى السماء وقلبهم فمات أولاده جميعاً .
وأقبل إبليس متمثلاً بمعلم الصبيان ورأسه يسيل منه الدم وراح يصف
لسيدنا أيوب كيف مات أولاده وشقت بطونهم وتناثرت أمعاؤهم ، فلم يزل به
حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه .
فاغتتم إبليس الفرصة وصعد إلى السماء ليزف تأييد كلامه لمولانا عز
وجل إلا أن سيدنا أيوب استغفر وشكر فصعدت الملائكة باستغفاره وتوبته
فاستبقوا إبليس إلى موقع المناجاة ، فوقف إبليس خاسئاً مدحوراً .
وقدم أصحاب سيدنا أيوب وراحوا يطلبون منه أن يتوب إلى الله وظنوا
أن ما نزل به هو من جراء معصية قام بها سيدنا أيوب ، فكان كلامهم هذا
أشد على نفسه من مصيبتة بفقد ماله وولده ، وأعلمهم بأن أشد الناس بلاء
الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل . (حب ٢٨٨٧ - حا ٢ / ٥٨١ - أبو يعلى ٣٦١٧ -
بز ٢٣٥٧ - الفتح ٦ / ٤٢١ - ١٠ / ١٢٤) .

معشر السادة الكرام :

هذا هو حقيقة بلاء سيدنا أيوب .

أقعد بعد ذلك في فراشه لم يتحرك فيه . لم يصل إليه دود ولم يصل
إليه نتن لأن عقيدتنا التي نحن نعتقد في القضايا الإيمانية أن الأنبياء لا
يصابون بمرض منفر ، إن الأمراض التي تصيب الأنبياء لا تبعد الناس عنهم
وكل ما ذكر في الكتب من أن سيدنا أيوب كان عليه دود ، والدود كان
يتساقط منه ، كله كذب وافتراءات وإسرائيليات .

لم يثبت هذا الأمر في عقيدة أهل السنة والجماعة ، ولأجل ذلك لما
رأى إبليس سيدنا أيوب صرخ بأعلى صوته فجمع شياطين الأرض وشكا
لهم خيبتة في التسلط على نبي الله . فقال له أمكرهم :

- أين مكرك يامعلم؟ أين علمك الذي أهلكت به من مضى .

قال : بطل ذلك كله في أيوب .

فقال له : أشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين

أتيته . قال : من قبل امرأته .

قال : فشأنك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصيها .

فانطلق عدو الله حتى أتى امرأة أيوب تطلب الصدقة فأتاها بصورة

رجل . فسألها عن زوجها وذكرها بفقد مالها وأولادها فصرخت ، وهنا قال

لها : أنا إله الأرض (قولوا : لعنه الله) ، وأنا صنعت بصاحبك ما صنعت ،

لأنه عبد إله السماء وتركني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت إليكما كل

شيء ، فقدمت المرأة المسكينة على زوجها وهي تخشى عليه .

قالت له :

ياأيوب ، إلى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال ، وأين الماشية ، وأين

الولد ، وأين الصديق ، وأين عشيرتك؟ ثم طلبت منه أن يسجد لإله الأرض .

فقال لها :

أتاك عدو الله إبليس فنفخ فيك؟! والله لأضربنك مئة ضربة إن

شفاني الله عز وجل .

ثم قال لزوجته :

كم لنا ونحن في الرخاء؟ قالت : ثمانين سنة .

ثم قال لها : وكم أنا في البلاء قالت : ثمانين سنة .

قال لها : ويحك ما عدلت ولا أنصفت ، أما صبرت في هذا البلاء

الذي ابتلانا الله به ثمانين سنة كما كنت في الرخاء ، إنني لأستحي أن

أطلب من الله رفع بلائي وما قضيت فيه مدة رخائي ، فاهربي عني لا أراك

حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً .

فذهبت امرأته وهو طريق في الفراش ، هنا انقلب على وجهه ساجداً

لله تعالى ونادى ربه من قلب مكلم :

﴿أني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين﴾ / الأنبياء : ٨٣ .

فإذا بصوت من أعلى يناديه : ارفع رأسك فقد استجبت لك .
معشر الإخوة الكرام :

وإذا بعين ماء عذبة تنبع من أمام أيوب وإذا برب العزة ، يقول له
﴿اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب﴾ .

فقام أيوب بإذن الله فاغتسل من الماء وشرب منه فرد الله عليه قوته
وكشف همه وكساه حله من أجمل الحلل ، وأنزل عليه مولانا مكافأة جرأاً
من ذهب فردَّ عليه ماله فجعل يجمعه ، فناداه مولانا يا أيوب ألم أغنك
فقال : بلى يارب ولكن لا غنى لي عن بركتك . (خ ٢٧٦ - ٣٣٩١ - ٧٤٩٣
ن ١ / ٣٠٠ - ٢٠١ - هب في الأسماء والصفات ٣٠٢ - حب ٦٢٢٩ أحمد
٣ / ٣٤٣ - ٣٠٤) .

وأشفقت عليه زوجته وقد تركته جائعاً ولا شراب عنده ، فعادت إليه
فلم تجده ولم تعرف زوجها ، فراحت تبكي وتسال عن زوجها أين أنت
يا أيوب فقال لها سيدنا أيوب : ألا تعرفينه ؟ .

ف قالت : وكيف لا أعرفه .

قال : انظري إليّ .

قالت : أنت أشبه به خلقاً .

فقال : أنا أيوب وقد شفاني الله عز وجل .

ودعا مولانا وشكره فعوضه مولانا عن أولاده فردَّ لهم الحياة وردَّ لامرأته
شبابها ، وأتاها سيدنا أيوب فولدت له على التوالي ٢٦ بإذن الله الواحد الأحد .
وأراد أيوب أن يبر يمينه فقال له مولانا :

﴿وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث﴾ / ص : ٤٤ / .

فأخذ حزمة من حشيش يابس تشتمل على ١٠٠ / عود صغير
فضربها به ضربة واحدة فبرَّ بها يمينه .

ثم توفي سيدنا أيوب وأوصى من بعده إلى ابنه حومل ، وبعده ابنه
بشر نبياً وسماه ذا الكفل ، وأمره بالدعوة إلى توحيد الله فإذا بذى الكفل
يأمر قومه بالجهاد . فكفوا عن ذلك وضعفوا عنه وقالوا :

يا بشر إنا قوم نحب الحياة ونكره الممات ، ومع ذلك نكره أن نعصي الله تعالى ورسوله ، فلو سألت الله تعالى أن يطيل أعمارنا ولا يمتتنا إلا إن شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه .

فقال لهم بشر : لقد سألتموني عظيماً وكلفتُموني شططاً .

ثم قام وصلى ودعا الله قال :

إلهي أمرتني بتبليغ الرسالة فبلغتها ، وأمرتني أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم أنني لا أملك إلا نفسي ، وإن قومي قد سألوني في ذلك ما أنت أعلم مني به فلا تأخذني بجريمة غيري ، أعوذ برضاك من سخطك وبِعَفْوِكَ من عقوبتك . فأوحى الله تعالى إليه :

يا بشر قد سمعت مقالة قومك ، وإنني قد أعطيتهم ما سألوا ، طوَّلت أعمارهم فلا يموتون إلا أن يشاؤوا ، فكن كفيلاً لهم مني بذلك .

فبلغهم بشر رسالة مولانا ، وأخبرهم بما أوحى الله إليه وتكفل لهم بذلك فسمي ذا الكفل ، فتوالد القوم وكثروا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا من كثرتهم ، فسألوا بشراً أن يطلب من الله أن يردهم إلى أجالهم .

فأوحى الله إلى بشر : أما علم قومك أن اختياري لهم خير من اختيارهم لأنفسهم . «الخير في ما اختاره الله» .

فرد الأقوام إلى أعمارهم وماتوا بأجالهم ، ومات بشر بن أيوب في الشام وعمره ٩٥ سنة (١) .

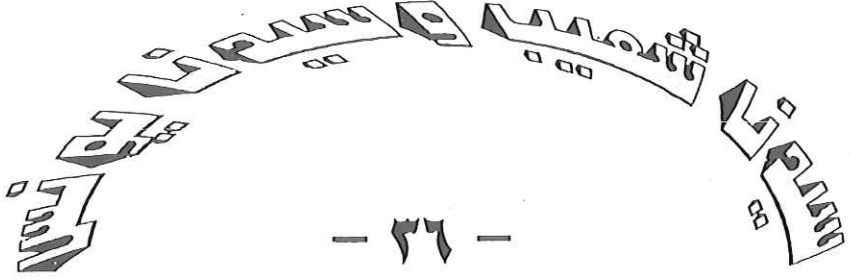
وهكذا معشر السادة نزلنا في هذا اليوم ضيوفاً على نبين ورسولين من الرسل الكرام سيدنا أيوب وسيدنا بشر .

فمن هو الرسول بعدهما؟

أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة إن شاء الله تعالى .

وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

(١) - انظر ابن كثير في قصصه .



- ٣٦ -

الحمد لله المنتقم ممن خالفه ، المهلك من أغضبه وأسفه ، المتوحد في قهره ، المنفرد بعز أمره . أحمده حمد شاكر لما أولاه مستقيل مما جناه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة يقين لا شك فيه وقول إخلاص عما يقول الكافر ويفتره .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، الذي استأمنه على علم الغيب وبرأه من كل دنسٍ وعيب .

اللهم صل وسلم وبارك وعظم على هذا النبي الكريم والسيد السند العظيم سيدنا ومولانا محمد ، وعلى آل سيدنا محمد ، وعلى أزواجه أمهات المؤمنين وأنزلهم في معقد صدق عندك يامليكننا المقتدر ، في رحمتك يا أرحم الراحمين وعجل فرجنا بحقهم ، وحق من جعلته رحمة للعالمين ورحمة لنساء العالمين ، وسلم تسليمًا .

أما بعد : فيا حماة الإسلام وحراس العقيدة

نحن اليوم ننزل ضيوفاً على نبين ورسولين من الرسل الذين ذكرهم الله عز وجل في كتابه الكريم ، أما أولهما فهو سيدنا شعيب ، وأما الثاني فهو سيدنا يونس ، وخير ما نستهل به حلقتنا هذه تلاوة عطره مباركة من سورتي هود ويونس :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿والى مدين أخاهم شعيباً ، قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ، ولا تنقصوا المكيال والميزان ، إني أراكم بخير وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ، ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين . بقيت الله خير لكم إن كنتم مؤمنين وما أنا عليكم بحفيظ . قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آبائنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء ، إنك لأنت الحليم الرشيد . قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً ، وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ، إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ /هود : ٨٨ .

أيها الإخوة الكرام :

إننا مع الحلقة السادسة والثلاثين ، ومع الرسول الثالث عشر أدعوكم وادعوا أنفسنا لنقف على قضية إيمانية من سلسلة النفحات المنبرية في القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية (في البيوع الإسلامية الشرعية) .

إنه سيدنا يونس بن قيس الذي بعثه الله تعالى إلى أهل نينوى من أرض الموصل ، فكذبوه وتمردوا على كفرهم وعنادهم فلما طال عليه الأمد ولم يستجيبوا له توعدهم حلول العذاب بهم بعد ثلاث ، فقال بعضهم لبعض : - إنا لم نجرب عليه كذباً قط ، فانظروا فإن بات فيكم فليس بشيء ، وإن لم يبت فإن العذاب مصبحكم .

فلما كان الليل خرج سيدنا يونس من بين أظهرهم فلما أصبحوا أظلتهم سحابة سوداء فكانت فوق رؤوسهم ، قال ابن عباس : إن العذاب كان أهبط على قوم يونس حتى لم يكن بينهم وبينه إلى قدر ثلثي ميل إذ أرسل الله عليهم غيماً أسود هائلاً حتى اسودت أسطحهم . فلما رأوا

العذاب قذف الله في قلوبهم التوبة والإنابة وندموا على ما كان منهم ولبسوا المسوح وعجبوا بالدعاء وتضرعوا بالبكاء ، فكشف الله عنهم بحوله وقوته ورأفته ورحمته عذابه ، وكانوا زهاء مئة ألف لا محالة .

أيها السادة :

فكيف كان رد ربك على سيدنا يونس عندما ترك قومه بدون استئذان إن من المعلوم لدينا في العقيدة أن الرسل مأمورون ، يأتمرون بأمر مولانا عز وجل ، لا يتصرفون تصرفاً إلا بوحي من الله تعالى .

لكن سيدنا يونس خرج من عندهم مغضباً دون أمر إلهي بخروجه ، ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله وهو دعوة قومه إلى الله والصبر عليهم ، فكان ذلك في حقه ظلماً ، لأن القاعدة التوحيدية تقول (حسنة الأبرار سيئات المقربين) ، ربما في حقنا نحن البشر العاديون الدعاة إلى الله تعالى أن نترك مجالس الدعوة لعدم استجابة الناس لنا ، أما في حق الرسل والأنبياء فهذا ترك للأفضل مع قدرتهم على تحصيله ، لذلك نرى سيدنا يونس يتجه إلى سفينة في البحر فيركبها فإذا بها تضطرب في عرض البحر وتموج بأهلها ، فصار كل واحد منهم يقول لصاحبه : إن بيننا رجلاً أبقاً هارباً من مولاه ، فتشاوروا بينهم أن من وقعت عليه القرعة أن يلقيه في البحر فاقترعوا مرة بعد مرة وكل ذلك تقع القرعة على النبي يونس ، واسمعوا هذه القضية الإيمانية يتلوها علينا القرآن الكريم .

﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين﴾ /الصفات : ١٤١/ (المقترعين) وما إن ألقى سيدنا يونس من على متن السفينة حتى وجد حوتاً عظيماً فاتحاً فمه ينتظر هذا الضيف الذي سوف يستضيفه بأمر رب العالمين ، قاله له : خذ عبيدي ، لا تخدش له لحماً ولا تكسر له عظماً . واستقر سيدنا يونس في بطن الحوت . لذلك سمي ذا النون

أي صاحب الحوت وكانت مفاجأة مذهلة لسيدنا يونس ، حسب أنه قد مات فراح يحرك أعضائه واحداً بعد واحد فوجد نفسه حياً ، وخر ساجداً لله تعالى وقال : يارب اتخذت لك مسجداً في موضع لم يعبدك أحد في مثله .

وراحت السفينة الحوتية تجوب البحار ، وتقتحم الأمواج ويونس يسبح تسبيح الحصى لفائق الحب والنوى ، ورب السموات العلى ، ورب الأرضين وما بينهما وما تحت الثرى ، فعند ذلك قال بلسان الحال والمقال ، كما أخبر عنه ذو العزة والجلال ، الذي يعلم السر والنجوى ويكشف الضر والبلوى ، ﷻ الذي يسمع الأصوات وإن ضعفت ، ويعلم الخفيات وإن دقت ، ويحيي الدعوات وإن عظمت : ﴿ نادى في الظلمات ﴾ (ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة الحوت) أن لا اله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴿ /الأنبياء : ٨٨ / .

وسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة : قال : ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر . قالوا : العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة عمل صالح؟! قال نعم . وهنا استشفعت الملائكة له وقالوا : يا ربنا ألا ترحم ما كان يصنعه في الرخاء فتنجيه من البلاء؟ قال : بلى .

وهنا صدر الأمر الإلهي من مولانا الباري للحوت الساري : أن اقذف عبدي يونس إلى اليابسة قال تعالى :

﴿ فنبذناه بالعراء وهو سقيم فلوла أنه كان من المسيحين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون ﴾ . وهكذا هي سنة ﷻ في خلقه من تعرف الى ﷻ في الرخاء عرفه مولانا عند الشدة . ﴿ وأنبتنا عليه شجرة من يقطين ﴾ ليقوى جسمه وأرسل ﷻ إليه وعلة فكان يشرب من حليها ، حتى اشتد لحمه ونبت شعره فأمره مولانا أن يعود إلى قومه لأنهم قد تابوا ورجعوا إلى ﷻ وأمنوا قال تعالى : ﴿ فمتعناهم إلى حين ﴾ /الصافات : ١٤٨ / . بز- ابن حجر في (الفتح ٦ / ٤٥٢) .

وأما الرسول الرابع عشر فهو سيدنا شعيب الذي بعثه مولانا إلى أهل مدين ، وهي قرية من بحيرة لوط ، ومدين هو من ذرية سيدنا إبراهيم الخليل .
وأهل هذه المدينة من العرب ، لما رأيت الحبيب الأعظم يقول لأبي ذر :
أربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك يا أبا ذر (حب) . الفتح ۷/ ۱۱۳ .

إن أهل مدين - أيها السادة - لم يرفعوا حق مولانا عز وجل ولم يطيعوا أوامره وانتهكوا حدوداً كثيرة ، فهم كانوا من الكفرة المردة ، يقطعون السبيل - ويخيفون المارة ، ويعبدون الأيكة (وهي شجرة من الأيك حولها أشجار ملتفة) وكانوا ينخسون المكيال والميزان ، ويطففون فيها ، يأخذون بالزائد ، ويدفعون بالنقصان ، فبعث الله إليهم سيدنا شعيباً فدعاهم إلى عبادة الله وحده ، ونهاهم عن تعاطي الأفعال القبيحة ، وعن بنحسهم حقوق الناس وأشياءهم ، وقال لهم : بقية الله خير لكم : أي رزق الله خير لكم من أخذ أموال الناس وما يفضل لكم من الربح بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس بالتطفيف - وما أحسن قول مولانا عز وجل ﴿ قل لا يستوي الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث ﴾

إن القليل الحلال خير من الكثير الحرام لأن الله تعالى توعده بمحق الحرام وإن كثر ، أليس قد قال لنا ﴿ يمحى الله الربا ويربي الصدقات ﴾ / البقرة : ۲۷۶ / ، أليس قد قال لنا الصادق المصدوق «إن الربا وإن كثر فإن مصيره إلى قل» هذا هو شعار التاجر المسلم ﴿ بقية الله خير ﴾ .

فماذا كان جواب قومه؟

معشر السادة : ولكي نعرف معاً جواب هؤلاء المجرمين اسمحوا لي أن أنتقل بكم اليوم الى أطراف الأردن ، إلى أرض معان حيث المجادلة الكلامية على أشدها ، وانتبهوا إلى هذا الذكاء وتلك الفطنة التي آتاهها الله تعالى سيدنا شعيباً ، والذي كان يلعب بخطيب الأنبياء لفصاحته وعلو عبارته

وبلاغته في دعوة قومه إلى الإيمان برسالته . علينا أن نشهد هذه القضية الإيمانية لأن صفات الأنبياء أربعة واجبه لهم : الصدق والأمانة والتبليغ والفتانة ، والفتانة تعني سرعة البديهة والذكاء العالي في رد حجج خصوم الدعوة الإسلامية ، نشهده هذا اليوم معاً في أهل مدين أصحاب الأيكة :

﴿يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز . قال يا قوم أرهطي أعزّ عليكم من الله﴾ /هود : ٩١- ٩٢/ أتخافون قبيلتي وعشيرتي وتراعوني بسببهم ولا تخافون عذاب الله ولا تراعوني لأنني رسول الله .

﴿واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود﴾ /هود : ٩٠/ . فقالوا له على سبيل التهكم والاستهزاء والتنقص : ﴿أصلاتك تأمرك أن تترك ما يعبد آبائنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنك لأنت الحليم الرشيد﴾ /هود : ٨٧/ . قال نعم ، قالوا إن نطق الأصنام بصدق ما تقول تكن قد جئت بالحق .

معشر السادة : إننا هناك في مدين ، وأرى سيدنا شعيباً يدعو مولانا عز وجل ويتقدم إلى الأصنام ليسألهم سؤالاً واحداً فقال :
- من ربكم ومن أنا؟

وهنا حدثت المعجزة إذ أن الأصنام أنطقها الله الذي أنطق كل شيء فقالت : ربنا الله ورب كل شيء ، وخالقنا وخالق كل شيء ، وأنت يا شعيب رسول الله ونبيه (ض) .

ثم راح كل يسقط على الأرض ساجداً لله تعالى . وهنا دخل عدد كثير من قومه في الإسلام ، لكن الكفرة لم ينفعهم هذا الموقف ، ولم يوقنوا أن الله واحد ، لا ، بل أنكروا واتهموه بالسحر ، قالوا على موجات سورة الشعراء
﴿إنما أنت من المسحّرين ، وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فاسقط علينا كسفاً من السماء إن كنت من الصادقين . قال ربي

أعلم بما تعملون . فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم . فتولى عنهم وقال يا قوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين ﴿ ٨٩ ﴾ .

معشر السادة : وبدأ مسلسل العذاب الإلهي ، أولاً تحول الهواء حاراً عليهم سبعة أيام فأصابهم حر شديد ، فكان لا ينفعهم مع ذلك ماء ولا ظل ، ولا دخولهم في السرايب .

فأرسل ملكهم يهدد شعبياً ومن آمن معه بالقتل ، فعند ذلك قال شعيب ﴿ ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين ﴾ / الأعراف : ٨٩ / .

وإذا بريح قد هاجت وماجت عليهم فيها حر وكرب لا طاقة لهم بها فرمى بعض الناس أنفسهم في الآبار والسرايب وهم لا يزدادون إلا نفوراً .

وأرسل الله عليهم الذباب الأزرق يلدغهم كلدغ العقارب ، وربما قتل أولادهم وأشغلهم الله بأنفسهم عن أذى شعيب ومن آمن به .

وهبت عليهم ريح السموم فكانوا ينتقلون من مكان الى مكان ليجدوا فرجاً ومنجراً ، وشعيب يناديهم أين تهربون ، توبوا إلى الله ، ارجعوا إلى الله . فكانوا يجيبونه : - يا شعيب نحن نكفر بك وبربك فزدنا ما نحن فيه .

تكبروا وتجبروا وتحذوا الواحد الأحد ، وجاءت الضربة القاصمة ، سحابة سوداء أظلمت وأظلمت الأرض عليهم حتى لم يبصر بعضهم بعضاً واشتد عليهم الأمر .

وأوحى الله إلى شعيب أن اخرج أنت وقومك واعتزلهم ، وانظر كيف يحل عذابي فيهم ، فلما خرج شعيب ومن معه أحاطت السحابة بكل المتكبرين (وللكافرين والملاحدين أمثالها) فلما تكاملوا تحتها أرسلها الله ترميهم بشرر وشهب ، ورجفت بهم الأرض ، وجاءت صيحة من السماء

فأزهقت الأرواح وأحرقت الأكباد فأصبحوا في دارهم جاثمين واحترقوا كما يحترق الجراد فصاروا كالرماد . ﴿الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيباً كانوا هم الخاسرين﴾ / الأعراف : ٩٢ .
أيها السادة :

بقي رسول الله ﷺ شعيب مئتين وأربعاً وخمسين سنة وهو الذي تزوج سيدنا موسى ابنته ، وكان ضرير البصر ، وقد روى في حديث مرفوع ضعيف الإسناد أنه بكى من حب الله ﷻ حتى عمى فرد الله عليه بصره وقال :
يا شعيب أتبكي خوفاً من النار أو من شوقك إلى الجنة فقال : بل من محبتك يارب ، فإذا نظرت إليك فلا أبالي ماذا يصنع بي ، فأوحى الله عز وجل إليه : هنيئاً لك يا شعيب لقائي لذلك أخدمتك موسى بن عمران كليمي (١) .
أيها السادة :

فمن هو النبي الخامس عشر؟ أعلق هذا السؤال لأجيب عنه في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى .
وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

* * *

(١) - عزاه في الدر المنثور ٣/ ٣٤٨ الواحدي وابن عساكر وقال ابن كثير في قصص الأنبياء رواه الواحدي وهو غريب جداً وقد ضعفه الخطيب البغدادي .

الولادة والزواج

- ٣٧ -



الحمد لله الذي أوضح الطريق للطالبين وسهل منهج السعادة للمتقين ، وبصر بصائر المصدقين بصائر الحكم والأحكام في الدين ، منحهم أسرار الإيمان وأنوار الإحسان واليقين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك الحق المبين .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الصادق الوعد الأمين .

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .

أما بعد :

فنحن اليوم ننزل ضيوفاً على نبي ورسول من رسل الله هو سيدنا موسى بن عمران الحفيد الرابع لسيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم الصلاة والسلام رسول وصفه مولانا بأولي العزم من الرسل لما لاقى من أهوال وشدائد في قومه بني إسرائيل .

واسمحوا لي أن أذيع عليكم الأنباء مع هذه الحلقة السابعة والثلاثين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية .

مع بداية هذه الحلقة أدعوكم جميعاً لنرفع شعار التوحيد :

لا اله الا الله وحده لا شريك له

وخير مانستهل به حلقتنا اليوم تلاوة معطرة من كتاب الله عز وجل :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿طسم . تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون . إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين . ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون﴾ / القصص : ١ - ٦ .

أيها السادة : بعد أن توفي سيدنا يوسف بقي الناس دهرًا متمسكين بدينهم ثم بدأ الوهن الديني يدب إلى بني إسرائيل فعملوا بالمعاصي ووافق خيارهم أشرارهم ، فلم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهؤا عن المنكر فسلط الله عليهم فرعون حكمهم أربعمئة سنة ، وهو يسومهم سوء العذاب فذبح أبناءهم واستحيا نساءهم ، ومد الله له مدا كما قال في كتابه :

﴿قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدًا﴾ / مريم : ٧٥ / مد الله في عمره وصحته هذا الزمن الممتد ، فرأى فرعون نفسه عاش هذه المدة فجمع شعب مصر وقال : أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي قالوا : بلى قال : ما علمت لكم من إله غيري . تحدى مقام الربوبية وأسقط مقام العبودية في ذاته ، فأراد مولانا أن يريه أنه عبد لله فأراه رؤيا حق .

رأى في منامه كأن نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل . فدعوا فرعون الكهنة والمعبرين والسحرة والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا : يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من

أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذي يولد فيه .

فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد في بني إسرائيل ووكّل على ذلك القوابل وأمر عليهم أتباعه حتى شكوا القبط إلى فرعون قلة بني إسرائيل بسبب قتل ولدانهم الذكور وخشي أن تتفانى الكبار مع قتل الصغار فأمر فرعون بقتل الأبناء عاماً وأن يتركوا عاماً فولد هارون في عام المسامحة عن قتل الأبناء ، وولد سيدنا موسى في عام قتلهم فصارت أمه تخاف عليه من أعوان فرعون فكانت تخفيه لئلا يراه أحد ، ومات أبوه حين بلغ أربعين يوماً . فألهم الله أمه أن تتخذ له تابوتاً فربطته في حبل وكانت دارها متاخمة للنيل فكانت ترضعه فإذا خشيت من أحد وضعته في ذلك التابوت وأرسلته في البحر ، وأمسكت بطرف الحبل عندها ، فإذا ذهب الجند استرجعته إليها . فأرسلته ذات يوم وذهلت أن تربط طرف الحبل عندها ، فذهب مع النيل وأمر الله الملائكة بحفظه ، ثم طلبته فلم تجده ، وعجبت من نفسها كيف ربط الله على قلبها ، وراحت تبحث عنه بحذر ، وفي هذا يقول عز وجل :

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ / القصص : ٧ .
وهنا علينا أن نفهم أن قضية الوحي بالنسبة لسيدتنا أم موسى (واسمها أيارخا) ليس وحي نبوة ، بل هو من قبيل قوله تعالى : ﴿وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً﴾ / النحل : ٦٨ / وهو ما يسمى بالوحي الغريزي ، فليست أم موسى نبيه كما زعمه الظاهريون بل :
وما كانت نبياً قط أنثى ولا عبدٌ وشخص ذو فعال

فما أرسل الله إلى الخلق إلا رجالاً ، واسمع الى مولانا يذكر هذه القضية الإيمانية وهو يخاطب نبينا محمداً ﷺ فيقول : ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ فماذا فعل الله بسيدنا موسى الوليد .

قال تعالى ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً﴾ /

القصص : ٨ / ، التقط الجواري الثابت وكان مغلقاً عليه ، فلم يتجاسر أحد على فتحه حتى وضع بين يدي امرأة فرعون السيدة آسية بنت مزاحم ، وما إن فتحته حتى وجدت سيدنا موسى يتلأل بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية فدخل حبه قلبها ، فإذا بفرعون يطل بجبروته فيرى الوليد فيأمر بذبحه ، فاستوهبته منه ودافعت عنه وقالت له : ﴿قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون﴾ / القصص : ٩ / .

فقال لها فرعون : أما لك فهو قرة عين ، وأما لي فلا . (لا حاجة لي به) . لذلك أكرمها الله بالإيمان فقُرت عينها بموسى وهو طفل ، فأقر الله عينها في رضى الجنة وجعلها الله يوم القيامة من أزواج سيدنا محمد هي والسيدة مريم . وامرأة فرعون هذه - أيها السادة - هي التي طلبت من الله فقالت : ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ قال تعالى :

﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً (من كل شيء إلا من موسى) إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها (صبرناها) لتكون من المؤمنين وقالت لاخته قصيه (اتبعي أثره) فبصرت به عن جنب (عن بعد) وهم لا يشعرون﴾ / القصص : ١١ / .

ورأت أخته كيف عرضوا على موسى المراضع وهو ياباهن ، فقالت لآل فرعون ﴿هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون﴾ / القصص : ١٢ / ، فقالوا ما يدريك بنصحهم وشفقتهم عليه . فقالت : رغبة في سرور الملك ورجاء منفعتة . فأطلقوها وأحضرت أمها فأرضعته وأقبل على ثديها ، فعرضت عليها امرأة فرعون أن تبقى عندها في القصر فأبت وقالت : إن لي أولاداً . فأرسلته معها وربت لها الرواتب والنفقات والهبات قال تعالى :

﴿فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ / القصص : ١٣ / .

ولما صار لموسى ثلاث سنين أقعده فرعون في حجرة فمد موسى يده

إلى حية فرعون ونتف منها خصلة ، فاغتاظ فرعون غيظاً شديداً وقال : هذا عدوي وهم بقتله . فقالت آسية : ليس للصغار عقل ولا معرفة ، وأنا أتيتك بدليل ، وأمرت بإحضار طست وجعلت فيه تمر وجمرة وقدمته إلى موسى فمد يده إلى التمرة فحول جبريل يده إلى الجمرة ورفعها إلى فيه فأحرقت لسانه وأخذ في البكاء الشديد فسكن غيظ فرعون .

ولما تم لموسى سبع سنين قعد مع فرعون على سريريه فقرصه فرعون فنزل موسى عن السرير وهو غضبان وضرب برجله قوائم السرير فتكسر منه قائمتان فسقط فرعون وانهشم أنفه وسال الدم على وجهه ، فهم بقتله ، فقالت آسية ألا يسرك أن يكون لك ولد بهذه القوة يدفع عنك أعداءك ، فسكن غضبه . ولما أتى على موسى ثلاث وعشرون سنة خرج واغتسل ووقف يصلي ويسبح فقال رجل من خواص الملك : ياموسى لمن تصلي؟ قال : لسيدي ومولاي . فقال : الرجل تعني أباك فرعون . قال موسى : على فرعون لعنة الله . وكان ذلك دأب موسى يلعن فرعون والكفرة ، وكان كل من أتى يخبر فرعون بما يشتمه به موسى سلط الله عليه فرعون قبل الإخبار ، فمنهم من يقتله ومنهم من يقطع يده ومنهم من يحرقه بالنار .

وهكذا - معشر السادة - ربي سيدنا موسى في مقر فرعون وكأن القدر يقول لفرعون : أيها الملك الجبار ، المغرور بكثرة جنوده وسلطته وبأسه واتساع سلطانه قد قدر العظيم الذي لا يغلب ولا يمانع ولا تخالف أقداره ، أن هذا المولود الذي تحترز منه ، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى ، لا يكون مرباه إلا في دارك وعلى فراشك ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك وفي منزلك . وأنت الذي تتبناه وتربيته ووتفداه ، ولا تطلع على سر معناه ثم يكون هلاكك في دنياك وأخراك على يديه ، لمخالفتك ما جاء به من الحق المبين وتكذيبك ما أوحى إليه ، لتعلم يا فرعون أنت وسائر الخلق أن رب

السموات والأرض هو الفاعل لما يريد وأنه هو القوي الشديد .

فهل هناك قهر أعظم من هذا ، فتحداهم مولانا بذلك وأصبح آل فرعون خدماً له ، وفرعون ربه فأصبح خادماً له وامرأة فرعون خادمة له ، وكان سيربى في بيت متواضع ، فربي في القصور ، وصار شاباً وبلغ الحلم .

قال تعالى : ﴿ ولما بلغ أشده واستوى آتيناه حكماً وعلماً . وكذلك نجزي المحسنين ﴾ / القصص : ١٤ . وكان ذلك في سن الأربعين إذ بعثه ﷻ نبياً ورسولاً وأصبح له في مصر صولة ومكانة بسبب تبني فرعون له وتربيته في بيته ، وأعز الله به بني إسرائيل وصارت لهم وجاهة لأنهم أخواله والذين أَرْضَعُوهُ واسمحوالي أن أعرض أمام حضراتكم هذا الموقف الذي كان فيه الخير الكثير لسيدنا موسى وجعله ﷻ سبباً في تركه مصر ، قال تعالى :

﴿ ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته (من بني إسرائيل) وهذا من عدوه (قبطي) فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه فوكزه موسى (ضربه بجميع كفه) ففضى عليه ﴾ / القصص : ١٥ .

وكان ذلك القبطي كافراً مشركاً بالله العظيم ولم يرد موسى قتله بالكلية وإنما أراد ضربه وردعه بدليل أنه قال ﴿ هذا من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين ﴾ ، ومع ذلك استغفر وأناب ﴿ قال رب إنني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم ، قال رب بما أنعمت علي (من القوة والجاه) فلن أكون ظهيراً للمجرمين . ﴾ / القصص : ١٧ .

أيها الإخوة :

صار سيدنا موسى يسير في المدينة خائفاً يترقب ويتلفت ، فبينما هو كذلك إذ ذاك الرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستصرخه أي يصرخ به ويستغيثه على آخر قد ضربه ، فعنف موسى الإسرائيلي ولامه على

كثرة شره ومخاصمته وقال له : إنك لغوي مبين ، فأراد أن يبطش بذلك القبطي فظن الإسرائيلي أنه سيبطش به هو فقال : ﴿ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسك بالأمس إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وماتريد أن تكون من المصلحين﴾ فسمعه القبطي الذي أفلت ، فذهب فاستعدى فرعون على موسى ، فطلبه فرعون إلى قصره ليحاسبه على قتل القبطي ، فإذا برجل ناصح لموسى يأتي إلى موسى قال : ﴿ياموسى إن الملاء يأثمرون بك ليقتلوك فاخرج إنني لك من الناصحين﴾ /القصص : ٢٠ .

فخرج منها خائفاً يترقب من فوره لا يهتدي إلى طريق حتى ساقه الله تعالى لقاء مدين وهو يدعو : ﴿رب نجني من القوم الظالمين﴾ /القصص : ٢١ ، ﴿عسى ربي أن يهديني سواء السبيل﴾ /القصص : ٢٢ .

حتى ورد إلى بئر مدين وهم أصحاب الأيكة قوم شعيب ، فوجد عليها جمعاً من الناس يسقون واسمعوا البيان الإلهي في هذه القضية الإيمانية وتأملوا معي : ﴿ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمةً من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير﴾ وانظروا إلى قوله تعالى : ﴿ووجد من دونهم امرأتين تذودان﴾ تبعدان الغنم عن أن تختلط بغنم الناس وهما أي البنتان بعيدتان لا تختلطان بالرجال ، أتدرون لماذا؟

لأن الاختلاط بالشرع المطهر حرام ، وهو في حق نساء الأنبياء والرسل وبناتهم أشد حرمة ، إن مولانا في هذه القضية يقدم لنا الدليل على حرمة الاختلاط ويبين لنا ماهي شروط المرأة العاملة ، متى تعذر المرأة في عملها والشرط الأول : عدم مزاحمة الرجال لأعمالهم ، فمتى وجد الرجل الذي يقوم بوظيفة المرأة حرم على المرأة أن تتقدم إلى العمل ، وقد بينت الفتاتان

سبب عملهما بعد أن سألهما ما خطبكما قالتا : ﴿ لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير ﴾ / القصص : ٢٣ .

والشرط الثاني : يحرم اختلاطها بالرجال ، واسمع إلى قول مولانا ﴿ ووجد من دونهم امرأتين ﴾ لم تختلطاً بهن ، وحين سألهما ﴿ قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء ﴾ .

الشرط الثالث : إذن وليها فلا يجوز للمرأة أن تخرج حتى يأذن لها أبوها أو زوجها أو ولي أمرها .

الشرط الرابع : أن تخرج بحجابها الكامل وسترتها المعهودة في الدين .

الشرط الخامس : أن تعمل عملاً يناسب طبيعة جسدها كترية الأطفال وسقي الماء وتضميد الجرحى .

هذه هي شروط عمل المرأة المستمدة من هذه الآية الكريمة وإن نسيت لا أنسى حدثاً جرى زمن نبينا الأعظم ﷺ فيما يرويه أبو داود في سننه ٥٢٧٢-هـ) أن جماعة من الرجال والنساء صلوا في المسجد مع سيدنا رسول الله ﷺ فلما انتهت الصلاة وخرجن مع الرجال ، مشين في وسط الطريق متسترات بثياب الصلاة والحجاب الشرعي ، لكنهن اختلطن مع الرجال ، فإذا بالقائد الأعلى للأمة يناديهن وقد رأى هذا المشهد ناداهن : - يامعشر النساء لا تَرْكَبَنَّ حَقَّقَ الطريق وعليكن بحافات الطريق .

يقول الراوي ياسادة ياكرام فكانت المرأة تلتصق بالجدار حتى إن ثوبها ليتعلق بالجدار من لصوقها به . وفي رواية ابن حبان ١٩٦٩ : « ليس للنساء وسط الطريق » عد- هب ٢ / ٤٧٥ (٢) إسناد حسن . ولهذا مكروه أن يمشي الرجل بين المرأتين .

أيها الإخوة :

فلما رأى سيدنا موسى ضَعْفَ البنّتين وسمع عن كبر أبيهما رحم ضعفهما ونزع حجراً كبيراً كان على فوهة البئر ، يقول سيدنا عمر وكان لا يرفعه إلا عشرة فسقى لهما غنمهما ، ثم تولى إلى الظل تحت شجرة رآها خضراء ترف ، وهناك أعلن ضعفه وفقره وعبوديته فقال : ﴿رب إنني لما أنزلت إليّ من خير فقير﴾ / القصص : ٢٤ .

وهو صفوة الله من خلقه لم يأكل من أيام إلا البقل وورق الشجر ، وكان حافياً سقطت نعلا قدميه ، وقد لصق بطنه بظهره من شدة الجوع وإنه محتاج إلى شق ثمرة فنأدى بصوت أسمع المرأتين ﴿رب إنني لما أنزلت إليّ من خير فقير﴾ / القصص : ٢٤ .

فلم تمض إلا ساعات قليلة حتى جاءته إحداهما تمشي على استحياء ، لتسمع النساء الحرائر كيف تمشي الحرة ، على استحياء ، لم تلبس بنطلوناً ضيقاً ولم تكشف عن رأسها وساعديها ورجليها ، إن الحرة بنت الحر تمشي مثل ابنة سيدنا شعيب التي قالت بصوت خفيض وقد وضعت نظرها على الأرض : ﴿قالت : إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا﴾ / القصص : ٢٥ . واستعان سيدنا موسى بالله العظيم وعرف أن هذا فرج من الله تعالى ، فانقاد لأمره وسار مع الفتاة ، لم يسر وراءها بل قال لها : كوني من ورائي فإذا اختلف الطريق فاحذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق ، حتى قدم على سيدنا شعيب فأضافه وأكرمه فلما قص عليه ما كان من أمره بشّره بأنه قد نجا وقال له ﴿لا تخف نجوت من القوم الظالمين﴾ ، فعند ذلك قالت إحدى البنّتين لأبيها :

﴿يا أبت استأجره (الرعي غنمك ثم مدحته فقالت) إن خير من استأجرت القوي الأمين﴾ فقال لها : وكيف عرفت ذلك؟ فقالت : إنه رفع صخرة لا يرفعها إلا عشرة رجال ، وأمرني أن أسير وراءه ، وهنا قال سيدنا

شعيب : ﴿إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثمانى حجج فإن أتممت عشراً فمن عندك وما أريد أن أشق عليك ستجدني إن شاء الله من الصالحين﴾ / القصص : ٢٧ .

قال سيدنا موسى : ﴿ذلك بيني وبينك أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي والله على ما نقول وكيل﴾^(١) / القصص : ٢٨ .
وهكذا معشر السادة الكرام .

أجر سيدنا موسى نفسه بعفة فرجه وطعام بطنه ، فأى الأجلين قضى سيدنا موسى ؟ من منهما تزوج الصغرى أم الكبرى ؟ ماهو أهم حدث في حياة سيدنا موسى وأخيه سيدنا هارون ؟

أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

لا إله إلا الله

* * *

(١) - انظر أخبار سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام : ن : ١١٢٢٦ في الكبرى ٦ / ٣٩٦ - ٤٠٦ وابن جرير في التفسير ١٦ / ١٦٤ - الطحاوي في مشكل الآثار ١ / ٦ - ٧ - أبو يعلى ٨ / ٢٦ وتاريخ واسط ٧٨ - والسيوطي في الدرر ٣ / ٢٩٦ .

رسالة سيدنا موسى إلى فرعون

- ٣٨ -

الحمد لله الصبور الشكور العليّ الكبير السميع البصير العليم القدير الذي شملت قدرته كل مخلوق وجرت مشيئته في خلقه بتصاريف الأمور قدر مقادير الخلائق وأجالهم وكتب آثارهم وأعمالهم وقسم بينهم معاشهم وأحوالهم وخلق الموت والحياة ليلبّوهم أيهم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله جل عن الشبيه والنظير وتعالى عن الشريك والظهير فليس كمثله شيء وهو السميع البصير .
وأشهد أن سيدنا وحيينا وأميرنا وعظيمنا وقائدنا وقرّة أعيننا سيدنا محمداً عبده ورسوله وصفيه وخليله وخيرته من بريته وصفوته من خليقته وأمينه على وحيه ، أعرف الخلق به وأعلاهم عنده منزلة وأوسعهم عنده شفاعة .
اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً .
أما بعد فياحمّاه الإسلام وحراس العقيدة

كنت قد علقت معكم في الجمعة الماضية بعض الأسئلة حول المواقف الإيمانية التي وقعت لسيدنا موسى قولوا عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام ، وذلك عندما نزل ضيفاً على سيدنا شعيب في مدين على أطراف البحر الميت اليوم .
وأرجو من الله تعالى أن يوفقني لأجيب عنها ، وكان أول سؤال علّفته : «أي الأجلين قضى سيدنا موسى ، هل خدم سيدنا شعيباً ثمانين سنوات أم عشرة . من هي التي تزوجها سيدنا موسى الصغرى أم الكبرى»

ماهي القضايا الإيمانية المستنبطة من تلك المواقف؟
أيها الإخوة

إننا مع الحلقة الثامنة والثلاثين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ، ومع بداية هذه الحلقة أدعكم لترفعوا شعار التوحيد :

لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وخير مانستهل حلقتنا هذه تلاوة عطرة على الموجات الإيمانية من سورة القصص (٢٩- ٣٠) :

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

﴿فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله أنس من جانب الطور نارا قال لأهله امكثوا إني أنست نارا لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون . فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين﴾
أيها السادة :

قضى سيدنا موسى الأجل وهو مهر السيدة بنت شعيب ، قضاه عشر سنوات ، لأن الأنبياء يفعلون الأكمل والأفضل ، وقد روى أنه سئل نبينا الأعظم ﷺ : أي الأجلين قضى موسى . قال أوفاهما وأبرهما ، قال : وإن سئلت أي المرأتين تزوج . فقال ﷺ : الصغرى منهما . (البزار وابن أبي حاتم بسند ضعيف) أيو على ٢٤٠٨ - حا ٢ / ٤٠٧ - ابن جرير ٢٠ / ٤٤ - بز في كشف الأستار ٢٢٤٥ - والحميدي ٥٣٥ - مجمع الهيتمي ٨٧ / ٧ . ورواه خ موقوفاً على ابن عباس ٢٦٨٤ .

وبارك الله تعالى لسيدنا شعيب بماله وغنمه وإبله حتى كاد أن يلتهى بها عن العبادة فدعا الله تعالى ، وما أدراك مادعا ، طلب من الله تعالى أن يذهب عنه بعض ماله لكي يتفرغ للعبادة ، فأمره مولانا أن يأكل خبزاً يابساً في الطريق ، فلما أراد شعيب أن ينفذ الأمر الإلهي رأى أن الخبز اليابس

سيتساقط منه ذرات وقطع من الخبز على الأرض فماذا يفعل وهذه نعمة الله لا يجوز أن تهان وتلقى على الأرض؟ فوجد أن يضع مخللة في رقبته ، فكان يأكل الخبز اليابس ويتساقط في المخللة بعض قطع الخبز فلما كان يصل إلى بيته يجمع تلك القطع الصغيرة ويأكلها حفظاً على نعم الله تعالى ، فماذا كانت النتيجة؟ إذا بعدد الغنم يزيد أضعافاً مضاعفة فقال سيدنا شعيب يارب : طلبت منك أن تنقص لي من عددها فزدت عددها ، فأوحى الله إليه : يا شعيب كيف تريدني أن أذهب نعمتي عمن يحفظها ولا يضيعها . (أين الموحدون) .

وحين أراد سيدنا موسى أن يغادر إلى بلده مصر قام شعيب بتقديم هدية لصره وهدية لابنته ، أما هدية موسى فهي عصا غير عادية ، عصا يبدو أن سيدنا شعيباً أمر بتسليمها لسيدنا موسى ، ليهش بها على غنمه ، قال له سيدنا شعيب ادخل هذا المخدع وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك ، فلما دخل موسى الغرفة ومد يده لينتار إحداها ، إذ بعصا تشب إليه فتصير في يده ، فخرج بها فنظر إليها سيدنا شعيب وقال : ردها وخذ غيرها ، فردها موسى ، ثم أراد أخذ غيرها فوثبت إلى يده ، فعل ذلك مراراً وشعيب يقول له ردها . فقال له موسى : قد رددتها وكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي ، فعلم سيدنا شعيب أن ذلك أمر يريد الله فقال له خذها .

أيها السادة

تعالوا معي نر ما هذه العصا ومميزاتها فإن أكثر العلماء على أنها من أس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى ، وكانت ذات شعبتين وبنض أسنان الحديد في أسفلها ، وكان موسى إذا دخل مغارة ليلاً تضيء شعبتاها بمد البصر ، وكان إذا أعوزه الماء دلاها في البئر فيرتفع الماء ويفور من

قعر البئر فيستقي بها ، فإذا نزعها عاد الماء إلى قعر البئر ، وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق ، وكان إذا أراد عبور نهر من الأنهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق وبداله فيه طريق منفرج ، وكانت تقا تل أعداءه عنه ، وكان إذا تاه عن الطريق أنطقها الله تعالى فتقول له العصا : خذ جانب كذا وكذا ، وكان إذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه ، فعرف سيدنا موسى أن في تلك العصا قدرة ، وعرف أن لها شأنًا وأي شأن فهذه مآرب موسى فيها .

ثم قدم شعيب لابنته مقابل السنوات العشر ، التي هي المهر ، قدم لها كل شاة تلد بقاء (ملونه) في ذلك العام ، فلما أوردها سيدنا موسى الماء جاء الأمر الإلهي أن يضرب الماء الذي تستقي منه الأغنام ، فوقف بإزاء الحوض وضرب الماء وسمى الله تعالى عليها . فإذا بجميع الغنم التي كانت تلد مرة تلد مرتين غنماً بقاءً ملونة بإذن الواحد الديان .

ثم ساق سيدنا موسى كل ذلك الغنم وسار بجوار البحر الميت اليوم متوجهاً إلى مصر ، وحين وصل إلى طور سيناء في ليلة باردة مظلمة ، أضاعوا الطريق ، وهناك جعل موسى يريد أن يشعل ناراً ليدفع أهله ورعيانه فلم يستطع ، فبينما هو كذلك إذ أبصر من بعيد ناراً تأجج في جانب الطور . فقال لأهله : ﴿امكثوا إني أنست ناراً لعلني آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى﴾ / طه : ١٠ . وهذا كله سبب لينال موسى المكانة والخطوة عند الله بسماع كلامه القديم .

معشر السادة الكرام

اسمحو لي أن أنتقل بكم إلى هناك إلى جوار فلسطين الأسيرة فك الله أسرها ، وبالذات أقف بكم على جبل الطور في سيناء بجوار واد اسمه

طوى ، وأرى شجرة ترف أوراقها الخضراء عن عيني نبي الله موسى ، رآها شجرة تضطرم تحتها النار وتأجج وكلما اضطربت زادت خضرة تلك الشجرة ولعت أنوارها من خلال النار ، فوقف موسى متعجباً من هذا المنظر البهيج ، وهناك من تلك البقعة المباركة من الشجرة سمع صوتاً أتاه من كل النواحي لم يسمعه بأذنه فقط ولكنه سمعه بكل جزئية من جزئيات جسمه ، سمع صوتاً ماسمع مثله من قبل صوتاً ناداه :

﴿ يا موسى إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى وأنا اخترتك فاستمع لما يوحى . إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾ / طه : ١٢ - ١٤ .

افهموا هذه القضية الإيمانية إن الله لما كلم نبيه أزال الحجاب بينه وبين كلمته حتى أدرك كلامه القديم بجميع أعضائه من جميع الجهات ثم رد عليه الحجاب ، وليس المعنى أنه كان ساكناً ثم تكلم ولا أنه انقطع كلامه بعد أن رد عليه الحجاب ، لأن كلامه تعالى قديم باق لا ينقطع ، احفظوا هذه القضية الإيمانية تماماً : كلام الله تعالى قديم باق لا ينقطع ، ولا تقولن كيف سمع موسى كلام الله تعالى القديم ، اسمع الجواب بهذا الأثر الوارد فإن مولانا قال لسيدنا موسى جعلت فيك عشرة آلاف سمع حتى سمعتني ، وعشرة آلاف لسان حتى كلمتني وأقرب ما تكون مني وأحب ما تكون إلي إذا صليت على حبيبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .

وخر سيدنا موسى على الأرض من شدة خشية الله تعالى ومرت عليه الدقائق وكأنها ليست من الدنيا ، وحين أصابت موسى الجلالة والمهابة خاطبه مولانا مؤنساً له وراحماً ضعفه فقال :

﴿ وماتلك بيمينك يا موسى ﴾ / طه : ١٧ : أما هذه هي عصاك التي تعرفها منذ صحبتها ﴿ قال : هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ ، بل هذه عصاي التي أعرفها وأتحققها ، وجاء الأمر

الإلهي ﴿ألقها يا موسى ، فألقاها فإذا هي حية تسعى﴾ / طه : ٢٠ / بإذن الله القادر المقتدر .

كانت على حجم العصا ثم تورمت وانتفخت حتى صارت ثعباناً عظيماً في سرعة الجان وهي بنت الحية ، وصارت شعبتها شديقين لها ، وعليها عرف يهتز ويلمع وعيناها تتقدان كالنار .

إنه ليس تخيلاً ولا وهماً ولا سحراً بل حقيقة وأمر خارق عظيم وبرهان قاطع على أن الذي يكلمه هو الله رب العالمين الذي يقول للشيء كن فيكون .

وهرب موسى من هول ما رأى ، وماذا رأى اسمعوا البيان الإلهي ﴿فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب﴾ (ولم يلتفت) . وناداه مولانا ﴿يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الأمنين﴾ / القصص : ٣١ / . ﴿خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى﴾ / طه : ٢١ / . وتقدم موسى إلى الثعبان فما هو إلا أن وضع يده على ذنبها حتى عادت عصا بإذن الله ، وكانت الحكمة في أمر الله تعالى إياه بإلقاء العصا قبل أن يصل إلى فرعون لكيلا يفرغ منها موسى إذا رآها على تلك الحالة عند فرعون .

ثم أتى البرهان الثاني والمعجزة الثانية : إن الله أمره أن يدخل يده في جيب صدره الأيسر : ﴿اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء﴾ / القصص : ٣٢ / . فأخرج موسى يده فإذا هي تتلألأ ولا برص ولا أذى فيها فهابها موسى ، فقال له مولانا ﴿اضمم إليك جناحك من الرهب﴾ / القصص : ٣٢ / ، ضع يدك على فؤادك وأعد يدك تسكن رهبتك وتعد كما كانت . ثم زوده مولانا بتسع آيات إلى فرعون لأنه طغى وجاوز الحد في العصيان والتمرد ، قال له :

يا موسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطلق برسالتني وإنك بعيني وسمعي وإن معك يدي وبصري ، وإنني ألبسك حلة من سلطاني تستكمل

بها القوة في أمر بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي ، بطر نعمتي وأمن مكري حتى جحد حقّي ، وأنكر ربوبيتي ، وإنّي أقسم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار ، فبلغه رسالتي وادعاه إلى عبادتي وتوحيدي وحذرته نقمتي ، وقل له قولاً ليناً ، وأخبره أن ناصيته بيدي ولا يتنفس إلا بعلمي إنّي أنا الله رب العالمين . وأخبره أنني إلى المغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة ، وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة ، وقد أمهلك في طول المدة وأنت في كلها تدعي الربوبية دونه ، وتصد عن عبادته ، وهو في كل ذلك يطر عليك السماء وينبت لك الأرض ، وسلمك للعافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ، ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم إنّي أنا الله رب العالمين ، يغضب لغضبي السموات والأرض والبحار والجبال والشجر والدواب ، فلو أذنت للسموات لحصبته وللأرض لابتلعته وللجبال لدكته وللبحار لغرقته ، ولكن وسعه حلمي وأنا الغني عنه وعن جميع خلقي ، وحق ذلك لي ، وأنا خالق الغنى والفقر لا غني إلا من أغنيته ولا فقير إلا من أفقرته .

ثم جاءه التكليف الإلهي والسفارة الإلهية بمهمة إيمانية على الموجات العاملة من سورة طه :

﴿واصطنعتك لنفسي (اصطفيتك واجتبتك رسولاً لنفسي : لذاتي) اذهب أنت واخوك بأياتي ولا تنيا في ذكري (لا تبطأ في ذكري) اذهباً إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى .

قالا : ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى قال : لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴿ / طه : ٤٦ .

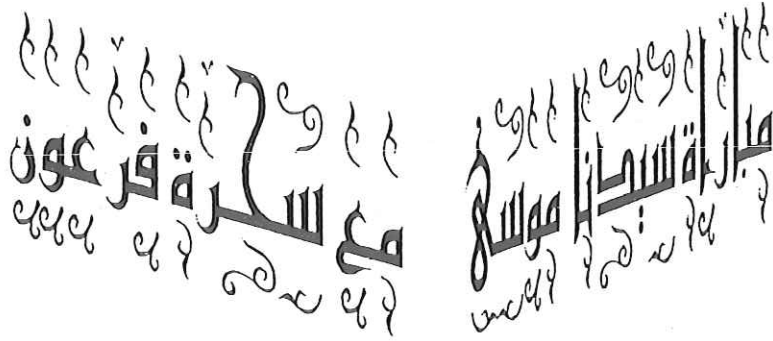
فأتياه فقولا إنا رسولا ربك فأرسل معنا بني اسرائيل ولا تعذبهم قد جئناك بأية من ربك والسلام على من اتبع الهدى . إنا قد أوحى إلينا أن العذاب على من كذب وتولى ﴿ / طه : ٤٨ .

لا تخافا إني معكما أسمع كلامكما وكلامه ، وأرى مكانكما ومكانه ، ولا يخفى عليّ من أمركم شيء ، واعلما أن ناصيته بيدي فلا يتكلم ولا يتنفس ولا يتحرك إلا بعلمي وبأمرى ، أنا معكما بحفظي ونصري وتأيدي .

معكما بذاتي وصفاتي ، معكما أسمع وأرى ، سمع وبصر ليس كسمع وبصر المخلوقات لأن الله ليس كمثل شيء وهو السميع البصير .
سميع بصير : سمع وبصر قديان ليس كسمعنا وبصرنا المخلوقين ، مولانا يسمع ويبصر بدون آله ولا أذن وجارحة ولا حدة لأنه تعالى ليس مجسماً ولا مركباً ، (وحدوا الله) .

أيها الإخوة الكرام

وحين رد الله الحجاب بينه وبين كلمه نظر موسى إلى الجبل فإذا هو قد صار ياقوته من عقيق ، وألبس موسى حلة نور وشيعته الملائكة .
نزل إلى أسفل الجبل فوجد أهله قد أخذهم الرعيان وعادوا بهم إلى سيدنا شعيب لما تأخر موسى ، وكان قد بقي فيه سبعة أيام والله أعلم .
فإلى أين اتجه سيدنا موسى؟ هل اتجه إلى تنفيذ الأوامر الإلهية أم اتجه إلى شعيب ليبشره بالبشارة ببعثه نبياً ورسولاً؟ ماهي الأحداث الهامة التي جرت له ولأخيه سيدنا هارون؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .



الحمد لله مجلي السماء ببديع المصاييح ، ومغذي الملائكة بحلاوة التسبيح ، الذي شهدت بتوحيده عجائب المصنوعات ، ونطقت بتحميده غرائب المبدوعات ، وسبح له الخلق باختلاف اللغات ، فسبحان من لا يساويه أحد في الأرض ولا في السموات . أحمدته سبحانه وتعالى وأشكره على أفضاله ونعمه السابغات .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترفع قائلها في الجنة أعلى الدرجات .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أرسله من أرجح العرب ميزاناً وأوضحها بياناً وأعلاها مقاماً وأحلاها كلاماً وأوفاهها ذماماً ، فأوضح الطريقة ونصح الخليقة وشهر الإسلام ، وكسر الأصنام وأظهر الأحكام وحذر الحرام . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه البررة الكرام وعلى أزواجه وذريته في كل محفل ومقام ، وسلم تسليماً .

معشر السادة الكرام :

مازلنا ننزل ضيوفاً على نبين ورسولين من رسل بني إسرائيل هما سيدنا موسى وسيدنا هارون ، سيدنا هارون الذي أتته الرسالة بناء على طلب سيدنا موسى ، فقد أوحى الله إلى أخيه هارون ليبشره بقدوم موسى ويخبره

أنه قد جعله وزيراً له ورسولاً معه إلى فرعون .

إننا - أيها الأخوة مع الحلقة التاسعة والثلاثين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية أستعرض على حضراتكم موجز الأنباء الإلهية على الموجات العاملة من سورة الشعراء :

﴿وإذ نادى ربك موسى أن أثت القوم الظالمين ، قوم فرعون ألا يتقون . قال رب إنني أخاف أن يكذبون ويضيق صدري ولا ينطلق لساني فأرسل إلى هارون . ولهم علي ذنب فأخاف أن يقتلون . قال كلا ، فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون . فأتيا فرعون فقولا إنا رسول رب العالمين . أن أرسل معنا بني إسرائيل﴾ / الشعراء : ١٦ / .

ونزل سيدنا موسى من على جبل الطور فوجد أن أهل بيته قد عادوا مع الرعيان إلى سيدنا شعيب في مدين - فتركهم وتوجه تلقاء مصر فأتاها ليلاً ونزل ضيفاً على أمه وأخيه اللذين لم يعرفاه من شدة النور الذي كان في وجهه حتى أخبرهما ، وضمت الأم ولدها إلى صدرها وأسرعت كلثم أخت موسى فضمت أخاها أيضاً وفرحت به ، فدعاهما إلى الإيمان بالله تعالى فأمنا مباشرة ، وحين علمت الأم أن ولديها قد أرسلوا إلى فرعون الطاغية صاحت صيحة خوف ووجل على ولديها ، لكنهما طمأنها بأنهما مؤيدان من قبل الواحد الأحد الذي لا يخشى أحدا .

وكان تنفيذ الأمر الإلهي فوراً لم يتأخرا ولم يبطئا فانطلقا ليلاً والتمسا الدخول عليه وسألهما بواب القصر : من أنتما؟ فقالا : قل لفرعون إنا رسولا رب العالمين . ففزع البواب ودخل على مولاه . وقال له : إن ههنا مجنونين يزعمان أنهما رسولا رب العالمين . قال : أدخلهما .

معشر السادة الكرام :

اسمحوا لي أن أنتقل بحضراتكم إلى هناك ، إلى مصر إلى مقر فرعون

الذي أرغى وأزبد وجن جنونه وأيقظ من في القصر جميعاً حتى زوجته السيدة آسية بنت مزاحم ، وقامت قائمة القصر عندما وضع موسى رجله على أول درجة منه وما إن صعد لها حتى بدأ يلهج بالدعاء وقال : لا إله إلا الله الحليم الكريم ، لا إله إلا الله العلي العظيم ، سبحان رب السموات السبع والأرضين السبع وما بينهن ورب العرش العظيم ، وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين ، اللهم إني أدرك بك في نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكففه بما شئت . فلما نطق موسى بهذه الكلمات النورانية تحول ما في قلبه من الخوف أمناً وطمأنينة ، وصدق الله العظيم ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ / : / .

معشر السادة

وأقبل الجبار الطاغية وسيما الغضب على وجهه ، وراح فرعون يتأمل خصمه حتى عرفه فقال له : أأنت أنت موسى ﴿ألم نريك فينا ولداً ولبتنا فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التي فعلت وأنت من الكافرين﴾ / الشعراء : ١٨ - ١٩ / (الآن تخرج عن ديننا وتكفر بنا) فقال سيدنا موسى مباشرة :

﴿فعلتها إذن وأنا من الضالين (المخطئين) ففررت منكم لما خفتكم فوهب لي ربي حكماً وجعلني من المرسلين﴾ / الشعراء : ٢١ / ثم انعطف على فرعون يقول له : ﴿وتلك نعمة تمنها علي أن عبدت بني إسرائيل﴾ / الشعراء : ٢٢ / هذه النعمة التي ذكرت من أنك أحسنت لي وأنا رجل واحد مقابل ما اتخذت منهم عبيداً تنتزع أبناءهم من أمهاتهم ، تترك من شئت وتقتل من شئت . هذا مانسميه بالفطنة التي يتصف بالمرسلون : الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة) وهي إقامة الحجة على خصوم الدعوة ومجادلتهم وقمعهم ، وإليك هذه المناظرة التي جرت بين موسى وبين عدو الله فرعون أذيعها على حضراتكم من سورة الشعراء :

﴿قال فرعون ومارب العالمين قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين ، قال لمن حوله ألا تستمعون قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون قال : رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون﴾ / الشعراء : ٢٨ / .

وعلى الموجات العاملة من سورة طه جانب آخر من هذه المناظرة التي قطع فيها موسى حجة فرعون الواهية فما هي هذه الحجة التي ذكرها فرعون وكيف كان رد كليم الله عليهم ، اسمعوا بعد أن توحّدوا الله تعالى :

(﴿قال فمن ربكما يا موسى قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى . قال فما بال القرون الأولى﴾ هذه حجة فرعون التي أراد أن يظهر موسى بأنه عاجز عن الإجابة عن هذا السؤال ، لأن فرعون قال لموسى :

إذا كان ربك هو الخالق المقدر الهادي للخلائق لما قدره ، وأنت تقون بأنه لا يستحق العبادة سواء ، فلم عبد الأولون غيره وأشركوا به من الكواكب والأنداد ما قد علمت ، فهلا اهتدى إلى ربك القرون الأولى ، واسمعوا كيف أزال موسى هذه الشبهة التي احتج بها فرعون قال له موسى ﴿علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ ، إن الأولين وإن عبدوا غيره فليس ذلك بحجة لك ، ولا يدل على خلاف ما أقول لأنهم جهلة كفره مثلك ، وكل شيء فعلوه في الزبر ، وكل صغير وكبير مستطر وسيجزئهم على ذلك رب البشر الذي لا يضيع مثقال ذرة ، لأن جميع أفعال العباد مكتوبة عنده في كتاب لا يضل ولا ينسى ﴿الذي جعل لكم الأرض مهذاً ولسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهي . منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾ / طه : ٤٩ - ٥٥ / .

هذه هي الحجة البالغة القاطعة التي آتاها الله رسوله الكرام على

خصومهم ولهذا علينا أن نشهد لهم بالفطنة كما أنه علينا أن نحفظ أن صفاتهم الواجبة الصدق والأمانة والتبليغ والفطنة .

معشر السادة الكرام

ورفض فرعون أن يقتنع بالدليل العقلي الذي جاءه به سيدنا موسى فقال له ﴿أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾ تعرف به صدقي وأنتك من الكاذبين قال فرعون ﴿فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ / الشعراء : ٣٠ - ٣١ / .

وهنا ألقى سيدنا موسى أول معجزة له ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾ / الشعراء : ٣٢ / فتح فمه واضعاً أسفل فمه على الأرض ورأسه تحت أقدام فرعون ، فذعر الناس ووثب الإله المزعوم عن عرشه وبال بثوبه لساعته ، إله يبول من شدة الذعر وهو لا يصدق ما يرى ، وامراته على طرف باب القاعة ترقب ما يجري ، لما رأت هذا المنظر صرخت : أشهد أن إلهك حق يا موسى فماذا عن الإله المذعور الذي ملأ البول سرواله ؟ هاهو ينادي ويصيح : يا موسى أنشدك بربك وحرمة الرضاع إلا أمسكتها عني ، فمد سيدنا موسى يده إلى الثعبان وأمسكه من بين شذقيه فانقلب عصاً بإذنه ﷻ تعالى .

وانهار فرعون على كرسيه ، وظن موسى أنه قد استسلم هو وحاشيته ووزيره هامان لكن الإله المزعوم بقي عنده ذرة من شك ، فلما رأى موسى الشك عنده نزع يده من صدره فإذا هي بيضاء للناظرين ، ولها نور تكل عنه الأبصار وتضيء ماحولها حتى لم يستطع فرعون النظر إليها ، ثم ردها إلى جيب صدره ، ثم أخرجها فإذا هي على لونها الأول .

وهنا هم فرعون بتصديقه غير أنه نظر إلى هامان يستشيريه فقال وزير السوء : يا مولاي قد كان ظني بك خيراً من هذا بينما أنت إله تعبد إذ أنت تصوير تابعاً لعبد ، فاطلب منه مهلة نفكر بالأمر .

فقال فرعون لموسى أمهلني اليوم وغداً فقال سيدنا موسى إن ربي

أوحى إليّ أنك إن أمنت به وحده عمّرتك في ملكك ورددتك شاباً طرياً وأبقيتك حاكماً للبلاد . ﴿والسلام على من اتبع الهدى﴾ / طه : ٤٧ .

معشر السادة :

قضى فرعون ليلته وهو يفكر بكلام سيدنا موسى ، وكلما بدا له تصديقه نفخ فيه وزير السوء وجعله يعدل عن اقتناعه ، فقال فرعون ولكنه وعدني أن يردني شاباً طرياً فقال هامان : أنا أردك شاباً . فأتى له بصباغ فخضب شعره بالسواد . ثم اتفقت كلمة الكفرة على أن يتهموا موسى بالسحر بما جاءهم به ، وهذا الاتفاق سطره مولانا في كتابه على موجات سورة الشعراء ﴿قالوا أرجه وأخاه وابعث في المدائن حاشرين . يأتوك بكل سحارٍ عليم﴾ / الشعراء : ٣٧ .

وحين دخل سيدنا موسى عليه ابتداء فرعون بقوله ﴿أجئتنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى . ما هذا إلا سحر مفترى وما سمعنا بهذا (الذي تدعون إليه) في آبائنا الأولين﴾ .

وهنا أجابه موسى فقال : ﴿ربي أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار إنه لا يفلح الظالمون﴾ / القصص : ٣٧ .

قال فرعون : ﴿فلنأتينك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً لا نخلفه نحن ولا أنت مكاناً سوى . قال : موعدكم يوم الزينة وأن يحشُر الناس ضحى﴾ / طه : ٥٩ .

معشر السادة الكرام

اختار سيدنا موسى المناظرة مع السحرة في يوم الزينة ، وكان عيداً من أعيادهم ومجتمعاً لهم ، واختار الوقت وقت اشتداد ضياء الشمس ، ليكون الحق أظهر وأجلى ، لا في الصباح الباكر حيث لا يكون الجمع قد غادروا

البيوت ، ولا في الظهيرة فقد يعوقهم الحر ، ولا في المساء حيث يمنعهم الظلام من التجمع أو من وضوح الرؤية .

وجاء اليوم الموعد ، وهنا سترى العجب : من كان الله معه لا يخيب سعيه ، من كان الله معه لا يضل سؤله ، من كان الله معه لا تزل قدمه ، من كان الله معه قال له الله تعالى أنا سمعك الذي تسمع به وبصرك الذي تبصر به ولئن سألتني لأعطينك ولئن استنصرتني لأنصرنك .

معشر السادة :

إن السحرة قبل أن ينزلوا إلى الميدان إذا برئيس السحرة يقول لأتباعه : ليذهب أحدكم إلى هذا الذي معه العصا ، ويسرقها منه ، فإن استطاع أن يسرقها منه فهو ساحر ، وإن لم يستطع أن يسرق العصا فهو نبي مؤيد بالحق من ربه .

إن سيدنا موسى نائم الآن في ليلة سيكون لها مابعدا ، وإذا بأحد السحرة يقترب منه وبجانبه عصاه ، إنها ليست عصا من البنوس أو كعصا الماريشالية ، إنما هي عصا كعصا الرعاة إلا أن الله أودع فيها الإعجاز لأن هذا السارق للعصا لما حاول أن يسرقها انقلبت العصا ثعباناً فجرى أمامها الساحر ، ورفع تقريره إلى سيده فقال سيده : أيتها السحرة إن هذا نبي فإذا مألقت عصاه غداً فلا بد أن تؤمن بربه مهما كان الثمن .

﴿وجاءت سحرة فرعون﴾

إن موسى وهارون يقفان الآن وحدهما أمام آلاف الجماهير وأمام السحرة المهرة الذين احتشدوا في هذا الميدان ، هذه الآيات أنقلها لحضراتكم من الموجات العاملة في سورة الأعراف :

﴿وجاء السحرة فرعون قالوا : إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين ، قال

نعم وإنكم لمن المقربين ﴿ الأعراف : ١١٤ / ، وهنا تقدم سيدنا موسى الى السحرة وراح يزجرهم عن تعاطي السحر الباطل ﴿ قال لهم ويلكم لا تفتروا على الله كذباً فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى ﴿ طه : ٦١ / .

فاختلف السحرة فيما بينهم وقال عنهم مولانا : ﴿ فتنازعوا أمرهم بينهم قالوا : إن هذان لساحران يريدان أن يخرجاكم من أرضكم بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثلى فأجمعوا كيدكم ثم اتوا صفافاً وقد أفلح اليوم من استعلى ﴿ طه : ٦٤ / .

وبدأت المباراة الحاسمة فعلى الموجات العاملة في سورة طه :

﴿ قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن نكون أول من ألقى ، قال : بل ألقوا ﴿ طه : ٦٦ / .

أذكركم - أيها السادة - أننا الآن في وقت الضحى ، ﴿ فآلقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ﴿ الشعراء : ٤٤ / ، أقسموا بعزة من لا عز له ، أما مولانا فقد وصف حال موسى وشأنه فقال : ﴿ فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ﴿ طه : ٦٦ / .

ووصف الله حال الناس وشأنهم فقال : ﴿ سحرُوا أعين الناس واسترهبوهم ﴿ الأعراف : ١١٦ / .

ذلك أن السحرة وعددهم اثنان وسبعون ساحراً لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها الزئبق ليوهموهم بالحركة ، فالسحر لا حقيقة له إنما هو تخیلات في الحواس وأوهام في القلب ، السحر لا يقلب حقائق الأشياء ، لذلك هناك فرق بين المعجزة وبين السحر ، أريدكم أن تفهموا اليوم هذه القضية الإيمانية نحن أمام خوارق سبع :

أولها ، المعجزة تقلب حقائق الأشياء هي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ليرهن الرسول على صدق دعواه .

وثانیهما الإرهاص تظهر قبل النبوة كتظلیل الغمام وسلام الشجر والحجر علی نبینا الأعظم ﷺ .

وثالثها الکرامة تظهر علی ید عبد ظاهر الصلاح وهو الولی الذی یواظب علی الطاعات المجتنب للمعاصی .

ورابعها : المعونة وتظهر علی ید العوام المستورین تخلیصاً لهم من شدة .
خامسها : الاستدراج وهو أمر خارق یظهر علی ید فاسق أو کافر خدیعة له ومکراً .

سادسها : الإهانة وتظهر علی ید العبد تکذیباً له كما فعل الله ﷻ بمسیلمة الکذاب ، جیء إلیه بأعور وقیل له إن محمداً تفل بعین أعور فأبصر ، فتفل مسیلمة الکذاب فی عین الأعور لتبرأ فعمیت عینه الصحیحة .

سابعها : السحر وهو فعل أشياء أو تخیلها بطلاسم موهمة وهو فسق أو کفر ، ومنه الشعوذة وهي خفة الیدین بحیث یظهر الشیء حقیقة ولیس كذلك ، تبقى العصا عصا والحبال هی الحبال ولكن یخیل إلی من ینظر إلیها أنها تسعى ولذلك اسمع إلی قول مولانا عز وجل : ﴿ فلما ألقوا سحروا أعین الناس ﴾ /الأعراف : ١١٦/ ، العیون ترى الأشياء وكأنها هی والحقیقة أنها أوهام ولذلك سیدنا موسى قال کلمة عندما رأى ما فعلوا اسمعوها :

﴿ قال موسى : ما جئتم به السحر إن الله سیبطله إن الله لا یصلح عمل المفسدین ﴾ /یونس : ٨١/ .

فماذا کان بعد أن امتلأ المیدان بحبال السحرة وعصیهم ، ماهی الحالة النفسیة لسیدنا موسى ، إن مولانا قال عنه :

﴿ فأوجس فی نفسه خیفۃ موسى ﴾ ، فأزال الله عنه ذلك الخوف وأوحى إلیه : ﴿ قلنا : لا تخف إنک أنت الأعلى ﴾ /طه : ٦٧-٦٨/ .

﴿ لا تخف إن الله معنا ﴾ ، ﴿ إنا لننصر رسلنا والذین آمنوا ﴾ ، الله

أكبر لو أن رجال اليوم يتمنعون في هذا الكلام ويفهمونه ويعلمون أن من ينصر
الله ينصره . ليسمع هؤلاء إن رب العالمين خاطب موسى : ﴿ قلنا لا تخف
إنك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ماصنعوا إنما صنعوا كيد ساحر
ولا يفلح الساحر حيث أتى ﴾ / طه : ٦٩ .

لم يقل له ألق عصاك ، بل قال : ألق ما في يمينك ، ولا تعجب إذا كان
ما في يمينك عصا فإن العصا إذا نظر الله إليها بعين العناية حركت الجبال
وسيرت العوالم .

وإذا استمعنا إلى موجات سورة الأعراف : ﴿ وأوحينا إلى موسى أن
ألق عصاك ، فإذا هي تلقف ما يأفكون ﴾ / الأعراف : ١١٧ / تبتلع كل ما وضع
أمامها من العصي والجبال ، فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون وغلبوا هناك
وانقلبوا صاغرين وتأملوا كلمة وقع ، فإن نتيجته مذهلة ، اسمعوا النتيجة :
﴿ وألقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب
موسى وهارون ﴾ / الأعراف : ١٢٢ .

إنها عظمة الله ، نور الله يجعل الكافر ولياً ، لو اعتمدنا على الله
وتوكلنا على الله وسرنا وراء سيدنا محمد رسول الله ﷺ لهدانا الله ولزالت
الغمة عن هذه الأمة من شرقها إلى مغربها وفتحنا العالم أجمع .

ألقي السحرة ساجدين ، لمن ؟ لفرعون ؟ لا . بل لرب العالمين ، رب من ؟
رب موسى وهارون ، إن الإيمان أيها الشباب إذا باشرت بشاشته شغاف القلب
يفعل الأعاجيب ، كانوا أول النهار كفاراً سحرة فأمسوا آخره شهداء برة .

﴿ قال فرعون : أمنتكم له قبل أن أذن لكم ﴾ في سورة طه والشعراء .

وفي الأعراف : ﴿ أمنتكم به قبل أن أذن لكم إنه لمكرم مكرموه في
المدينة لتخرجوا أهلها فسوف تعلمون ﴾ / الأعراف : ١٢٣ .

وفي الشعراء : ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون﴾ .
وفي طه : ﴿إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلاقطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أننا أشد
عذاباً وأبقى﴾ / طه : ٧١ .

قال : أنتم به ... أنتم له . أنتم به : أي صدقتم بما جاء به . أنتم
له : استسلمتم له وخضعتم لما رأيتم منه . أنتم له قبل أن أذن لكم : وهل
الإيمان يحتاج إلى إذن؟!!

فلاقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف : يد يميني ورجل يسرى . فماذا
قال السحرة؟

كانوا في الصباح يقولون : بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون ، وقبل أن
تغيب الشمس في رحاب الأفق قالوا : لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات
والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض .

والذي فطرنا : قسم (﴿فاقض ما أنت قاض﴾ ، لا تقتصر على قطع
الأيدي والأرجل ، افعل ما تشاء ﴿إنما تقضي﴾ تعيش هذه الحياة الدنيا
الحقيرة ، إنا أمانا برينا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر﴾ .
وإذا قلت : ولتعلمن أننا أشد عذاباً وأبقى . فنحن نقول لك : ﴿والله
خير وأبقى﴾ / طه : ٧٢ - ٧٣ .

كانوا في الصباح سحرة كفرة ، وقبل غروب الشمس أمسوا شهداء
بررة ، وانتهت المباراة ، وانتصر الحق وبطل ما كانوا يعملون .

معاشر السادة :

أعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد
الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

تذكر عزيزي الموحّد:

- الرسول الثاني عشر : سيدنا أيوب
- الرسول الثالث عشر : سيدنا ذو الكفل
- الرسول الرابع عشر : سيدنا شعيب
- الرسول الخامس عشر : سيدنا يونس
- الرسول السادس عشر : سيدنا موسى
- الرسول السابع عشر : سيدنا هارون
- المرض الذي كان بسيدنا أيوب هو الإقعاد في الفراش وابتلاؤه بفقد أولاده وأمواله وهجران أصحابه إياه ، لأن الأنبياء لا يصابون بمرض منفرّ .
- أرسل سيدنا شعيب إلى أهل مدين وعاش ٢٥٤ .
- ذو النون هو سيدنا يونس ومعناه صاحب الحوت .
- أرسل سيدنا يونس إلى أهل نينوى في الموصل .



برسالة سيدنا موسى

- ٤٠ -

الحمد لله رب العالمين الذي رفع منازل المخلصين . وتجلى
بالرضوان على المطيعين والمحسنين ، أحمدته حمداً المنيين إليه وأشكره
شكر المعتمدين عليه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له القائل ﴿وما أمروا إلا
ليعبدوا الله مخلصين له الدين﴾ .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المرسل رحمة للعالمين .

اللهم صل وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الهداة
المهتدين ، وسلم تسليماً .

أما بعد :

كانت المباركة الإيمانية التي جرت بين فريق الإيمان الموسوي وفريق
القبط الفرعوني لها أكبر الأثر في إيمان بني إسرائيل ، وخاصة بعد إيمان
السحرة ، ولم يؤمن من القبط إلا ثلاثة السيدة آسية بنت مزاحم زوجة
فرعون ، وماشطتها ، ورجل من حاشية الملك ، آمنوا سرّاً ولم يعلنوا ذلك أمام
أحد ، وأما بقية القبط فلم يزدتهم ذلك الموقف إلا كفرّاً وعناداً وبعداً عن
الحق ، بل إنهم حينما رأوا غلبة موسى على السحرة عقد فرعون معهم

اجتماعاً طارئاً جمع فيه زبانيته ومستشاريه .

معشر السادة :

إننا مع الحلقة الأربعين من سلسلة القضايا الإيمانية من جامع الدرويشية ومع هذه الحلقة أنتقل بحضراتكم إلى هناك إلى مصر التي بدأت المعارك الإيمانية تدور في ساحاتها . ثم أنتقل بكم إلى مقر فرعون الذي أرى الاضطراب بادياً على محيا الإله المزعوم ، وأرى وزير السوء هامان ينفخ فيه هو وحاشيته ، واسمعوا نفخات إبليس من الحاشية سطرها القرآن الكريم على الموجات العاملة من سورة الأعراف :

﴿وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويدركوآلهتكم (وعبادتكم) قال : سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم وإننا فوقهم قاهرون﴾ /الأعراف : ١٢٧/ .

واسمعوا كيف انقلب الطاغية واعظاً ومذكراً : ﴿وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه ، إنني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ /غافر : ٢٦/ .

وهنا برز من بين أعضاء الاجتماع الطارئ رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم إيمانه خوفاً منه على نفسه ، فلما هم فرعون لعنه الله بقتل موسى وعزم على ذلك وشاور ملأه فيه خاف هذا المؤمن على موسى ، فتلطف في رد فرعون بكلام جمع فيه الترغيب والترهيب على وجه المشورة والرأي ، واسمحوالي أن أعرض على حضراتكم هذا الموقف الإيماني الذي يشع من جنباته الإخلاص في الدعوة إلى دين الله تعالى ، اسمعوا كيف يخاطب الداعية الطواغيت والمتجبرين :

﴿وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتنم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول

يكن صادقاً يصبكم بغض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب يقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض (أي عالين على الناس حاكمين عليهم) فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا ﴿ يحذرهم أن يسلبوا هذا الملك العزيز فإنه ماتعرضت الدول للدين إلا سلبوا ملكهم وذلوا بعد عزهم ، لأن الذي ينصر الدين هو الله ، وكل حاكم يحاول أن يمس دين الله بسوء سلبه الله تعالى حكمه وملكه كما وقع تماماً لفرعون .

وانتبهوا معي إلى هذه النبرة الجميلة الهادئة لمؤمن آل فرعون :

﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ويأقوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعوني إلى النار ، تدعوني لأكفر بالله وأشرك به ماليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار . لا جرم إنما تدعوني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار . فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله ، إن الله بصير بالعباد﴾ / غافر : ٣٨ - ٤٤ / .

هذه النبرة الهادئة لمؤمن آل فرعون جعلت فرعون يلتفت إلى وزيره هامان ، فماذا طلب منه فرعون؟ اسمعوا الطلب وتعجبوا منه :

﴿وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات (أبوابها) فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً﴾ / غافر : ٣٦ - ٣٧ / .

وهكذا انفض الاجتماع الطارئ على أن يبنى الوزير قصرًا منيفاً مرتفعاً من الأجر المشوي بالنار ، وانتبهوا إلى هذه القضية :

إن فرعون لما ادعى الربوبية واعتقد الجهة لله تعالى قال : ﴿يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى﴾ /

غافر : ٣٦ / ، فماذا كان رد ربك على هذا السفیه صاحب الرأي السخيف؟ رد عليه فقال :

﴿وكذلك زين لفرعون سوء عمله﴾ / غافر : ٣٧ .

وقبل أن أُلج معكم سرادقات الزمن الممتد إلى الماضي أريد أن أطرح عليكم قضية إيمانية تتعلق بهذا الموقف الذي وضع فرعون نفسه فيه فادّعى أن لله جهة وأن جهته في السماء ، وهذه القضية قضية حصر الإله في جهة ليست جديدة لأن بعض الناس اليوم أسرفوا على أنفسهم فخاضوا في هذا القول ، وأتوا في حديثهم بما لم يأذن به الله ، وأتوا بألفاظ غامضة تحتمل الكفر والإيمان لأنهم تصوروا الذات الإلهية جسمًا له جهة ، وراحوا يستدلون على رأيهم الفاسد بظواهر آيات من القرآن ، بل إنهم أضلوا الناس ونقلوا لهم أن الله في السماء ، وأنه يشار إليه بالبنان ، وأسندوا ذلك إلى سلفنا الصالح وخيلوا إلى الناس أنهم سلفيون ، وأن ملولنا من الجهات الست جهة الفوق بل صرح بعضهم أنه في السماء حقيقة ، تمامًا كما ظن فرعون الطاغية ، وأما عقيدتنا فهي أن الله تعالى لا يحل في مكان ، وليس محتاجاً إلى زمان ، ولا متحيزاً بجهة ، فلو وجب اختصاصه تعالى بالجهة لكانا محتاجاً إليها ، وذلك يقدر في كونه تعالى غنياً عن كل شيء يفتقر إليه كل شيء .

إن العلم يحدثنا أن الجهات أمور نسبية فما هو فوق بالنسبة إلينا يكون تحت بالنسبة لجهة الكرة الأرضية تحتنا ، ولذلك رد الله على الجهمية فقال ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ / البقرة : ١١٥ .

واسمعوا معي إلى الإمام الأعظم أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه يقول : من قال لا أعرف الله في السماء هو أم في الأرض فقد كفر ، لأن هذا يوهم أن للحق سبحانه مكاناً ، ومن توهم أن للحق مكاناً فهو مشبه .

أيها السادة :

انتقل بحضراتكم الآن إلى غرفة أخرى في قصر فرعون ، إلى موقف

إيماني آخر أعرضه عليكم لأهميته إنه مشهد بسيط نراه في بيوتنا مرات ومرات ، ولأننا مؤمنون ولله الحمد لا نلتفت إلى مغزاه الإيماني ، أرى بنت فرعون وماشطتها تمشط لها شعرها ، فيقع المشط على الأرض ، فتمد الماشطة يدها إليه لترفعه على الأرض وتقول : بسم الله .

إنها كلمة عظيمة ذات مدلول كبير لكننا لا نلتفت إليه كثيراً لأن الإيمان شعشع في جوانب حياتنا - ولله الحمد - أما ابنة فرعون فقد انتبهت للمعنى ، وما هو هذا المعنى ، إن نبينا الأعظم ﷺ دلنا على هذا المعنى فقد روي : « كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أتر أو أقطع أو أجزم » الخطيب - الرهاوي بسند ضعيف والمعنى على كل الألفاظ أنه ناقص وقليل البركة ، إن قلتها في نحو الأكل انتفى قلة انتفاع الجسم به ، وإن قلتها في نحو القراءة دلت على انتفاع القارئ ، وإن قلتها في نحو التأليف انتفى قلة انتفاع الناس به ، وهكذا وروي أنها لما نزلت هرب الغيم إلى المشرق وسكنت الرياح وهاج البحر وأصغت البهائم بأذانها ، ورجمت الشياطين ، وحلف الله بعزته وجلاله أن لا يسمى اسمه على مريض إلا شفاه ، ولا يسمى اسمه على شيء إلا بارك فيه .

وعدد حروفها تسعة عشر حرفاً ، وعدد خزنه جهنم تسعة عشر خزاناً قال ابن مسعود : فمن أراد أن ينجي الله من الزبانية التسعة عشرة فليقرأ البسملة ، فيجعل الله له بكل حرف منها جنة من كل واحد منهم فإنهم يقولونها في كل أفعالهم وبها قوتهم .

قال بعضهم : معاني كل الكتب التي أنزلت مجموعة في القرآن ، ومعاني القرآن مجموعة في الفاتحة ، ولهذا سميت أم الكتاب ، ومعاني الفاتحة مجموعة في البسملة ، ومعاني البسملة مجموعة في بائها أتعرفون مامعناها ، معناها : بي كان ما كان وببي يكون ما يكون ، ثم قالوا : ومعاني الباء في نقطتها ومعنى النقطة : أنا نقطة الوجود المستمد مني كل موجود

لذلك قال سيدنا علي : لو طويت لي وسادة لقلت في الباء من بسم الله الرحمن الرحيم حمل سبعين بعيراً (١) .
ويكفي أن الله تعالى أبتدأ كتابه بها ، وأن رسول الله ﷺ كان يصدر رسائله إلى الملوك بها .

وورد : من أراد أن يحيا سعيداً ويموت شهيداً فليقل عند ابتداء كل شيء بسم الله الرحمن الرحيم .
وهكذا -عشر السادة- مدت الماشطة يدها إلى المشط وقالت : بسم الله لتموت شهيدة في سبيل الله ، فكيف حدث ذلك؟

إنني مازلت أنقل لكم الأحداث الإيمانية من قصر فرعون الطاغية ، وفي حجرة الزينة بالذات أرى الماشطة وإلى جوارها ابنة فرعون وعلى وجهها سيماء الاستفهام ، سألت ماشطتها : تقولين «بسم الله» تعنين به أبي؟ قالت الماشطة : لا ، بل ربي وربك ورب أبيك!! (صحيح) .

وماهي إلا ساعات قليلة حتى وصل التقرير المفصل ووضع على طاولة فرعون الطاغية ، فنظر فيه وغلا الدم في عروقه فاستدعى الماشطة على جناح السرعة ، ووجه إليها سؤالاً واحداً ، اسمعوه ، قال لها :

- من ربك؟ فقالت الماشطة بثبات وإيمان : الله ربي .

قال لها : أولك ربٌ غيري؟

قالت الماشطة : ربي وربك الله .

وتعالى صراخ الطاغية ، فأرغى وأزبد ، ودعا بتنور من نحاس ، فأحمى حتى صار جمرأً ملتهباً يغلي فيه الماء كغلي الحميم ، وهدد الماشطة بإهلاك أولادها إن هي لم تعد عن كلمتها ، ولكنها ثبتت ، فراح يلقي أولادها أمام عينيها ، وكلما ألقى واحداً راودها على ترك الإيمان ، وهي لا ترضى حتى جاء دور طفلها الأخير الرضيع ، فلما رفعه ليلقيه في الماء المغلي ترددت

الماشطة واضطربت ، فإذا بالقادر المقتدر ينطق الطفل الرضيع ويقول : یا أماء !
إیاک أن تترددی ، قعی ولا تقاعسی (ولا تتأخري) فإنک علی الحق) الله أكبر
الله أكبر الله أكبر .

وجاء دور المرأة المؤمنة سألها فرعون : ما هي أمینتک الأخيرة؟ فقالت :
أمینتی هي أن تجمع عظامي وعظام أولادي فتدفننا معاً حتى نبعث يوم
القیامة معاً . ونظر إليها فرعون للمرة الأخيرة ، امرأة ثابتة علی مبدئها
وعقیدتها ، هل لهذه مثیلة فی النساء ، أروني أمثالها ، لتسمع الأمهات ،
لتسمع اللواتی ترکن العفة والطهارة ومشین سافرات فی الطرقات ، إن
الماشطة وأولادها أعطونا درساً نادراً فی الثبات علی العقيدة والدين .

فماذا فعل فرعون؟ لقد نفذ فرعون رغبتها فدفنها مع أولادها فی حفرة
واحدة ، أتعرفون هذه الحفرة التي دفنت فیها مع أولادها ، هذه البقعة مر
عليها الحبيب المصطفى فی ليلة الإسراء والمعراج فشم رائحة أطيب من ریح
المسک (هـ : ض) ، إنها رائحة الموحدين ، إنها رائحة المؤمنین ، إنها رائحة كل
مسلم فی الملاء الأعلى إلی يوم الدين ، قال یا أخی یاجبریل : ماهذه الرائحة
الطیبة المسکية فقال : هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها . یاسعد من
وحد الله ، یاسعد من صلی علی مصطفاه .

معشر السادة :

إلی هنا لم تنته المواقف الإیمانية ، فمازلنا فی قضية التمسک بالعقيدة
والدين ، مازالت المشاهد تتابع :

أولاً : السحرة وإیمانهم .

وثانياً : ثبات الماشطة :

وأما المشهد الثالث فهو فريد من نوعه لم نره إلا مرة واحدة ، لأن
صاحبته هي سيدة مصر الأولى السيدة آسیة بنت مزاحم امرأة فرعون . إنه
مثل ضربه الله لكل إنسان یحمل فكرة خیالية أو عقيدة فاسدة فإذا بأهل

بيته وأولهم زوجته ترفض الإيمان بفكرته وترفض الإيمان بعقيده ، لقد ذكر لنا التاريخ بعد فرعون أن جميع الذين دعوا إلى هتك الحجاب ونزعه عن رأس المرأة المؤمنة ، جميع الذين دعوا إلى هذه الفكرة الضالة كانت نساؤهم محجبات لم يكشفن عن رؤوسهن منهم سعد زغلول ، وقاسم أمين ، والوطواط . إن امرأة فرعون لما رأت ماحلاً بماشطتها حين صعدت روحها إلى الله تعالى ، لم تحتمل هذا الموقف الإيماني الثابت ، فصرخت في زوجها قائلة : ويلك يا فرعون ما أجراك على الله تعالى .

فنظر إليها الإله المزعوم وهو لم ينفض بعد يديه عن جارتها ، فقال لها : ماذا قلت؟ وهل اتخذت إلهاً غيري . (يا كذاب لو عبدك أهل الأرض جميعاً أتكذب على نفسك وتقول هذا ، إذا كنت قد كذبت على شعبك أفكذب علي أنا زوجتك؟ قد جالستك وواكلتك ورأيت شهوتك وحاجتك ، إن الإله لا يأكل ولا يشرب ، إن الإله ليس بجسم ولا له أعضاء فلا تدعي أمامي الألوهية لأنني عرفتك حق المعرفة (على هامان يا فرعون ، على زوجتك يا فرعون) إذا كذبت على جميع الناس فإنك لا تستطيع أن تكذب علي (خبرتك وعجنتك ورأيت أعلاك وأسفلك) ، وأمام موسى فإنني أعرفه ربيته في حجري ، وضممته إلى صدري ، وشاهدت أنوار نبوته في قلبي ، ولأجل ذلك اتخذته ولدي ، وأنا اليوم أتخذه نبياً ورسولاً من ربي عز وجل .

وكتمت إيماني لخوفي من بطشك إلى أن رأيت ما فعلت بالماشطة وكيف عذبتها فصبرت ولم ترجع عن الإيمان حتى جادت بأنفاسها الأخيرة وأما اليوم فلا أخاف بطشك ، ولا أرهب قوتك فاصنع ما بدا لك فلقد أحبيته لقاء ربي عز وجل .

هكذا كان لسان حال الزوجة المؤمنة ، فاستدعى فرعون أمها لتحاول

إقناعها بالردة عن الدين ، ولكن بدون فائدة ، فبدأ معها سلسلة من طرق العذاب الجسدي عذبها بالحديد المحمى ، وضربها بالسياط وهي ثابتة تنادي وتقول : لا إله إلا الله .

فأمر فرعون الطاغية فربطت يداها ورجلاها إلى أوتاد أربعة ، ولهذا سمي فرعون بذي الأوتاد ، ووضعوا على صدرها صخرة عظيمة تحت حر الشمس المحرقة ، وهي ثابتة على عقيدتها لا يتزحزح إيمانها قيد شعرة ، ومر على هذا المشهد الرهيب المؤثر كريم الله موسى فرأها على هذه الحالة فتأثر أشد التأثر ، فصبرها ووعدھا الجنة . وهنا فتحت المرأة عينيها ، ربما لآخر مرة فرأت سيدنا موسى ، وبصعوبة شديدة حركت يدها المربوطة وكأنها تطلب من موسى أن يدعو الله لها أن يخلصها مما هي فيه وأن يثبتها على الإيمان ، فرفع موسى كفيه إلى الواحد الديان ، رفع كفيه وقد بلغ التأثر مبلغه عنده فقال : يارب خفف عن عبدتك أسية؟ .. فما الذي حدث وما الذي جرى؟ إنه لعجيب ، وما هو بعجيب لأن فرعون رآه بعينه ، ليس بعجيب لأننا تعلمنا من دروس العقيدة أن من كان الله معه أتى بالأعاجيب والكرامات ، من كان الله معه فلا يخاف بنحساً ولا رهقاً ، من كان الله معه فلا يخاف ظلماً ولا هضماً (أين الموحدون) .

إن السيدة أسية وهي تحت العذاب بكت ، بكت لا من شدة العذاب ولكن شوقاً إلى لقاء الله تعالى فتوجهت إلى مولانا وبكل ضراعة وخضوع نادته بصوت خفيض ممتلىء صدقاً وإيماناً قالت : ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجني من القوم الظالمين﴾ /التحريم : ١١/ .
(يارب ابن لنا عندك بيتاً في الجنة مع حبييك الأعظم ، ونجنا من كل

جبار لا يؤمن بيوم الحساب ونجنا من القوم الظالمين) .
وهنا تسمع العجب ، وهنا تعرف العجب ، إذ بالحجاب يكشف عن عين السيدة أسية فترى هذا البيت الذي أعده الله لها في الجنة فتضحك ، ضحكت السيدة أسية ، وأنساها الله آلام العذاب ، فقال فرعون : انظروا إلى

الجنون الذي قد اعترأها ، اقتتلوها ، فإذا بصخرة عظيمة تلقى على المؤمنة الآمنة المطمئنة فترتفع روحها إلى جناتٍ ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر .
أيها السادة الكرام :

كنت أحب أن أسدل الستار وأكفّ البيان عند هذا الموقف الرهيب لكنني رأيت الأنوار تتلألأ من تاريخ هذه المرأة الصالحة ، أما النور الأول والمكافأة الأولى فإن الله تعالى رفع من قدرها ومكانتها فذكرها في كتابه الخالد أبد الدهر فقال تعالى :

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ ، وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ / التحريم : ١١ .

وكافأها نبينا سيدنا ﷺ محمد فقال في الصحيح : «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع : أسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت سيدنا ومولانا محمد ﷺ» (طب - أبو نعيم - الثعلبي ، خ ٣٤١ - م ٢٤٣١) .

بل كانت مكافأة مولانا لها أعظم مكافأة ، بأن جعلها الله يوم القيامة زوجة لسيدنا محمد ﷺ فقد جلس نبينا ﷺ على فراش السيدة خديجة بنت خويلد وهي تجود بأنفاسها الأخيرة يشرها بالجنة ثم قال لها :

«بالكره مني ياخديجة سلّمي لي على ضرائرك في الجنة ، قالت : وهل تزوجت قبلي يا رسول الله ، قال : إن الله زوجني في الجنة بأسية زوج فرعون ومريم ابنة عمران وكلّتم موسى عليه السلام» .

ولهذا هي من أمهات المؤمنين في الجنة فقولوا رضي الله عنها .

فما هي الآيات التي توات على فرعون والقبط في مصر؟ هل دخل القبط في الإسلام على أثر هذه الآيات؟ أعلق هذه الأسئلة لأجيب عنها في الجمعة القادمة بإذن الله تعالى ، وأعود بكم من هناك إلى هنا ، وما أدراك ما هنا ، هنا مدرسة التوحيد الجالس فيها عليه أن يوحد الله تعالى .

الفهرس

١٠٨	الأمر والإرادة	٢٧	العقل
١١٠	الإمام الأوزاعي والقدري	٢٨	التمسك بالعقيدة
١١٤	٨ - (٣) - القدرة	٣٠	عظمة القادر المقتدر
١١٦	٩ - (٥-٤) - البصر والسمع	٣٠	سيدنا إدريس مع إبليس
١٢٠	حديث الولي	٣١	١٠ - (٦-٧) - الكلام والحياة
١٢٣	الصحابية خولة	٣٤	الكليم موسى
١٢٥	الصدّيق وفتحاص	٣٥	فتنة خلق القرآن
١٢٦	كبير الأنذال	٣٦	واجب المسلمين تجاه فتنة خلق القرآن
١٢٨	١٠ - (٦-٧) - الكلام والحياة	٣٩	١١ - الصفات المعنوية والمستحيلات
١٣٠	الكليم موسى	٤٠	١٢ - الجائزات في حقه تعالى
١٣١	فتنة خلق القرآن	٤٢	١ - الخلق
١٣٤	واجب المسلمين تجاه فتنة خلق القرآن	٤٢	الإمام الشافعي وإبليس
١٣٨	١١ - الصفات المعنوية والمستحيلات	٤٨	السبب العادي
١٣٨	١٢ - الجائزات في حقه تعالى	٥٢	٢ - خلق الطاعة والمعصية
١٣٨	١ - الخلق	٥٧	٣ - الصلاح والإصلاح
١٣٨	الإمام الشافعي وإبليس	٥٨	الحافظ ابن حجر واليهودي
١٣٩	السبب العادي	٥٨	الإمام الأشعري والجبائي
١٤٢	٢ - خلق الطاعة والمعصية	٦٢	٤ - الثواب والعقاب
١٤٤	٣ - الصلاح والإصلاح	٦٤	باب التفويض والتأويل
١٤٤	الحافظ ابن حجر واليهودي	٦٦	١٣ - مقدمة في التأويل
١٤٤	الإمام الأشعري والجبائي	٦٦	التفويض : الرحمن على العرش استوى
١٤٤	٤ - الثواب والعقاب	٧٠	المتشابه
١٤٤	باب التفويض والتأويل	٧٦	الآية المحكمة : ليس كمثله شيء
١٤٤	١٣ - مقدمة في التأويل	٧٧	الجمع بين الآيات أولاً
١٤٤	التفويض : الرحمن على العرش استوى	٨٠	الدليل على جواز التأويل
١٤٤	المتشابه	٨٣	١٤ - آيات الصفات بين التفويض
١٤٤	الآية المحكمة : ليس كمثله شيء	٨٥	والتأويل
١٤٤	الجمع بين الآيات أولاً	٩١	الملائكة والجن
١٤٤	الدليل على جواز التأويل	٩١	
١٤٤	١٤ - آيات الصفات بين التفويض	١٠٠	
١٤٤	والتأويل	١٠٤	
١٤٤	الملائكة والجن	١٧٣	
٢٣١			

٢٣٢	خلق سيدنا آدم	١٧٦
٢٣٣	الموقف الأول مع عدو الإنسان	١٨١
٢٣٤	التكرار الأول ونتيجة الطرد	١٨٢
٢٣٨	٢١ - السيدة حواء	١٨٤
٢٣٩	تكريم سيدنا آدم	١٨٦
٢٤١	الوصية المؤكدة : الطاعة	١٨٧
٢٤٦	٢٢ - سيدنا شيث وإدريس	١٩٠
٢٤٦	تكريم سيدنا آدم	١٩٢
٢٤٩	الهبوط	١٩٤
٢٥٠	هابيل وقابيل	١٩٥
٢٥٢	شيث	١٩٦
٢٥٣	إدريس	١٩٨
٢٥٦	٢٣ - سيدنا نوح	٢٠٠
	صناعة السفينة الأولى	٢٠١
٢٦١	الهلاك الأكيد	٢٠٢
٢٦٦	٢٤ - سيدنا هود	٢٠٣
٢٧٠	الهلاك الأكيد	٢٠٣
٢٧٤	٢٥ - سيدنا صالح	٢٠٤
٢٧٦	ناقة صالح	٢٠٤
٢٧٩	قدار بن سالف	٢٠٦
٢٨١	كراهة دخول أماكن العذاب والمعصية	٢٠٨
٢٨٢	أبرهة الحبشي	٢١١
٢٨٤	٢٦ - سيدنا إبراهيم الخليل	٢١٢
٢٨٤	فضائله	٢١٣
٢٨٥	الولادة المباركة	٢١٤
٢٨٦	المعجزة	٢١٤
٢٨٦	مع عمه أو والده	٢١٥
٢٨٩	مع قومه	٢١٥
٢٨٩	تخطيم الأصنام	٢١٨
٢٩١	نار الخليل	
٢٩٤	٢٧ - الخليل في بلاد الشام ومصر	٢١٩
٢٩٦	من النمرود	٢٢٠
٢٩٧	الهجرة إلى الشام	٢٢١
٢٩٨	الهجرة إلى مصر	٢٢١
٢٩٩	ولادة جدي إسماعيل من ماجر	٢٢١
٣٠٠	ضيوف إبراهيم	٢٢٢
٣٠١	ولادة سيدنا اسحق	٢٢٨
٣٠٢	٢٨ - سيدنا اسماعيل الذبيح	٢٣٠
٣٠٩	العقيدة في امتحان أيوب	٣٠٣

السبب في التأويل
باب النبوات
١٥ - مقدمة في النبوات
النبى
من يدخل الجنة
القدرة المثلث
واجبات في حق الأنبياء والرسل
١٦ - الأمانة
عصمة سيدنا آدم
عصمة سيدنا يوسف
عصمة سيدنا محمد
١٧ - الفطانة
سيدنا موسى مع فرعون
سيدنا إبراهيم مع النمرود
الصدق
شهادة السيدة خديجة
شهادة الجارود بن العلاء
المعجزة
شروط المعجزة
شهادة خزيمة الصحابي
١٨ - تبليغ الشريعة
ابن أم مكتوم
نسيان الأنبياء
أهل الفترة
عمرو بن لحي
قس بن ساعدة
زيد بن عمرو بن نفيل
والدا النبي
١٩ - المستحيلات والجانزات في حق
الرسول
١ - الخيانة
٢ - الكتمان
٣ - البلادة
٤ - الكذب
تأويل ما ظاهره الكذب
تلقيح النخل
٢٠ - سيدنا آدم وبدء الخلق
بدء الخلق : السموات والأرض
فضائل الخليل

٣٧٢	شفاؤه	٣٠٥	قبيلة جرهم
٣٧٢	ذو الكفل : بشر	٣٠٧	بر الوالدين
٣٧٤	٣٦ - سيدنا شعيب ويونس	٣١٠	٢٩ - بناء الكعبة والوفاء
٣٧٥	يونس	٣١١	المكافآت
٣٧٨	شعيب	٣١٥	النداء بالحج
٣٨٠	هلاك قوم شعيب	٣٢٠	٣٠ - سيدنا لوط
٣٨٤	٣٧ - سيدنا شوشن	٣٢١	مخازي قوم لوط وهلاكهم
٣٨٤	الولادة المباركة	٣٢٤	٣١ - سيدنا اسحق وولده يعقوب
٣٨٥	عرضه على المراضع	٣٢٥	حكم روايات الاسرائيليات
٣٨٦	شبابه	٣٣٥	٣٢ - سيدنا يعقوب وولده يوسف
٣٨٧	قتله القبطي	٣٣٦	حكمة يعقوب مع أخيه العيص
٣٨٨	موسى في مدين	٣٣٨	بشائر الاصطفاء
٣٨٨	شروط عمل المرأة في الإسلام	٣٣٩	يعقوب والقميص
٣٩١	زواجه	٣٤١	سيدنا يوسف وشبابه
٣٩٢	٣٨ - رسالة سيدنا موسى إلى فرعون	٣٤٢	المحاولة الفاشلة
٣٩٣	مكافأة شعيب إلى موسى	٣٤٦	٣٣ - سيدنا يوسف في قصر العزيز
٣٩٤	عصا موسى	٣٤٧	المحنة الثانية
٣٩٦	بعثة موسى	٣٤٨	سجن يوسف
٣٩٧	معجزاته : العصا	٣٥٠	الدعوة إلى الله تعالى
٣٩٧	اليد البيضاء	٣٥٣	رؤيا الملك
٤٠٠	٣٩ - مباراة موسى مع السحرة	٣٥٥	خروجه من السجن
٤٠١	القطانة عند سيدنا موسى	٣٥٦	٣٤ - سيدنا يوسف على عرش مصر
٤٠٢	المناظرة	٣٥٧	الأدلة القاطعة على براءة يوسف
٤٠٧	الخوارق السبع	٣٥٩	توليده شتوون مصر
٤٠٩	إيمان السحرة	٣٥٩	سنوات الجذب
٤١٢	٤٠ - المؤمنون الثلاثة برسالة موسى	٣٦٠	إخوة يوسف في مصر
٤١٣	مؤمن آل فرعون	٣٦١	بنيامين مع يوسف
٤١٦	ماشطة بنت فرعون	٣٦٤	عودة الولد لأبيه
٤١٨	إمرأة فرعون	٣٦٦	٣٥ - سيدنا أيوب وولده ذو الكفل
	الفهرس	٣٦٧	صفاته الخيرة
		٣٦٨	امتحان أيوب

جدول الطواب

السطر

الصفحة

الشيخ محمد سهيل	١	٢٤
مرسل ابن عمر	١٥	٣٤
يشهد إنكم	٢٠	٣٤
والعقيدة فقد وردت في اللغة	١٣	٣٩
إن لله تسعة وتسعين	٧	٥٤
أيها الإخوة		٤٠١-٦٦-٥٩
أمام أصناف أربعة	٣	٦٤
صفات الألوهية وأحكامها	١١	٧٩
أبو الشيخ	٩	٨١
قيوم السموات والأرضين	٣	٨٣
خولة بنت ثعلبة	١٨	١٢٩
نتوجه إلى الله تعالى بصفته	١٢	١٣٤
والكل يقرُّ	٦	٢١٨
تتلخص	١٠	٣٢١
على زوجها	١٠	٣٧١
أنت وأخوك	١٩	٣٩٨
تخيّلها بطلاسم	١١	٤٠٨
أحمد حمد النبيين	٢	٤١٢
«أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليّه كذبه وإن يك صادقاً...»	٢٢	٤١٣
لكان محتاجاً إليها	١٥	٤١٥
فلقد أحببت لقاء ربي	٢١	٤١٩
سيدنا موسى وفرعون	١٣	٤٢٣
سيدنا إبراهيم والنمرود	١٤	٤٢٣
حكم رواية الإسرائيليات	٩	٤٢٤
امرأة فرعون	٢٩	٤٢٤

تتمت بحمد الله

الجزء الأول
ويليه الجزء الثاني